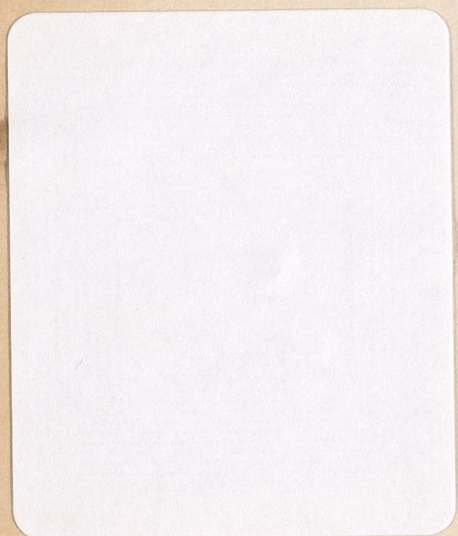
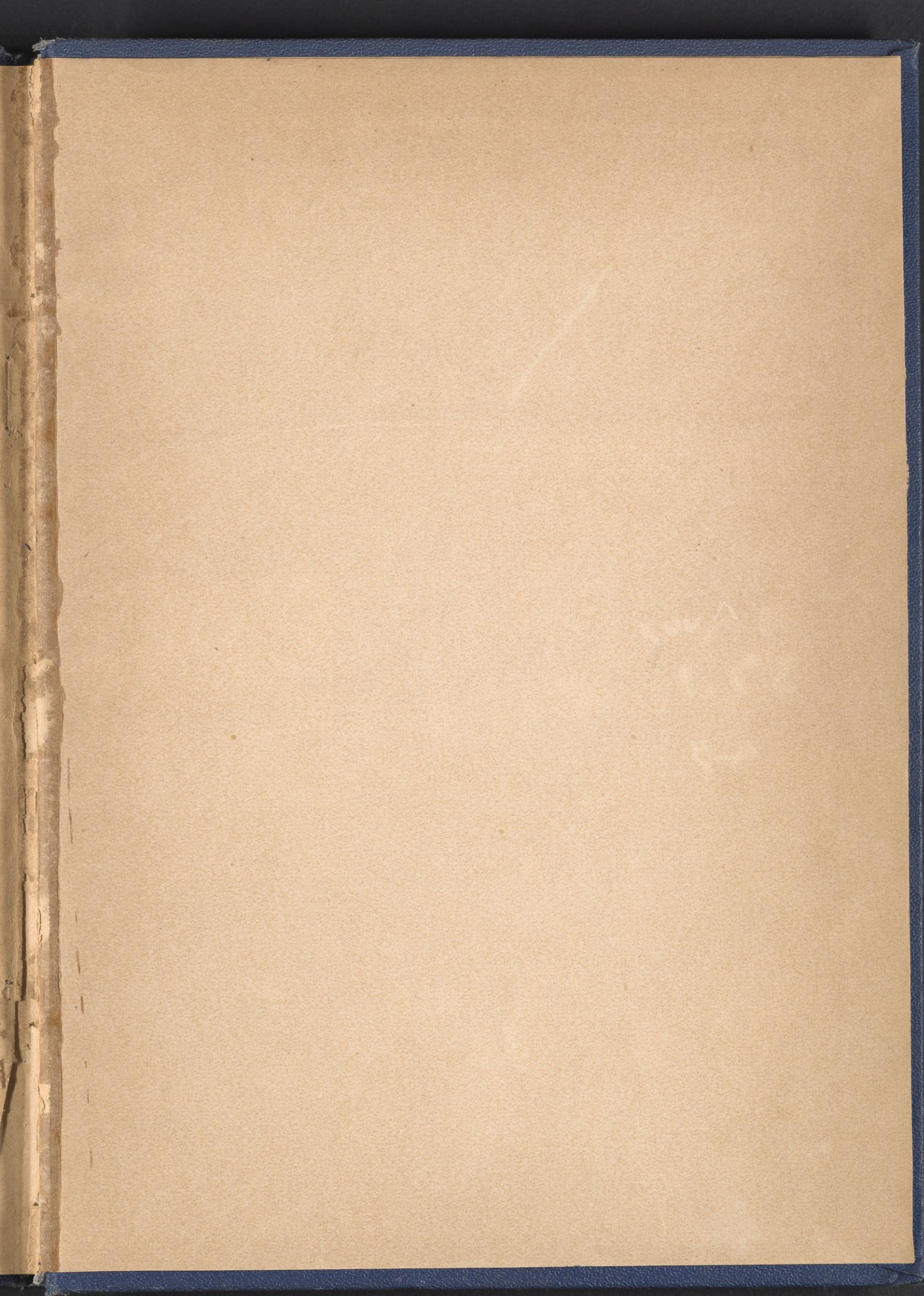


AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 00855 3640



بیاره فودج



محمد بن المنعم خفاجي

LG

511

C 45

K 45

1954

v. 3

C. 1

الأزهر في ألف عام

الجزء الثالث

١٣٧٤ هـ

٧٠٣

٢٧٧ / ٨
٩٠٤٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٧٧, ٨
٩٠٤٢

٢٧

١٥

الطبعة الأولى

١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

حقوق الطبع محفوظة

43819

المطبعة المنيرية بالأزهر

حول الأزهر ورسائله

- ١ -

كانت الغفوة الكبرى التي أصابت العالم الإسلامي في القرون الوسطى ذات أثر بعيد في حياته السياسية والعقلية والاجتماعية في القرن التاسع عشر. لم يبعد المسلمون هذه الحقبة الطويلة كثيرا عن تقاليد الشرق ، وإنما جافوا روح الاسلام ، وجعلوا مبادئه وأهدافه ، ووقفوا أمام تيار النهضة الغربية جاهلين عاجزين أذلاء . وبأدركهم المستعمرون بتحطيم ما بقي في أجسامهم من منعة ، وفي قلوبهم من إيمان ، وفي أرواحهم من عزة ومثل عليا ... وكانت الأحداث الكبرى التي هزت العالم الاسلامي هذا عنيفا داعية للمفكرين والمصلحين أن يجاهدوا في سبيل البعث والاحياء وتجديد الحياة والأمل في نفوس المسلمين . واقرن ذلك بدعوات جريئة للإصلاح ، انبعثت من رجال الدين حينئذ ، ومن غيرهم حينئذ آخر . من أمثال محمد ابن عبد الوهاب م ١٢٠٦ هـ ، والسيد أحمد خان الهندي م ١٨٩٨ ، والسيد أمير علي ، والكواكبي م ١٩٠٢ ، وجمال الدين الأفغاني م ١٨٩٧ ، ومحمد عبده م ١٩٠٥ ، وسواهم من دعاة الإصلاح ، وحمله رسالته .

كان السيد جمال الدين الأفغاني يريد تحرير الشعوب الاسلامية من العبودية والاستعمار ، وتكوين حكومة إسلامية موحدة تهتدى بهدى الاسلام ، وبعث الروح القومية في الشرق عن طريق الإصلاح الديني العام . . وكان محمد عبده يريد النهوض بالشرق الاسلامي سياسيا عن طريق النهضة الثقافية به ، ويرى أن الاسلام هو السبيل لتمهيد حركة الإصلاح وتغذيتها ، وأنه هو والعقل والعلم إخوة ، ولذلك دأب على الدعوة إلى تصحيح العقيدة ، وإذاعة رسالة الاسلام ، وإيقاظ الشعور العام بإيقاظ الروح الديني . . وخففت بعد محمد عبده دعوة الإصلاح في الشرق ، وإن لمعت جذوتها حينئذ في أفكار الشيخ مصطفى المراغي ، رحمه الله ، الذي كان يعمل للنهوض بالأزهر الحديث حتى يصل إلى مستوى الجامعات الكبرى في الشرق

والغرب .. كما أضاءت الشعلة حينما آخر في آراء الشيخ مصطفى عبدالرازق وحمروش
وعبدالمجيد سليم ، الذين كانوا يحرصون على إحياء التعارف والتعاون بين المسلمين عامة .
ولكن هذه الآثار لم تكن على جانب خطير من الأهمية في الإصلاح الديني في
الشعوب الإسلامية في القرن العشرين .

رسالة الأزهر في رأى المراغى :

رسالة الأزهر عنده هي حمل رسالة الاسلام .. ومتى عرفت رسالته عرفت رسالة
الأزهر . والاسلام دين جاء لتهديب البشر ورفع مستوى الانسانية والسمو بالنفوس
إلى أرفع درجات العز والكرامة ، طوح الاسلام بالوسطاء بين الناس وربهم ، ووصل
بين العبد وربهم ، ولم يجعل لأحد فضلا على أحد إلا بالتقوى ، وقدس العلم والعلماء ،
وقرر في غير لبس ما يليق بذات الخالق من الصفات ، وما قرره في ذلك هو منتهى ما سمت
إليه الحكمة ، ووصل إليه العقل ، وفرض عبادات كلها ترجع إلى تهذيب النفس
وتلطيف الوجدان ، وأبان أصول الأخلاق ، وقرر التمتع بالطيبات ولم يحرم
إلا الخبائث ، ووضع حدودا تحد من طغيان النفوس ونزوات الشهوات ، ووضع
أصول النظم الاجتماعية وأصول القوانين : قواعد كلها لخير البشر وسعادة المجتمع
الانسانى .. هذه صورة مصغرة جدا للدين الاسلامى ، وشرح قواعده وأسراره ،
ومتى أدى الأزهر هذه الرسالة على وجهها فقد أدى نصيبا عظيما من السعادة والخير
للجمعية الانسانية . وفي القرآن الكريم حث شديد على العلم ، وعلى معرفة الله وعلى تدبر
ما فى السكون ، وابس هناك علم يخرج موضوعه عن الخالق والخلق . فالدين
الاسلامى يحث على تعلم جميع المعارف الحقة . وليس فى المعارف الصحيحة المستقرة
شئ يمكن أن يناقض أصول الدين ويهدمها ، نعم قد توجد معارف تناقض ما وضعه
العلماء فى شرح القرآن والحديث والفقه وغير ذلك ، ولكننا لا نهتم لهذا . فليس
العلم فى طريقه ، ولنصح معارف الماضين ، ولكن على شريطة أن يكون ما يخالف
معارفنا من العلم البرهاني المستقر ، ولم يقصد من هذا أن يكون الأزهر مدرسة
طب أو هندسة ، أو كلية للكيمياء أو ما يشبه هذا : ولكنه يعنى أن هناك علوما
ومعارف لها صلة بالدين وثيقة ، تعين على فهمه ، وتبرهن على صحته ، ويدفع بها عنه

الشبهات . فهذه العلوم يجب أن يتعلمها العالم الديني أو يتعلم منها القدر الضروري لما يوجه إليه .

وقد تغيرت في العالم طرق عرض السلع التجارية ، وأصبح الاعلان عنها ضروريا لنشرها وترغيب الناس فيها . ولديكم الخوانيت القديمة ومخازن التجارة الحديثة ، فقارنوا بينهما تدركوا ما في طريقة العرض الحديثة من جمال يجذب النفوس إليها ، وما في طريقة العرض القديمة من تشويه ينفر النفس منها . وقد توجد في الخوانيت القديمة سلع أحسن صنفا وأكثر قيمة وأمتن مادة ، ومع ذلك فهي في كساد ، وكما تغيرت طريقة عرض السلع تغيرت طريقة عرض العلم ، وأحدث العلماء طرائق تبعث الرغبة الملحة في العلم ، وتنفي عنه الملل والسأم ، حدثت هذه الطرق في إلقاء الدروس والمحاضرات ، وحدثت في تأليف الكتب أيضا ، وهذا المثل ينطبق علينا ، ففي جميع الكتب التي تدرس في الأزهر ، وفي جميع العلوم التي تدرس في الأزهر ، أعلاق نفيسة لا تحتاج إلا إلى تغيير طريقة العرض في الدرس والتأليف ، وفي الفقه الاسلامي نظريات تعد الآن أحدث النظريات عند رجال القانون ، وفي الفقه الاسلامي آراء يمكن أن يسير عليها الناس الآن من غير حرج ، وهي تحقق العدالة في أكمل صورها . ولكن هذه النظريات البالغة منتهى الجمال والحكمة يحجبها عن الناس أسلوب التأليف القديم .

على الأزهر أن يسهل فهم علومه على الناس ، وأن ييسر لهم هذه المعارف ، وأن يعرضها عرضا حديثا جذابا مشوقا ، ومسألة أخرى يجب أن يعنى الأزهر بها : هي تطهير الدين الاسلامي من البدع ، وما أضيف إليه بسبب الجهل بأسراره ومقاصده ، فهناك آراء منشورة في كتب المذاهب وفي غير كتب المذاهب يحسن سترها ضنا بكرامة الفقه والدين .

من الواجب أن يعترف بأن المذاهب الاسلامية جملة تغني عن الاجتهاد في المسائل التي عرضت من قبل متى تخير العلماء منها ، وأذكر قصة طريفة تجدونها في كتاب الولاية والقضاة للكندي : « كان في مصر قاض شافعي المذهب في عصر الامام الطحاوي . وكان يتخير لأحكامه ما يرى أنه يحقق للعدل من آراء الأئمة ولا يتقيد بمذهب . وكان مرضى الأحكام لم يستطع أحد أن يطعن عليه في دينه وخلقه ، سأل ذلك القاضي الامام الطحاوي عن رأيه في واقعة من الوقعات . فقال الطحاوي : أتسألني عن رأيي أو عن رأي أبي حنيفة ؟ قال القاضي : ولم هذا السؤال ؟ قال

الطحاوى : ظننتك تحسبني مقلداً . فقال القاضى : ما يقلد إلا عصى أو غي ؟ ، فتخير الأحكام نوع من الاجتهاد ، ولكنه الاجتهاد الذى لم يغلق الناس أبوابه ، فإصلاح التعليم فى الأزهر واجب اجتماعى لإصلاح الأمم الإسلامية على مختلف أقطارها وأجناسها ، وعلى كل مسلم أن يساهم فيه إذا استطاع إلى ذلك سبيلا ، وأنا نرجو الله سبحانه أن يوفق العلماء وطلاب العلم إلى الاخلاص فى ذلك إخلاصا لله ولرسوله وللمؤمنين وللدین الحق الذى وعد الله أن يظهره على الدين كله ، وجعله هداية عامة لجميع البشر .. ونصيحة أقدمها إلى العلماء وطلاب العلم فى الأزهر راجيا تدبرها ، وهى احترام حرية الرأى ، والتخرج من الاتهام بالزندقة والكفر ، ولا نطالب بشئ يعد بدعة ، ولا نحدث فى الدين حدثا بهذه النصيحة ، فهى موافقة للقواعد التى وضعها سلف الأمة رضى الله عنهم . وترونها مبسوطة واضحة فى كتب الأصول وفى جميع كتب الامام الغزالى ، وحاصلها — على ما أذكر — أن المسائل الفقهية يكفر منكرو الضرورى منها كالصلاة والزكاة وحرمة الزنا وشرب الخمر وقتل النفس والربا ، أما إنكار أن الاجماع حجة ، وخبر الواحد حجة ، والقياس حجة ، فلا يوجب الكفر ، وما عدا ذلك من المسائل الفقهية لا إثم فى إنكاره مطلقا ، على شرط أن يكون الإنكار غير مصادم لنص أو إجماع .

على هذا أجمع الصحابة رضى الله عنهم ، وأجمع عليه الأئمة ، ولم يعرف أن بعضهم أثم بعضا ، وعلى الجلة فما دام المسلم فى دائرة القرآن لا يكذب شيئا منه ، ولا يكذب ما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم بطريق قاطعة ، فهو مسلم لا يحل لأحد أن يتهمه بالكفر .. عرضنا لهذه النصيحة لأنها تسهل على أهل الأزهر معايشة الناس ، والعمل بها يمكن من نشر الدعوة ومن الجدل بطريقة المقبولة ، والعمل على خلافها منفر يحدث الشقاق ويورث العداوة .

وإذا كانت مهمة الأزهر حمل رسالة الإسلام للعالم ، فمن أول واجب على أهله أن يعدوا أنفسهم لتعلم اللغات ، لغات الأمم الإسلامية وغير الأمم الإسلامية ، والله لم يرسل رسولا إلا بلسان قومه ليبين لهم ، فليحقق الأزهر القدوة ، وليرسل إلى الناس رسلا يفقهونهم فى دينهم بلسانهم .. وقد عنى المراعى بهذه المسألة كما عنى بتثقيف إخواننا الذين أساءهم القانون دأغراباً ، فان لهم من الحقوق والحرية فى هذا الوطن ما لكل فرد من أهل البلاد ، ونرجو أن يفكروا

طويلاً فيما يفرضه عليهم دينهم من الهداية والارشاد وإسعاد المجتمع .

وكان الشيخ عبد المجيد سليم يرى وهو في أول مشيخته الأولى اقتران الإصلاح الديني في العالم الإسلامي بإصلاح الأزهر الشريف .
ومهمة الأزهر في رأيه جد خطيرة ، فهي تشتمل : « تعليم أبناء الأمة الإسلامية دينهم ولغة كتابهم ، تعليمهم قويا مشمرا ، يجعلهم حملة للشرعة ، أئمة في الدين واللغة ، حفاظاً حراساً لكتاب الله وسنة رسوله وتراث السلف الصالح والقيام بما أوجبه الله على الأمة من تبليغ دعوته ، وإقامة حجته ، ونشر دينه ... فعلى رعاية هذين الجانبين يجب أن تقوم خطة الإصلاح في الأزهر ، وأن يعمل العاملون على تحقيق آمال الأمة فيه (١) »

ووسائل إصلاح هذه الجامعة الإسلامية العتيقة تتلخص في رأيه فيما يلي :

١ - مراجعة الكتب الدراسية ، وإبقاء الصالح منها ، واختيار لون جديد يوجه الطلاب توجيهها حسناً إلى العلم النافع من أقرب طريق وأيسره .
٢ - تشجيع حركة التأليف والتجديد عن طريق الجوائز العلمية وغيرها حتى يتصل جبل العلم ... وتوجيه العلماء إلى وضع بحوث في الفقه والتشريع تسير الروح العلمي الحاضر

٣ - إعداد جيل قوى من أبناء الأزهر يستطيع أن يحمل الرسالة ، فإن الأمة تريد من الأزهر أن يخرج لها علماء في الدين والشرعة واللغة وسائر العلوم العقلية والاجتماعية المتصلة بها ، على أن يكون هؤلاء العلماء مزودين مع هذا بقدر صالح من العلوم الأخرى التي تفيدهم في مجتمعهم ثقافة عامة ، وفي هذا يقول أيضاً موجهاً كلمته إلى الأزهريين : نصيحتي إليكم أن تعملوا أنكم مجتهدون في سبيل الله ، فاقبلوا على دراستكم ، وتحملوا بالفضيلة بينكم وبين الناس ، لتحقيق آمال الأمة فيكم ، وإعلاء كلمة الدين والعلم بكم (٢)

٤ - تشجيع حركة البحوث العلمية التي يرسلها الأزهر إلى جامعات أوروبا للتزود من شتى الثقافات .. ولا بدع فإن العلم رحم « بين الناس كافة » كما يقول الاستاذ

(١) من حديث له في المؤتمر الصحفي بإدارة الأزهر في أول نوفمبر عام ١٩٥٠

(٢) من كلمة أذاعها في أول العام الهجري ١٣٧٠ هـ

سليم لعلساء جامعات أوروبا الذين زاروا مكتبه في زيارتهم للآزهر الشريف .
٥ - تنظيم هذه الجامعة الكبرى تنظيماً يتفق مع خطر رسالتها ، ويساعدها على أداء هذه الرسالة ، بإنشاء مكتبة كبرى ، ودار كبيرة للطباعة ، وإكمال مباني الأزهر الجامعي ، تمهيداً للاحتفال بعيدة الألفي ، إلى غير ذلك من وسائل الإصلاح :
أما مهمة الأزهر في سبيل الإصلاح الديني في مصر والشرق الإسلامي فتتلخص فيما يلي :

١ - العناية بإصلاح حالة الأسر بإصلاح شؤونها ، ودعم كيائها ، عن طريق بحث التشريعات اللازمة لها : في الزواج ، والطلاق ، والنفقة ، والحضانة ، والولاية ، وما إليها (١)

٢ - نشر الدين والثقافة في كل ناحية

٣ - إرسال البعثات الأزهرية إلى شتى أرجاء البلاد الإسلامية لدراسة أحوالها وتهذيب أبنائها

٤ - تشجيع البعثات الوافدة على الأزهر ، وبناء دار كبرى لأقلامهم ، ورعاية شؤونهم العلمية والخلقية والدينية

٥ - ربط الأزهر بشتى الجامعات الشرقية ، وإنشاء مراكز ثقافية له في عواصم البلاد الإسلامية

وأما مهمة الأزهر في الدعوة إلى الدين في العالم ، فهي كما يرى تشمل ما يأتي :

١ - توجيه العلماء إلى وضع مؤلفات باللغات الأجنبية ، لبيان حقيقة الإسلام ومزاياه

٢ - إنشاء إدارة للدعاية الإسلامية ، تتولى توجيه الناس إلى الإسلام ومبادئه الحالية

٣ - ترجمة تفسير القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية

ويرى الأستاذ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش أن رسالة الأزهر تقوم على دعامة التوجيه العلمي لنظم الدراسة فيه ، لتكوين جيل قوى كفء من أبنائه يتحلّى بصفات العلماء ، ومواهب وأخلاق رجال الدين ، دون نظرة إلى الكثرة والعدد ، وأن هذا

(١) من حديث له نشر في الأهرام في ٢٨ - ١٠ - ١٩٥٠

الجيل القوى يستطيع أن يؤدي رسالة الأزهر العلمية والدينية في مصر والشرق الاسلامي ، وقد بدأ الشيخ في مشيخته بالتفكير في طبع رسائل للتعريف بالدين بشتى اللغات ، وافتتح القاعة الكبرى للأزهر لمحاضرات علمية وتوجيهية يلقيها كبار شيوخ الأزهر

وقد نشر الأستاذ الكبير الشيخ محمد عرفة عضو جماعة كبار العلماء كتاباً بعنوانه «رسالة الأزهر في القرن العشرين» ، ذهب فيه إلى أن رسالة الأزهر هي أن يفهم الناس الدين على وجهه وأن تنقيه من التفسيرات الخاطئة التي دخلت عليه ، وفوق ذلك عليه أن يعنى بأخلاق الأمة وتقاليدها .

وقد أخذ الأستاذ على الأزهر أن التعاليم في الأزهر لم يعن بالخلق كما يجب ، وأن الإقبال على العلم بين جدرانه أصبح ضعيفاً ، وأن المسادية قد دخلت فيه وأفسدت الكثير من حياته .

وأبان أن ثقة الأمة في الأزهر تضعف شيئاً فشيئاً لعوامل كثيرة : منها قلة الانتاج العلمى في محيطه ، وانقلاب الأزهرين إلى موظفين لا غير ، وضعف نفسية الأزهرى وثقافته وأفق تفكيره ، وعدم وجود بيئة صالحة في وسط الأزهر .

كما ترجع إلى الفساد الذى استشرى فى الأزهر من الناحية الادارية وغيرها ، وإلى بعد الأزهر عن الحياة العامة ، وإلى عدم انتظام الامور فيه فى الكثير ، وانعدام تنفيذ قوانين الأزهر ، وعدم أخذ الامور بالحزم ، والسياسة الحزبية التي تفسد على الأزهر كل شئ ، وتدخل في وسطه للهدم والتدمير .

وفى عام ١٣٦٢ هـ - ١٩٤٤ ألقى الأستاذ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء محاضرة فى دار كلية الشريعة عنوانها «السياسة التوجيهية العلمية فى الأزهر» ، تتصل برسالة الأزهر ، وجاء فيها :

الغرض من الجامع الأزهر ، كما جاء فى المادة الاولى من القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ بإعادة تنظيم الجامع الأزهر ، وهو آخر تعديل لهذا التنظيم :-

١ - القيام على حفظ الشريعة الغراء : أصولها ، وفروعها ، واللغة العربية ، وعلى نشرهما .

٢ - تخريج علماء يوكل اليهم تعليم علوم الدين واللغة في مختلف المعاهد والمدارس ويلون الوظائف الشرعية في الدولة .

وهذا هو الغرض من الجامع الأزهر ، لامن تاريخ هذا القانون فقط ، ولا من تاريخ أول قانون وضع لتنظيم الأزهر ، ولكنه غرضه من يوم أن انسلخت عن الأزهر الصبغة الشيعية التي أنشأ لتركيبتها وتنميتها والقضاء بها على المذاهب الأخرى . من يوم أن تولى الظاهر بيبرس ملك مصر سنة ٦٥٨ هجرية ، وأعاد إلى الأزهر حياته العلمية التي أبطلها صلاح الدين الأيوبي عملاً منه على إزالة كل أثر للفاطميين ، فمن ذلك الحين - فقط - تبدى حياة الأزهر العلمية التي لا تقيد برأى ولا مذهب ، ولا تقتصر على علم من العلوم ، فقد درست فيه جميع العلوم الشرعية على اختلاف المذاهب والأصول ، ودرست فيه علوم اللغة العربية بجميع مذاهبها وآرائها ، ودرست فيه آراء علماء العقيدة لافرقى بين فرقة وفرقة ، كما درس فيه كثير من العلوم الرياضية والعقلية ، بما رأى سلفنا أن له نفعاً في تكوين الفكرة الإسلامية ، وخدمة الشريعة واللغة ، كان هذا هو الغرض من الجامع الأزهر منذ ذلك الحين ، ولم يكن موزعاً على طلاب العلم بحيث يختص كل فريق منهم بناحية معينة على نحو ما نرى اليوم ، بل كان جميع طلابه ينهلون من جميع علومه ، لا اختصاص لأحد بعلم ، إلا ما كان عن طريق الاستعداد الفطري ، والميل النفسى ، وقد مرت بالأزهر أطوار مختلفة ، كان فيها بين الصحة والمرض ، والتقدم والتأخر ، والنهوض والتقاعد ، والانتاج والعقم ، ولسنا بصدد الكلام عن هذه الأطوار التي طواها التاريخ بما لها أو عليها ، ولكن بما يهمنا في هذا الحديث ، أن نعرف أن هذه الأطوار ختمت بعهد تجمعت فيه علل ماض طويل ، وأخذت تعمل عملها في صرف الأزهر عن التفكير والانتاج ، وعن كل نافع من العلوم العقلية والسكونية ، وانتهت مظاهر العلم والتفكير فيه إلى أن تغلبت المبادئ الآتية :

١ - تغلبت العناية بالمناقشات اللفظية ، وتبع كلمات المؤلفين في المصنفات والشروح والحواشى والتقارير على الروح العلمية الموضوعية التي من شأنها أن تخدم الفكرة ، بقطع النظر عما يتصل بها من لفظ وعبارات .

٢ - تغلبت روح التقديس للآراء والأفهام التي دونها السابقون ، والسمو بها عن مستوى النقد ، وعدم الاكتراث بما قد يظهر من آراء جديدة ، ولو كان لها من السداد والقوة ما لها .

٣ - تغلبت نزعة الاشغال بالفروض والاحتمالات العقلية التي لا تقع وما يتصل بها من أحكام ، فنراهم يقولون : لو طلقها نصف تطليقة أو ربع تطليقة ، ولو قال لها أنت طالق إن شئت ، فقالت له : شئت إن شئت ، وتراهم يقولون : لو تزوج جنية ، فالحكم في النسب والميراث كذا ...

ولقد أكثروا من هذا في العبادات والمعاملات ، وأنفقوا فيه من الوقت والتفكير ما كان جديراً بهم أن يدخروه للنافع المفيد ، ووصل الأمر في ذلك إلى أن السكال بن الهمام وهو من أفذاذ علماء القرن التاسع يقول : ومن مسائل قبل وبعد ما قيل منظوماً

رجل علق الطلاق بشهر قبل ما بعده قبله رمضان

ثم يندفع في تخريج هذا الفرض وبيان حكمه ، ثم يأتي بعده ابن نجيم الحنفي - صاحب البحر والاشباه - فيتولى الشرح والبيان والتسكيل ويقول : إن هذا البيت يمكن الشاهد على ثمانية أوجه ، الخ .

ويشاركه في ذلك علماء عصره ثم يأتي من بعدهم ابن عابدين من علماء القرن الثالث عشر فيضع رسالة في هذا الفرض تحت عنوان « إتحاف الذكي النبیه ، بجواب ما يقول الفقيه ، ، يشرح فيها آياتنا أولها :

ما يقول الفقيه أيده الله - ولا زال عنده الاحسان

في فتي علق الطلاق بشهر قبل ما بعده قبله رمضان

ويورد في الرسالة آراء جميع من تقدمه من العلماء في الشرح والحكم ، ولا بد أن يجعل الجواب نظماً كالمسؤول ، وهكذا اشغل المتأخرون بمثل هذه الفروض وأعرضوا بها عن تنمية الفقه العملي الذي يحتاج اليه الناس في معاملاتهم وقضيتهم .

٤ - تغلبت نزعة الاشتغال باختراع الحيل التي يتخلص بها من الحكم الشرعي ، ولقد تناولت هذه الحيل كثيراً من أبواب الفقه ، ولم تقف عند الحد الذي أثر عن الأئمة من جعلها وسيلة للتخلص من ضرر أو مكروه ، بل افترضوا حيلاً يسقطون بها الواجبات ، ويفسدون بها الالتزامات ، فتجد حيلاً لإسقاط الزكاة وحيلاً لإسقاط حق الشفعة ، وحيلاً لإسقاط عدة المطلقة ، وحيلاً لإسقاط الحدود ..

وهكذا مما لا يتفق ومقاصد الشريعة - ولقد أطنب ابن القيم أحد أفذاذ علماء القرن الثامن في كتابيه « أعلام الموقعين ، وإغاثة اللفهان من مصائد الشيطان ، في الرد على فكرة الاحتيال على هذا النحو ، وبين أنها مضادة لروح التشريع ، وقال : « إن

المتأخرين أحدثوا حيلاً لم يصح القول بها عن أحد من الأئمة ، ونسبوا اليهم وهم مخطئون ، ، وإذا علمنا أن العناية بالاحتياط الفقهي وصل أمرها إلى أن جعلوه فناً من كتبهم ، وباباً من أبوابها ، لاخذ منا العجب مأخذه ، فهذا ابن نجيم من علماء القرن العاشر يضع عنواناً في كتابه (الاشباه والنظائر) فيقول : الفن الخامس من الاشباه والنظائر وهو فن الحيل . .

٥ - تغلبت روح التعصب المذهبي الشديد ، حتى وصل الأمر في ذلك بين أتباع الأئمة إلى المناقشة في صحة الاقتداء بالخالف في المذهب ، وأخذت هذه المسألة في كل مذهب مجالا واسعا في البحث والتفريع ، ووصل الأمر أيضاً إلى البحث عن حكم الزوج من الشافعية ، فترى السكال بن الهمام وهو في الكلام على حكم الزوج بالوثنيات ينقل عن أحد علماء الحنفية : أنه لايجوز المناكحة بين أهل السنة والاعتزال ، ثم يقول بعد هذا النقل : « ومقتضاه منع مناكحة الشافعية » ، واختلف فيها هكذا : قيل يجوز ، وقيل يتزوج بنتهم ولا يزوجهن بنته . . وترى أثر هذه النزعة في حكم الحاكم بحل متروك التسمية عمداً ، وفي حكم العقد الذي يشترط فيه بعض المذاهب مالا يشترط البعض الآخر . . وهكذا وصل التعصب المذهبي إلى مثل هذا الحد ، وصارت المذاهب بين المسلمين - أو بين أبناء الأزهر - أدياناً يتقاتل أهلها ، ويضال بعضهم بعضاً ، وهي لا تخرج عن أنها آراء وأفهام حذر أئمتها الأولون من تقليدها والعمل بها دون الاطمئنان إليها بمعرفة الحجة والبرهان .

٦ - تغلبت الفكرة القائلة بتحريم تقليد غير المذاهب الأربعة ، فحجروا واسعاً ، ومنعوا رحمة اختصاص الله بها هذه الأئمة ، ولقد ظهرت هذه الفكرة على وجه أوضح منذ عهد قريب ، يوم وضع الأستاذ الشيخ المراغي ، مشروع الزواج والطلاق ، فقام ثلاثة من علماء الأزهر بعمل مذكرة تناهض هذا المشروع ، وتبني مناهضتها على أنه لايجوز تقليد غير المذاهب الأربعة فمكثت المراغي مذكرة قيمة ، لها خطرهما في التوجيه الفقهي والتشريعي ، بين فيها كثيراً من مسائل الاجتهاد والتقليد ، كما بين آراء العلماء في تأثير الفقه بالعرف والعادة ، ويجدر بنا في هذا المقام أن نعلم أن العلماء الذين تناولوا هذه المسألة قديماً واستساغوا أن يحكموا بمنع تقليد غير الأربعة لم ينظروا إلى خصوصية في ذات المذاهب الأربعة ، وإنما جعلوا مناط التقليد على وجه العموم الثقة بالمذهب الذي يقلد ، واطمئنان النفس إلى صحة النقل عنه ، فمن ثبت عنده رأي من آراء الأئمة أو الصحابة جاز له تقليده والعمل

بمقتضاه ، لافرق بين إمام وإمام ، ولا بين الأربعة وغيرهم ، ولهذا يقول الشيخ عز الدين بن عبد السلام « لاخلاف بين الفريقين في الحقيقة ، بل ان تحقق ثبوت مذهب عن واحد منهم جاز تقليده ، وفاقا ، وإلا فلا ، ، ويقول أيضاً « إذا صح عن بعض الصحابة مذهب في حكم من الأحكام لم تجز مخالفته لإبدليل أوضح من دليله ، ، ومن هنا يقول القرافي : « انعقد الإجماع على أن من أسلم فله أن يقلد من شاء من العلماء بغير حرج ، وأجمع الصحابة على أن من استفتى أبا بكر وعمر فله أن يستفتى أبا هريرة ومعاذ بن جبل وغيرهما ، ويعمل بقولهما من غير تكسير ، فمن ادعى دفع هذين الإجماعين فعليه الدليل ، اه ، هذا هو أصل الفكرة فانظروا كيف حرفت وجعل التقليد خاصا بالمذاهب الأربعة ، بل جعل واجبا يذكر تبين ما يجب على المكلف أن يدين به ويعتقده ، فيقول بعض المؤلفين في منظومته : « وواجب تقليد حبر منهم ، وورث الأزهري أيضاً فكرة أن من قلد إماما من الإمة الأربعة فليس له أن يحيد عنه ، بل يجب عليه أن يلتزمه بدون حجة ولا بحث وراء دليل ، ولا يصح أن يقلد غيره ولو في غير ما قلده فيه ، ومذكرة الثلاثة التي أشرنا إليها قد تأثرت بهذه الفكرة أيضاً ، فأوجبت على القاضى أن يحكم بمذهبه ، وحظرت عليه أن يحكم بغيره ، وذلك على الرغم من أن علماء الأصول يقولون في هذه المسألة « والأصح أنه لا يلزم ، إذ لا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله ، ولم يوجب الله ولا رسوله على أحد من الناس أن يتمذهب بمذهب رجل من الأئمة فيقلده في دينه وفي كل ما يأتي ويذر دون غيره ،

ورث الأزهري أيضاً القول بحرمة تتبع رخص المذاهب حتى جعلوا عدم تتبع ذلك شرطاً في صحة تقليد غير الإمام ، وصاحب التحرير يقول أيضاً في هذه المسألة : « ولا يمنع منه مانع شرعى ، إذ للإنسان أن يسلك الأخف عليه إذا كان له إليه سبيل ، ولا أدري ما يمنع هذا من العقل والسمع ، وكون الإنسان يتبع ما هو أخف على نفسه من قول مجتهد مسوغ له الاجتهاد ، ما علمت من الشرع ذمه عليه ، وكان صلى الله عليه وسلم يحب ما يخف على أمته ،

وورث الأزهري فكرة كان لها أثر خطير في انحرافه عن سبيل التفسير الصحيح وتقدير الآراء بقيمتها العلمية : هى خطة المعاداة لطائفة من العلماء نضجت عقولهم وأدركوا أسرار الشريعة ، وخالفوا الناس فى كثير مما درجوا عليه ، وتحرروا من الأغلال التى قيد المقلدون بها أنفسهم ، حكم الأزهري عليهم بأحكام جائرة ،

وشكك في تدينهم وإخلاصهم وآرائهم ، وشوهوا في الكتب وعلى السنة الدعاة بغير حق ، وجعل ذلك سبيلا إلى رفض العمل بآرائهم ، وعدم الاعتداد بأفكارهم فصرفت الانظار عنهم ، وصرنا نسمع من أسباب رفض الرأي : هذا رأى ابن تيمية ، وابن تيمية ضال مضل ، وهذا قول ابن القيم تليذه ، كما يقال : هذا رأى الزحشرى وهو معتزلى ، أو ابن رشد وهو فيلسوف . . . وهكذا ، كأن هؤلاء ليسوا من أهل العلم ، ولا من رجال البحث أو كأن الحق وقف على طائفة من الناس لا يعدوها . . . وأخيرا ورث الازهر فى ذلك العهد : القول بتحريم الاشتغال بالعلوم العقلية والرياضية وأخذ يحارب المشتغلين بها جيلا من الزمن ، ولعل من الطريف فى ذلك أن نشير إلى الاستفتاء الذى تقدم به بعض الناس إلى الشيخ الانبأى شيخ الجامع الازهر ، وإلى مفتى الديار المصرية الشيخ محمد البنا سنة ١٣٠٥ هـ يسألون فيه : هل يجوز تعلم المسلمين للعلوم الرياضية ، مثل الهندسة والحساب والهيئة والطبيعات وغيرها من سائر المعارف ؟ وهل يجوز قراءتها كما تقرأ العلوم الآلية من نحو وغيره فى الجامع الازهر ؟

هذه هى التركة المثقلة التى خلفتها العصور المظلمة ، واحتملها الازهر فى طور مرضه الشديد كعقائد دينية ، وواجبات يرى أن يتمسك بها ، وأن يذود عنها ، وأن يرى خارج محيطه بمن يفكر فى التحلل منها ، ولقد كانت النتيجة الحتمية لهذا الميراث الثقيل أن وقفت حركة التفكير العلمى فى الازهر ، وحرمت نفسه لذة البحث والنقد ، وانحصرت مظاهر التبريز والنبوغ فيه فى القدرة على حل المشاكل اللفظية فى المتون والشروح والحواشى - التى تعود على العلم بكبير فائدة ، وبهذا انقطعت علاقة الازهر بالآلة فى تفكيره وعلومه وتشريعه ، وأصبحت النظرات المتبادلة بينهما كالنظرات المتبادلة بين طائفتين ضاقت كل منهما ذرعا بصاحبتهما ، وأخذت تتربص بها الاحداث والدوائر .

ظل الازهر كذلك حتى هيا الله له - على سنة الله سبحانه : من عدم إخلاء الأمم من يعرف الحق ويدعو اليه - واحدا من أبنائه لا ينسى التاريخ فضله ، هو الاستاذ الامام المصلح له الشيخ محمد عبده رحمه الله ورضى عنه . صاح بالازهر صيحة أيقظته من نومه ، ونهته بعض الشيء إلى واجبه ، وكانت مبادئه وأفكاره بمثابة شعاع انبثق فى أفق الازهر ، انتفع به من انتفع ، وازور عنه من ازور ، ولكن مع ما قوبل به من محاولات متعددة لاطفائه ، ظل قويا وهاجا يجذب إليه

أنظار المؤمنين ، وينفذ إلى بصائر الخالصين ، ويعلو ويتسع أفقه شيئاً بعد شيء .
ومنذ ذلك الحين اتجهت الأنظار إلى وضع نظم لمن شأنها أن تمكن الأزهر من
الانتفاع بهذا النور ، والسير على هداه حتى يقوم برسالاته ، ويصل إلى غرضه المنشود ،
فوضعت نظم متلاحقة متشابهة ضمت إلى العلوم الشرعية والعربية كثيراً من العلوم
العقلية والرياضية فالتسع لها صدر الأزهر ، وهضمتها عقلية الجديدة . والأزهر
الآن في كلياته ومعاهده والقضاء الشرعي والافتاء ، والوعظ والارشاد في المساجد
وغيرها ، كل أولئك ينتفعون بطائفة كبيرة من العلماء الذين تخرجوا في ظلال هذه
النظم ، لهم أثر واضح في حياة الأمة من جميع نواحيها ، واستمر الأزهر كذلك
إلى أن تولى مشيخة الأزهر للمرة الأولى الشيخ محمد مصطفى المراغي ، وهو من أبناء
الأزهر الذين عرفوا تاريخه ، وأدركوا علله وأمراضه ، وهو إلى جانب ذلك تلميذ
بروحه وعلمه وعقله وتفكيره للاستاذ الامام محمد عبده ، فوضع مذكرته التي تصف
علل الأزهر وأدواءه ، وتصف الدواء الناجح لهذه العلل .

« ولكن العلماء في القرون الأخيرة استكانوا إلى الراحة ، وظنوا أن لا مطمع لهم
في الاجتهاد ، فاقفلوا أبوابه ، ورضوا بالتقليد ، وعكفوا على كتب لا يوجد فيها
روح العلم ، وابتعدوا عن الناس فجهلوا الحياة وجهلهم الناس ، وجهلوا طرق التفكير
الحديثة ، وطرق البحث الحديث ، وجهلوا ماجد في الحياة من علم وماجد فيها من
من مذاهب وآراء ، فأعرض الناس عنهم ، ونقموا هم على الناس ، فلم يؤدوا الواجب
الديني الذي خصصوا أنفسهم له ، وأصبح الاسلام بلا حملة ، وبلا دعاء بالمعنى الذي
يتطلبه الدين . » ويقول في شأن النظم المتقدمة : « وإني أقرر مع الأسف أن كل
الجهود التي بذلت لإصلاح المعاهد منذ عشرين سنة لم تعد بفائدة تذكر في إصلاح
التعليم ، وأقرر أن نتائج الأزهر والمعاهد تؤلم كل غيور على أمته وعلى دينه ، وقد
صار من الختم لحماية الدين ، والحماية للأزهر ، أن يغير التعليم في المعاهد ، وأن تكون
الخطوة إلى هذا جريئة ، يقصد بها وجه الله تعالى ، فلا يبالى بما تحدثه من ضجة
وصراخ ، فقد قرنت كل الإصلاحات العظيمة في العالم بمثل هذه الضجة . »

ويقول في وصف الكتب : « هي كتب معقدة لها طريقة خاصة في التأليف ،
لا يفهمها كل من يعرف اللغة العربية ، وإنما يفهمها من مارسها ومرن على فهمها ،
وعرف إصلاح مؤلفتها . » ويقول فيما يختص بدراسة الفقه :

« يجب أن يدرس الفقه الاسلامي دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب ،

وأن تدرس قواعده مرتبطة باصولها من الأدلة ، وأن تكون الغاية من هذه الدراسة عدم المساس بالاحكام المنصوص عليها في الكتاب والسنة ، والاحكام المجمع عليها ، والنظر في الاحكام الاجتهادية لجعلها ملائمة للعصور والامكنة والعرف وأمزجة الأمم المختلفة ، كما كان يفعل السلف من الفقهاء . ويقول فيما يختص بدراسة التفسير والحديث : « يجب أن يدرس القرآن دراسة جيدة ، وأن تدرس السنة دراسة جيدة ، وأن يفهمها على وفق ما تتطلبه اللغة العربية ، وعلى وفق قواعد العلم الصحيحة ، وأن يتعد في تفسيرهما عن كل ما أظهر العلم بطلانه ، وعن كل ما لا ينفع وقواعد اللغة العربية » .

هذه هي مذكرة المراعى التي جعلها دستوره في الاصلاح ، والتي علفت عليه الأمة من أجلها آمالها في إعلاء شأن الدين وانهاض أهله ، وقد رأى تنفيذاً لأغراض هذه المذكرة الاصلاحية ، توزيع التعليم العالي في الأزهر على شعب ثلاث : شعبة للتفسير والتوحيد وتعرف باسم كلية أصول الدين ، وشعبة للغة العربية وتعرف باسم كلية اللغة العربية ، وشعبة للغة الفقه والاصول وتعرف باسم كلية الشريعة . تنوع التعليم العالي إلى هذه الكليات الثلاث ، ووضعت مناهج لكل كلية تبين علومها الأساسية والاضافية ، وجعل وراء ذلك تخصصات وإجازات ، موزعة على هذه الكليات الثلاث .

ويرى الدكتور محمد عبد الله دراز : أن أبداع طابع تمتاز به الجامعة الأزهرية ، ليس هو أنها قد جمعت في تعليمها بين هذين العنصرين الروحي والزمني ، اللذين نراهما منفصلين في سائر الجامعات ، بل ميزتها الكبرى هي أن الميدان الذي تتدفق فيه حيويتها يتجاوز كل حدود التعليم والتثقيف ، ويرتقى إلى دور من أهم الأدوار في توجيه حياة الجماعة . إن رسالة الأزهر على الجملة ، إنما هي امتداد لرسالة الاسلام ، إلا وإن الاسلام ليس مجموعة مبادئ نظرية تغرس في الأذهان وحسب ، وإنما هو قوة دافعة خلاقة ، غايتها أن تنظم السلوك الانساني تنظيماً فعالياً ، طبقاً لاسمى المثل وأسلسها قياداً على التنفيذ العملي . فليس يكفيه إذاً أن يبين هذه المبادئ دون أن يسهر على تطبيقها . . . وهذا التطبيق لا يخص سلوك الفرد في نفسه ، أو في أماكن عبادته وكفى ، لأن قانون الاسلام ، الذي هو موضوع التطبيق ، لا يعرف هذا الفصل بين الدين وشؤون الحياة ، بل إن قواعده العملية تمتد إلى جميع ميادين

النشاط الاقتصادي والأخلاقي ، في حياة الفرد ، والأسرة . والأمة ، بل في حياة الجماعة الإنسانية كلها .

وقد عني الأزهر - إلى جانب تكوينه لأسرة التدريس - بتخريج جماعة من المصلحين الاجتماعيين ، ليسكونوا في صلة دائمة بالشعب ، ويتجهوا إليه بإرشاداتهم في كل مناسبة . ولدى الأزهر منهم الآن أكثر من ٢٥٠ واعظاً ، موزعون توزيعاً متناسباً بين العاصمة وسائر الأقاليم ، وإن العدالة ، و الأمن ، لمدينان أعظم الدين لجليل نصائحهم التي يوجهونها إلى الجماهير ، وإلى الأسرة الحسنة التي يقدمونها لهم في سيرتهم الشخصية ، وإلى طرق الإصلاح التي يهدونها لهم في المنازعات ، كما تشهد بذلك السجلات الرسمية . وفي الوقت نفسه نجد في الأزهر لجنة دائمة من العلماء تتلقى المكاتبات من كل سائل ، عما أشكل عليه من أحوال السلوك وشؤون المعاملات ، وتجيبه بما يزيل شبهته ، ويشير له السبيل السوي .

ومن وراء ذلك كله - وفوق كل هذه الخدمات الجليلة - يتمتع الأزهر بسلطة معنوية أكثر عمقا ، وأبعد حدوداً ، يستعملها في توجيه المجتمع الإسلامي ، لافي مصر وحدها ، بل في سائر البلاد الإسلامية . وها هنا أيضاً لا تعوزنا الشواهد لإبراز هذه الحقيقة . فلقد أتى على عرش مصر لحظة من الزمن ، في سنة ١٨٠٥ م ، كان فيها يبدو وتردداً بين « خورشيد » و « محمد علي » . فكان الثقل الذي وضعه نفوذ الأزهر هو الذي رجح كفة الميزان في جانب محمد علي ، ووضع الباب العالي أمام الأمر الواقع في اختياره والياً على مصر . وفي سنة ١٩١٩ كان الأزهر هو المنبر الذي ارتفع منه أقوى صوت في المطالبة بإلغاء الحماية الإنجليزية ، وكان حرم الأزهر هو المهد الذي ولدت فيه الوحدة التي لا تنقسم عراها بين أقباط مصر ومسلميها ، لأحباط الدسائس البريطانية التي حيكت للتفريق بين العنصرين : أما نفوذ الأزهر في الاقطار الإسلامية فليس من نوع ذلك النفوذ الغامض البعيد ، الذي يتمتع به الأزهر بفضل مهابة اسمه وجلال مركزه فحسب ، بل إن له في تحقيقه وسائل حية ، وأدوات ناطقة . نعم ، أليس للأزهر ممثلوه في أقطار الاسلام ، ولتلك الاقطار ممثلوها فيه ؟ أو ليس هؤلاء الممثلون من الجانبين هم حلقة الاتصال المتبادل الذي يحفظ وينمي هذه العلاقات الوثيقة بين الطرفين في مختلف النواحي الثقافية والأدبية والروحية ؟

فأما من أحد الجانبين ، فإن الدولة الإسلامية لا تنفصا تلتئم من الأزهر في كل عام ، عددا من علمائه ليبصروا شعوبها بحقائق الاسلام ، أو ليكونوا أعضاء في هيئات التدريس في جامعاتها ومعاهدها ، ولا يسع الأزهر إلا أن يرحب دائما ببنائهم فلا يرد لهم ملتصقاً . وقد بلغ الآن عدد المندوبين من علماء الأزهر في خارج القطر ١٢٥ مدرسا في الاقطار الممتدة من جزائر الفيليبين إلى مملكة ليبيا . بل إن الدول الغربية قد أفادت من نظام الانتداب المذكور ، سواء لتغذية جامعاتها ، أو لإدارة مراكز الاسلام الثقافية فيها . وما نحن أولاء نرى من أساتذة الأزهر مندوبين بالفعل في « لوندرة » ، و « واشنطن » ، و « سان فرانسيسكو » ، وقد نرى قريبا وصول هذا المدد إلى « باريس » أيضاً . . .

ونعود إلى الاقطار الإسلامية فنقول : إن صلتها الوثيقة بالأزهر تقوم - من جهة أخرى - على تلك الألوف من شباب المتعلمين الوافدين منها ، والذين يتبناهم الأزهر فيطعمهم بطابعه ، ويصنعهم على طرازه . وإن الحفاوة التي يقدمها لهم لمفعمه بأنواع الكرم والضيافة . فهو يؤويهم بالمجان ، ويمنح كلا منهم شهريا مقدارا من المال كافيا لمعيشته ، وعلى الرغم من زيادة عددهم عاما بعد عام ، فإن هذه المرتبات يجدونها مكفولة لهم على الدوام ، كما أن الجامعة تهيم لهم في أثناء العام رحلات مدرسية بالمجان إلى الأماكن الأثرية ومعالم السياحة ، وتعد لهم في الصيف مقاما هادئا على شواطئ البحر في الاسكندرية . وفي نهاية دراستهم تمنحهم شهادات ينفعون بها عند عودتهم ، لافي التدريس فحسب ، بل في مختلف المناصب في بلادهم . ولقد بلغ عدد هؤلاء الضيوف في هذا العام أكثر من ثلاثة آلاف طالب ، هم سفراء الأزهر غداً إلى بلادهم . فإذا سارت الأمور على هذا المنوال لم تمض بضعة عشرات من السنين حتى يكون الأزهر قد جعل من جميع الشعوب الإسلامية أمة واحدة متجانسة في ثقافتها ، كما هي متجانسة في عقيدتها وآدابها .

على أن الرسالة الحقيقية للأزهر لن تتحقق على وجهها الأكمل إلا إذا تجاوزت حدودها الإقليمية في الشرق الاسلامي ، وأسمعت صوتها من وراء تلك الحدود .

نعم إننا اليوم - وقد تنازعت العالم قوى متناحرة ، وآراء متنافرة ، قد عجزت أطرافها أن تلتقي عند حد وسط يوفق بينها . وقد أخذت في صراعها تسرع بنا الخطا نحو الكارثة الكبرى - أقول إننا اليوم لنى أمس الحاجة إلى قوة ثالثة تنسم بطابع التعادل والتوازن ، لاعن طريق التلقيق بين عناصر متناكرة ، بل عن طريق وحدة

طبيعية متماسكة يتألف فيها عنصر المادة والروح ، وتساند فيها مطامح المنفعة وعواطف الايثار ، وتتعاقد فيها حرية الفرد وسلطان الدولة ، وتندرج بها المصالح القومية في نطاق الرحمة الانسانية العالمية ، وبالجمله فإننا اليوم في أشد الحاجة إلى تلك الحكمة الشرقية الاسلامية التي يعدد الأزهر خير ممثل لأدائها ، ويوم يتمكن الأزهر من أن يصوغ هذه السياسة الرشيدة في أسلوب واضح سائغ محدد ، ويتيسر له من الوسائل ما ينشر به هذه المبادئ في الميدان العالمى ، ويمدى فيه المعسكران المتصارعان في الوقت نفسه من حسن النية وقوة العزيمة ما يجعلهما يصغيان إلى ندائيه الحكيم يومئذ يكون لنا أن نتحدث بحق وصدق عن السلام الشامل ، و د الأمن العالمى الكامل ، لاحتلنا من نسيج الأوهام ، ولكن حقيقة حية صالحة للبقاء .

- ٧ -

ويرى مصطفى صادق الرافعى أن أول شيء في رسالة الأزهر في القرن العشرين عنده ، أن يكون أهله قوة إلهية معدة للنصر ، مهابة للنضال ، مسددة للإصابة ، مقدرة في طبيعتها أحسن تقدير ، تشعر الناس بالاطمئنان إلى عملها ، وتوحى إلى كل من يراها الايمان الثابت بمعناها ، ولن يتأتى لهم هذا إلا إذا انقلبوا إلى طبيعتهم الصحية ، فلا يكون العلم تحرفاً ولا مهنة ، ولا يكون في أوراق الكتب خيال . . . بل تظهر فيهم العظمة الروحانية آمرة ناهية في المادة لأمورة منبهة بها ويرتفع كل منهم بنفسه ، فيكون مقرر خلق في الحياة قبل أن يكون معلم علم ، لينبث منهم مغناطيس النبوة يجذب النفوس بهم أقوى مما يجذبها ضلالات العصر ، فما يحتاج الناس في هذا الزمن إلى العالم — وإن الكتب والعلوم لتمثّل الدنيا — وإنما يحتاجون إلى ضمير العالم ، وقد عجزت المدنية أن توجد هذا الضمير ، مع أن الاسلام في حقيقته ليس شيئاً إلا قانون هذا الضمير ، إذ هو دين قائم على أن الله لا ينظر من الانسان إلى صورته ولكن إلى عمله ، فأول ما ينبغي أن يحمله الأزهر من رسالته ضيائر أهله .

والناس خاضعون للمادة بقانون حيائهم ، وبقانون آخر هو قانون القرن العشرين . . . فهم من ثم في أشد الحاجة إلى أن يجدوا بينهم المتسلط على المادة بقانون حياته ليروا بأنهم القوى الدينية مغلوبة ، ثم يجدوا في هذا الانسان أساس القدوة والاحتذاء فيتصلوا منه بقوتين : قوة التعليم وقوة التحويل . . هذا هو سر الاسلام الأول الذى نفذ به من أمة إلى أمة ولم يقم له شيء يصده إذ كان ينفذ في الطبيعة الانسانية نفسها .

ومن أخص واجبات الازهر في هذا القرن العشرين أن يعمل أول شيء لاقرار معنى الاسلام الصحيح في المسلمين أنفسهم ، فان أكثرهم اليوم قد أصبحوا مسلمين بالنسب لاغير ... ومامنهم إلا من هو في حاجة إلى تجديد الاسلام . والحكومات الاسلامية عاجزة في هذا ، بل هي من اسباب هذا الشر لأن لها وجودا سياسيا ووجوداً مدنيا ، أما الازهر فهو وحده الذي يصلح لاتمام نقص الحكومة في هذا الباب ، وهو وحده الذي يسهل ما تعجز عنه ، وأسباب نجاحه مهياة ثابتة إذ كان له بقوة التاريخ حكم الزعامة الاسلامية ، وكانت فيه عند المسلمين بقية الوحي على الأرض ، ثم كان هو صورة المزاج النفسى الاسلامى المحض ، بيد أنه فرط في واجب هذه الزعامة وفقد القوة التى كان يحكم بها وهى قوة المثل الأعلى التى كانت تجعل الرجل من علمائه كما قلنا مرة ، إنسانا تنخيره المعانى الانسانية تظهر فيه بأسلوب عملى فيكون في قومه ضرباً من التربية والتعليم بقاعدة منتزعة من مثالها مشروحة بهذا المثل نفسه ، والعقيدة في سواد الناس بغير هذا المثل الأعلى هى أول مغلوب في صراع قوة الحياة .. لقد اعتاد المسلمون من قديم أن يجعلوا أبصارهم إلى علماء الازهر ، ولذلك فهم يتبعونهم ويتأسسون بهم ويمنحونهم الطاعة وينزلون على حكمهم ويلتمسون في سيرتهم التفسير لمشكلات النفس ويعرفون بهم معنى صغر الدنيا ومعنى كبر الاعمال العظيمة ، وكان غنى العالم الدينى شيئاً غير المال بل شيئاً أعظم من المال إذ كان يجد حقيقة الغنى في إجلال الناس لفقره كأنه ملك لا فقير ، وكان زهده قوة حاکمة فيها الصلابة والشدة والهيبة والسمو وفيها كل سلطان الخير والشر لأن فيها كل النزعات الاستقلالية ، ويكاد الزهد الصحيح يكون هو وحده القوة التى تجعل علماء الدين حقائق مؤثرة عاملة في حياة الناس أغنيائهم وفقرائهم ، لاحقائق متروكة لنفسها يوحش الناس منها أنها متروكة لنفسها ، وعلماء الازهر في الحقيقة هم قوانين نفسية نافذة على الشعب ، وعملهم أرد على الناس من قوانين الحكومة ، بل هم التصحيح لهذه القوانين إذا جرت الامور على علمها وأسبابها ، فيجب عليهم أن يحققوا وجودهم وأن يتناولوا الامة من ناحية قلوبها وأرواحها ، وأن يعدوا تلاميذهم في الازهر كما يعدون القوانين الدقيقة لاطلاباً يرتزقون بالعلم ، أين صوت الازهر وعمله في هذه الحياة المسائجة بما في السطح وما في القاع ... وأين وحي هذه القوة التى ميثاقها أن تجعل النبوة كأنها شيء واقع في الحياة العصرية لا خبر تاريخى فيها . ؟ لقد أصبح إيمان المسلمين كأنه عادة الايمان لا الايمان نفسه ، ورجع الاسلام في كتبه الفقهية وكأنه أديان مختلفة متناقضة

لادين واحد . فرسالة الازهر أن يحدد عمل النبوة في الشعب ، وأن ينقح عمل التاريخ في المكتب ، وأن يبطل عمل الوثنية في العادات ، وأن يعطى الأمة دينها الواضح السمع | الميسر وقانونها العمل الذي فيه سعادتها وقوتها ، ولا وسيلة إلى ذلك إلا أن يكون الازهر جريئاً في قيادة الحركة الروحية الاسلامية ، جريئاً في عمله لهذه القيادة ، آخذاً بأسباب هذا العمل ، ملحاً في طلب هذه الأسباب . مصرأ على هذا الطلب . وكل هذا يكون عبثاً إن لم يكن رجال الازهر وطلبته أمثلة من الأمثلة القوية في الدين والخلق والصلابة لتبدأ الحالة النفسية فيهم ، فانها إن بدأت لاتقف ، والمثل الاعلى حاكم بطبيعته على الانسانية مطاع بحكمه فيها . محبوب بطاعتها له . والمادة المطهرة للدين والاخلاق لاتجدها الا في الازهر ، فعلى الازهر أن يثبت أن فيه تلك المادة باظهار عملها لا بالصاق الورقة المكتوب فيها الاسم على الزجاج . . ومن ثم يكون واجب الازهر أن يطلب الاشراف على التعليم الاسلامي في المدارس وأن يدفع الحركة الدينية دفعاً بوسائل مختلفة : أولها أن يحمل وزارة المعارف على إقامة فرض الصلاة في جميع مدارسها ، وأن يقود مدرسة حرية الفكر . . والامة الاسلامية كلها تشد رأى الازهر في هذا . وإذا نحن استخرجنا التفسير العملي لهذه الآية السكرية : دأب إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، دلنا الآية بنفسها على كل تلك الوسائل ، فما الحكمة هنا إلا السياسة الاجتماعية في العمل . وليست الموعظة الحسنة إلا الطريقة النفسية في الدعوة ، العلماء ورثة الانبياء . وليس النبي من الانبياء إلا تاريخ شدايد وحن ، ومجاهدة في هداية الناس ، ومراغمة للوجود الفاسد ، ومكابدة النصحيح للحالة النفسية الأمة . فهذا كله هو الذي يورث عن الانبياء لا العلم وتعليمه فقط .

وإذا قامت رسالة الازهر على هذه الحقائق ، وأصبح وجوده هو المعنى المتمم للحكومة المعاون لها في ضبط الحياة النفسية للشعب وحياطتها وأمنها ورفاهتها واستقرارها — اتجهت طبيعته إلى أداء رسالته الكبرى للقرن العشرين بعد أن يكون قد حقق الذرائع إلى هذه الرسالة من فتح باب الاجتهاد وتنقية التاريخ الفقهي وتهذيب الروح الاسلامي والسمو به عن المعاني الكلامية الجدلية السخيفة ، ثم استخرج أسرار القرآن الكريم المكتتة فيه لهذه العصور العلمية الاخيرة ، وبعد أن يكون قد اجتمعت فيه القوة التي تمسك الاسلام على سنته بين القديم والجديد ، لا ينكره هذا ولا بغيره ذلك ، وبعد أن يكون الازهر قد استفاد على العالم العربي

بكتبه ودعائه ومبعوثيه من حاملي علمه ورسلي إلهامه .
أما تلك الرسالة الكبرى فهي بث الدعوة الإسلامية في أوروبا وأمريكا واليابان ،
بلغات الأوروبيين والأمريكيين واليابانيين في ألسنة أزهرية مرهفة مصقولة لها
بيان الادب ودقة العلم وإحاطة الفلسفة ، وإلهام الشعر ، وبصيرة الحكمة ، وقدرة
السياسة ، ألسنة أزهرية لا يوجد الآن منها لسان واحد في الأزهر ، ولسكنها أن
توجد إلا في الأزهر ، ولا قيمة لرسالته في القرن العشرين إذا هو لم يوجد فتكون
المتكلمة عنه والحاملة لرسالته ، وما هذه البعثات التي قرر الأزهر ابتعاثها إلى أوروبا
إلا أول تاريخ تلك الألسنة .

أنا مستيقن أن فيلسوف الإسلام الذي سينتشر الدين على يده في أوروبا وأمريكا
لن يخرج إلا من الأزهر ، وما كان الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله إلا أول
التطور المنتهي إلى هذه الغاية ، وسيكون عمل فلاسفة الأزهر استخراج قانون
السعادة لتلك الأمم من آداب الإسلام وأعماله ثم مخاطبة الأمم بأفكارها وعواطفها
والإفضاء من ذلك إلى ضميرها الاجتماعي فان أول الدين هناك أسلوبه الذي يظهر به .
هذه هي رسالة الأزهر في القرن العشرين يتحقق بوسائلها من الآن ، ومن وسائلها
أن يعالين بها لتكون موثقاً عليه ، ويحسن بالأزهر في سبيل ذلك أن يضم إليه كل
مفكر إسلامي ذي إلهام أو بحث دقيق أو إحاطة شاملة ، فتكون له ألقاب علمية
يمنحهم إياها وإن لم يتخرجوا فيه ، ثم يستعين بعلمهم وإلهامهم وآرائهم ، وبهذه الألقاب
يمتد الأزهر إلى حدود فكرية بعيدة ويصبح أوسع في أثره على الحياة الإسلامية
ويحقق لنفسه المعنى الجامعي ، وفي تلك السبيل يجب على الأزهر أن يختار أياماً في
كل سنة يجمع فيها من المسلمين (قرش الإسلام) ليجد مادة النفقة الواسعة في نشر
دين الله . وليس على الأرض مسلم ولا مسلمة لا يبسط يده ، فما يحتاج هذا التديير
لأكثر من إقراره وتنظيمه وإعلانه في الأمم الإسلامية ومواسمها الكبرى وخاصة
موسم الحج .

ونشر العقاد كلمة عام ١٩٤٧ عن الأزهر وإصلاحه ورسالته قال فيها :
خير ما يطلب للأزهر هو أن يزداد نصيبه من الجامعة العلمية ، وأن يزداد
نصيبه من المشاركة في الأعمال الدنيوية ، وأن يحال بينه وبين العزلة والانقطاع ،
ونحن من المؤمنين بماضي الأزهر العظيم ، ولسكننا أشد إيماناً بمستقبله بنا بماضيه ،

لان وظيفته في الماضي كانت وظيفة واحدة لامنازع فيها ، أما وظيفته في المستقبل فوظيفتان ينهض بهما فيكون له شأنان متعادلان في حكمة الاسلام وحكمة العلم الذي يعمل به المسلمون وغير المسلمين ، فالجامع الازهر أحق مكان بأن يحى الفلسفة القديمة التي عاشت فيه وحده يوم ماتت في جوانب الدنيا بأسرها ، ومن إحياء هذه الفلسفة أن يزواج بينها وبين مستحدثات التفكير في كل عصر وبين كل قبيل ، والجامع الازهر أحق مكان بتوسيع المنطق الذي تمكنت فيه أسسه ونهيات لما يضاف إلى هذه الاسس من أركان جديدة ، في مذاهب المناطقة المحدثين ، والجامع الازهر أحق مكان بأن يعرض العقيدة الاسلامية المستنيرة على أهل المشرق والمغرب لانه أقدر على هذه الرسالة من الآحاد أو الجماعات التي تصدت لها في غير مصر من الاقطار الاسلامية ، والجامع الازهر أحق مكان بأن يقصده الصينى من أقصى الشرق كما يقصده « الهندلاندى » من أقصى الشمال ، أو يقصده الزنجبارى من أقصى الجنوب لانهم يتعلمون فيه ما لا يجدونه في غيره من الجامعات المعصورة على العلوم الطبيعية . والجامع الازهر أحق مكان بأن يتدارك عيب العصر الحاضر وهو العيب الجسمانى الذى يتمثل فى العزل بين عالم العقل وعالم الروح . فيتعلم فيه الرجل وهو مؤمن ويؤمن فيه وهو عالم ، ويحسن قيادة المتدينين المتعلمين ، ونحن كبىرو الرجاء فى إنجاز هذه المهمة العظمى بعد أن صارت مشيخة الازهر إلى أستاذ الفلسفة الاسلامية على أحدث المناهج العصرية . فانه أقدر الناس على أن يحقق للجامع الازهر وظيفته فى ثقافة العقل وثقافة الروح ، وأعوانه من الازهريين غير قليلين .

ويقول الاستاذ مصطفى حبيب من كلمة له ألقاها فى المؤتمر الثقافى العربى عام ١٩٥٠ ، وقد كان من المندوبين فيه عن الازهر : الاتجاهات التعليمية السائدة فى الازهر الآن هى :

١ - العمل على تعميم التعليم الدينى فى البلاد بافتتاح المعاهد الدينية فى جميع العواصم والمراكز الكبيرة ، وتيسير هذا التعليم على الناس بمتابعة ما جرى عليه عرف الازهر من قديم ، من مجانية التعليم الدينى ، وتشجيع الطلاب بتقرير مكافآت مادية تعينهم على مواصلة الدرس ، وقد قطع الازهر فى هذا الاتجاه شوطاً بعيداً فافتتح فى السنوات الاخيرة خمسة معاهد ، هى : قنا وسوهاج والمنيا والمنصورة وسمنود ، وأعان على أن تنتشر المعاهد الحرة فى البلاد بما قدمه لها من العون العلمى

والمادى . فقد تعهد الازهر بتزويد كل معهد حر بالمدرسين على حساب ميزانيته فضلاً عن تقرير إعانة استيفاء لكل معهد ، مما حفز على انتشار التعليم الدينى فى البلاد وإنشاء المعاهد الحرة .

٢ — تشجيع التعاون الثقافى بين الازهر والمعاهد الاسلامية فى البلاد الاسلامية جميعها ، ليوحد بين ثقافة أبناء هذه الشعوب وثقافة الازهر ، وليعاون على إيجاد رأى عام إسلامى موحد ، وليدخل على هذه المدارس الانظمة الاصلاحية التى قام بتجربتها الازهر ، ليساهم بنصيب فى الرقى الفكرى والعلمى للشعوب العربية الاسلامية ، والازهر الآن فى جميع البلاد الاسلامية والعربية مدرسون من خيرة أبنائه المتأثرين بالأفكار الحديثه يبدئون تعاليم الازهر ورسائله الاصلاحية فى نجد والحجاز وسوريا ولبنان والعراق والكويت وأسمرة ، ويساهم الازهر بنصيب كبير فى تمويل هذه الحركة العلمية ، إيماناً منه بفائدتها لمصر والعالم الإسلامى كله .

٣ — نشر الثقافة الاسلامية فى البلاد المتخلفة علمياً والتي هى فى مسيس الحاجة إلى التنوير فى شئون دينها ، والازهر معنى بهذه الناحية أشد العناية ، وقد وجه مبعوثين من رجاله لدراسة أحوال المناطق الافريقية فى جنوب السودان وأوغندة وأريتريا وشرق أفريقيا ، وقد وضعت تقارير مفصلة عن أوجه المساعدة المثمرة لهذه الجهات ، وأرسل الازهر فعلاً بعثة علمية إلى أريتريا وجوبا ، وهو بسبيله إلى إرسال بعثات جديدة الى الصومال ونيجيريا وأوغندة وشرق أفريقيا .

٤ — العناية بنشر الاسلام وتعاليمه الصحيحة فى جميع البلاد ، وإيجاد صلة قوية ورابطة متينة بين المسلمين فى كافة أقطار الارض عن طريق التبادل الثقافى ، وإنشاء مراكز إسلامية تزود بالمكتبات والعلماء الباحثين والوعاظ لسد حاجات الناس فى هذه البلاد إلى الثقافة الاسلامية ، ويسير الازهر فى هذا الاتجاه بخطى حثيثة ، وأستطيع القول بأن الازهر اليوم متصل بجميع الهيئات العلمية والاسلامية فى أوروبا وأمريكا وآسيا ، وله مكتب ثقافى فى لندن ، وآخر فى الباكستان ، وثالث فى الفلبين ، وهو يدرس اليوم مشروعات متعددة لإنشاء مكاتب أخرى فى الولايات المتحدة والارجنتين والملايو وأندونيسيا ، ولكنه على أية حال لم يحقق بعد كل ما يرجوه من التوسع فى هذه الناحية لأنها تحتاج إلى المال والرجال :

٥ — العناية بالبعوث الاسلامية الوافدة إلى الازهر من كل بقاع الارض وتعليمها وتثقيفها ثقيفاً دينياً وعلمياً ، ليكونوا هداة لقومهم يرشدونهم

إذا رجعوا إليهم ، ولا يدخر الأزهر وسعا في هذا السبيل ، فهو يشجع الطلاب الراغبين على الوفود ، كما يحض الهيئات الإسلامية والحكومات الإسلامية على إرسال أبنائها إلى الأزهر ، وهو يعد لهؤلاء الطلاب أماكن صحية للسكن ، ويمدهم بمعونة مادية تيسر لهم طلب العلم وتعينهم على الحياة في مصر . وفي الأزهر الآن ألفان من طلاب البعثات الإسلامية يمثلون كافة البلاد الإسلامية . وقد أعد لهم الأزهر دراسات خاصة تعينهم على معرفة اللغة العربية معرفة تؤهلهم للاندماج في سلك الدراسة مع إخوانهم المصريين . وقد بلغت البعثات الإسلامية اليوم حدا لم تبلغه في عصور الأزهر الذهبية في القرن الثامن الهجري حين سقطت بغداد وفرأ أبناء المسلمين إلى الأزهر يدينهم . فقد كان تعدادهم حينذاك كما روى المقرئ ٧٥٠ طالبا . وكان هذا يعتبر رقما قياسيا ، أما اليوم فهم يربون على الألفين ، والباب ما يزال مفتوحا على مصاريعه لتقبل كل من يريد العلم والتفقه فيه . فالأزهر لا يرد عن رحابه طالب علم .

٦ — إعداد بيئة من العلماء النابغين في علوم الدين إعدادا يؤهلهم لنشر الدعوة

الإسلامية والثقافة الإسلامية في البلاد التي تتكلم باللغات الأجنبية بتمكينهم من الدراسة في الجامعات الأوروبية ، ليتصلوا بالحياة العقلية في الغرب ، ويجيدوا اللغات الأجنبية كتابة وخطابة ، ويكونوا مزاجا جديدا من الدراسة يلائم حاجة العصر ، ويسد حاجات البلاد الإسلامية الناطقة باللغات الأجنبية إلى مدرسين وأساتذة . وقد أدرك الأزهر قيمة هذا العمل العظيم فأرسل بعثة مكونة من عشرة من خيرة أبنائه إلى بريطانيا ليدرسوا في جامعاتها ، وما يزال الأزهر في حاجة إلى المزيد من هذه البعثات ليسكثر بين أساتذته ومدرسيه من يجمعون بين الثقافتين الأزهرية والغربية ، ليسكونوا في المستقبل القريب نواة لبيئة التدريس الجامعية .

٧ — يتجه الأزهر منذ سنوات إلى التخلص من الكتب التقليدية القديمة في الدراسة ، وتشجيع الأساتذة على تأليف كتب جديدة تتناسب مع العصر الحديث في حسن العرض والتبويب ، ليسهل على الناس الاطلاع عليها ، لأن الكتب القديمة على وضعها الحالي كتب معقدة لها طريقة خاصة في التأليف لا يفهمها إلا من مارسها ومرن على فهمها . . . وقد بدأ الأزهر يوزن يكتتبون ويؤلفون ، ولكنهم لم يحققوا بعد الآمال المعقودة عليهم ، إذ ما يزال في أعناقهم للعالم الإسلامي وأبناء هذا الجيل دين يجب أن يوفوه : هو تبسيط الحقائق العلمية وتقريبها إلى الأذهان ، وتشويق الناس للاطلاع على مافي الدين الإسلامي والتشريع الإسلامي من كنوز في المعرفة .

٨ - يدرس الأزهر الآن الفقه الاسلامي دراسة خالية من التعصب لمذهب بعينه ، بل ويدرس المقارنات بين المذاهب ، وقد أتاحت هذه الروح التي تسود الأزهر الآن النظر في الاحكام الاجتهادية لجعلها ملائمة للعصر والعرف وتطور الامة والشعوب ، واستنباط الاحكام التي تتمشى مع سير الزمن . وقد أصبح بفضل هذه الروح في الأزهر جماعة من أفاضل العلماء تعمل على تزويد رجال التشريع بالاحكام الاجتهادية من كافة الائمة ، غير مقيدين بمذهب بعينه أو إمام بعينه . وقد صدرت القوانين الاخيرة في احكام الوقف والوصية بعد دراسة حرة لجميع الآراء ، وأخذت الاحكام من جميع المذاهب ومن آراء الائمة والمجتهدين بما يلائم مصلحة الائمة ويسد حاجات الجيل . وتلك خطوة جريئة إن أغضبت المتزمتين ، فقد أرضت الله ورسوله . ويتجه الأزهر في هذه الايام إلى إنشاء معهد للفقه المقارن يقوم على هذه الدراسات الحرة وينميها ، لينتفع العالم بآثار الاجتهاد ، بما يحفز العقل البشري على التقدم لخدمة الانسانية .

٩ - يعنى الأزهر بإحياء كتب السنة وجمعها في كتاب واحد حسن التبويب ، تيسيرا للسنة على الراغبين في الاطلاع عليها . وتقوم بالأزهر الآن لجنة برئاسة الأستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر للعمل على إخراج هذا المشروع .

١٠ - يعنى الأزهر أشد العناية بدراسة اللغة العربية والنهوض بأساليبها التعليمية وإبراز كنوزها للناس . وقد نهض بكلية اللغة العربية نهضة كبيرة أصبحت بفضلها تنافس معاهد اللغة العربية في مصر منافسة قوية ، أفادت العلم واللغة في مصر والشرق . وهام أولاء أبناء كلية اللغة العربية منبثون في جميع المدارس والمعاهد الأزهرية والحكومية يؤدون رسالة الأزهر في خدمة اللغة والنهوض بها على نمط إشراخ الإعجاب والتقدير من الجميع .

١١ - عمل الأزهر جادا على تقرير تعليم الدين في المدارس الحكومية وجعله مادة أساسية ، لينشأ ناشئ الفتيان منا على التمسك بأحكام الدين والرعاية لفضائله ، إيمانا منه بان ما ينطبع في نفس الطفل منذ نعومة أظفاره من إيمان وتدين ، لا يمكن أن تؤثر فيه الايام ، بل يظل أساسا صالحا يوجه رجال المستقبل إلى الخير ، ويحفزهم على البر بانفسهم وأهليهم وأوطانهم . وقد نجح الأزهر بتقرير دراسة الدين بالمدارس

١٢ - يعنى الأزهر بإحياء الشعور الديني ، وتنمية روح التدين بين الطبقات المكادحة من العمال والفلاحين ، وتنويرهم في شئون دينهم ، وتعريفهم بفضائله ،

لتتقوى فيهم روح المحبة والتألف ويبعد عن صفوفهم المبادئ المنحرفة التي تتنافى مع الدين والخلق . وينبث اليوم عشرات الوعاظ من أبنائه في صفوف الشعب يخاطبونه بالأسلوب القريب إلى نفسه ، ويعالجونه علاجاً نفسياً يقوى عزائمه ويثبت إيمانه .

١٣ - يعنى الأزهر عناية جدية بوعظ السيدات وتعليمهن شئون دينهن ، ليسكن خير مربيات لأبنائهن ، وايغرس في نفوسهن منذ الحداثة الايمان بالله وحب الوطن ، وهو يعقد لذلك مئات الدروس كل يوم من أقصى الصعيد إلى القاهرة ، ومن القاهرة إلى البحر الأبيض المتوسط ، للوعظ والإرشاد والتعليم .

وفي نفوس رجال الأزهر مشروع لإنشاء معهد لتعليم البنات والسيدات العلوم الدينية والعربية ، لإحياء لسنن السلف الصالح من العناية بتثقيف السيدات وإتاحة الفرصة لهن ليتفقهن في الدين ، نرجو أن يتحقق في القريب العاجل . وليس تعليم السيدات بالأزهر بجديد ، فقد سبق الأزهر العالم كله منذ انشائه حين كانت تعقد فيه دروس خاصة للسيدات ، وكان بعضهم يحضرن الدروس العامة ليتفقهن في الدين كالرجال سواء بسواء .

هذه بعض جهود الأزهر في ربع قرن ، وهذه هي خطواته بعد الإصلاح ، وهي إن لم تكن أوفت على الغاية فقد جاوزت البداية القلقة ، وثبتت أقدام الإصلاح . والأزهر بعد يسير بخطى جبارة ، وما هي إلا عشية أو ضحاها حتى يجمع فيها أنفاسه بعد هذا الجهد الشاق إلا ويستبق الزمن ويقفز إلى الطليعة يقود البلاد كعهده في الثقافة واللغة وعلوم الدين ، ويهيئ للمجتمع الاسلامي كله حياة طيبة نافعة تسلكه مع أمم الأرض في الرقي والحضارة .

وقد ألقى الشيخ عباس الجبل في إبريل عام ١٩٣٦ محاضرة موضوعها رسالة الأزهر ، كان خلاصتها أن الأزهر إنما قام لنشر فقه الشيعة وعقائدهم ومبادئهم الدينية والسياسية . وأن الفرنسيين حين دخلوا مصر اتخذوا شيوخ الأزهر صنائع للدعاية لهم ، ولكن الذي جنى ثمرة ذلك هو محمد علي لا الفرنسيون . ثم ذكر أن الأزهر أدى رسالته العلمية في القرن التاسع عشر أداء مناسباً ، وكانت زعامة الأدب العربي في الكتابة والخطابة إلى ابن من أبنائه هو محمد عبده ، ثم سعد زغلول .. ولكن الأزهر لم يظفر بأن ينال من زعامة الشعر شيئاً . . وقد رفض الأزهر ما طلبه منه الخديوي

إسماعيل من تشريع قوانين مستمدة من الشريعة الإسلامية لتكون قوانين للحاكم
الاهلية ، فرجع الخديوي وحكومته الى القوانين الفرنسية تأخذ منها ما تشاء ، وبذلك
تحمل الأزهر هذا الاثم الشديد ، ولكنه عاد فقدم للحاكم الشريعة قوانين ونصا.
وفي قوانين الأزهر الاخيرة ما يرشد الى رسالة الأزهر ، فهو المعهد الدينى
العلمى الإسلامى الأكبر ، والغرض منه القيام على حفظ الشريعة الإسلامية الفراء
وأصولها وفروعها واللغة العربية ، وعلى نشرهما تخريج من يوكل اليهم تعليم علوم
الدين واللغة ويلون وظائف الدولة الشرعية .. واستطرد من ذلك الى أن الأزهر
أمامه طريق شائك وليل مظلم ، وأنه لا يستطيع بحالته أن يسير لأداء رسالته ،
وطلب أن يرتفع الأزهر بائتمته وعلمائه ومفتيه ، وان يجتهد الأزهر فيصلاح ما فسد
فيه ، ويسير لأداء رسالته الصحيحة ، رسالة الهدى والاصلاح .

وفي عام ١٩٣٦ أعلن على ماهر عن عدة مسابقات تمنح الحكومة فيها مكافآت
سخية للفائزين ، وكان من موضوعات هذه المسابقة « رسالة الأزهر فى القرن العشرين » ،
وقد فاز بالجائزة الاولى فيها الأستاذ أحمد خاكي . وقد ذهب هذا الباحث فيما ذهب
إليه الى أن تاريخ الأزهر يتصل اتصالا وثيقا بالحركات الفكرية التى قامت فى مصر
منذ النهضة التى أنشئ فيها ، ويتمثل فيه من ناحية أخرى مبادئ الإسلام وما كان
لها من سلطان ، لأن الأزهر معهد دينى كانت رسالته دائما رسالة الإسلام ، وكانت
لشيوخه الزعامة الفكرية فى القديم ، حتى أن بونابرت لما دخل مصر ووجد
للأزهر الزعامة الدينية والاجتماعية والسياسية تقرب الى شيوخه ، وجعل أعضاء
« الديوان » الذى أنشأه منه ، وهذا اعتراف بسلطان الأزهر على الشعب .

ووسط الزواجع السياسية التى تلت عصر نابليون وسبقت ولاية محمد على قام
الأزهريون يشبتون حق الشعب ويؤبدون ما يذهبون اليه بنصوص من الدين الحنيف ،
ولقد كان للسيد عمر مكرم نقيب الاشراف حينئذ المكانة الاولى بين ممثلى الشعب .
وكان الشعب غاضبا على خورشيد باشا راغبا فى تولية محمد على ، وفى تاريخ الجبرقى
نقاش بين السيد عمر مكرم وبين عمر بك أحد أنصار خورشيد ، فقد كان عمر
يذكره بالآية الكريمة « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » فلم يكن
من السيد عمر إلا أن قال : « أولو الأمر العلماء وحمله الشريعة والسلطان العادل » ،
أسنا نحس فى ذلك الرد وحده تلك القوة الوليدة التى شعر بها زعماء الأزهر وأسنا

نستطيع أن ندرك دهاء محمد علي حينما اجتنب الشيوخ الى جانبه فتغلب على القوى التي كانت تنافسه ؟ وسليطان هؤلاء الازهريين هو الذي ظاهره على الممالك وهو الذي أرغم الخليفة على أن يعترف بولايته ، كانت هذه إذن سابقة للآزهر أعلنت من مكانه فظل زعيما للجماعة المصرية بعد ذلك . وما برح الازهر يساير الحركة الفكرية في مصر حتى تمخض في أواخر القرن التاسع عشر عن حركة شاملة من حركات الإصلاح توجهت ضد العناصر الدخيلة التي مشت بالسوء في أمم الشرق ، وقد رفع هذه الحركة جمال الدين الافغانى والشيخ محمد عبده ، ولعل خير ما يذكر من أيادى الاستاذ الامام أنه خرج الى فلاسفة الغرب يرد الحججة بالحجة ويقرع البرهان بالبرهان ، ولم يكن الجدل الذى نشب بينه وبين هانوتو إلا ناحية من الصراع الفكرى بين الشرق والغرب ، وكان المؤرخ الفرنسى يفتعل الذرائع والمسوغات التى تحلل ما اقترفته السياسة المادية التى استحلّت لنفسها كل ما تحرمه الشرائع والقوانين ، ولم يكن الامام المصرى فى ردوده لإمدادها عن أصول الاسلام الأولى يلحق البيئته بالبيئة يميز بين ماهو من صلب الدين وبين ماهو دخيل على الدين على أن ذلك السكفاح الذى تولاه الأستاذ الامام والذى خلق بعد ذلك مدرسة بأسرها من مدارس الفكر لم يزل حتى أصاب ساعدا قويا فى أفراد من المتخرجين فى الازهر ثاروا على حكومة الدخلاء ، واتصلوا بالجيش آملين أن يحققوا بعض مثلهم العليا ، فكانت الثورة التى اتصلت باسم عرابى باشا ، وقد نجح التفكير الازهرى فى هذه المرة إلى ثورة عسكرية لم تكن موفقة لأنها لم تكن من طبيعة الازهر ، وعرابى نفسه كان أزهريا لكنه لم يكن بالازهرى الرشيد ، وقد جمعت هذه الثورة العسكرية إلى العناصر الواهية التى أنهكتها كثيرا من العناصر السامية التى خلقت فى مصر أثرا بليغا ، وكانت على الرغم مما انتابها من وهن نهضة قومية مازالت تنمو حتى كانت شاملة بعد الحرب الكبرى ، ولسنا ننسى أن الازهر كان محطا لركاب هذه النهضة ، فالازهر كان مركزا للزعامة فى أوائل القرن التاسع عشر وقد ظل مصدر الزعماء حتى بداية القرن العشرين ، وقد ظهرت قوة الازهر فى الحالات التى احتكت بها مصر بالدخلاء الاجانب ، ظهرت تلك القوة أمام الفرنسيين بزعامة السيد عمر مكرم ، ثم انتظمت فى جسم الامة حتى وضحت مرة أخرى بزعامة الشيخ محمد عبده ، وكانت موجة فى هذه المرة إلى الذين بسطوا أفلامهم فى الدين من الفلاسفة والمؤرخين الاجانب ، ثم كان لها بعد ذلك وجه قومى بدأ بقيادة عرابى وانتهى سلبيا بزعامة سعد زغلول ،

وقد حاولت الحركة الأولى أن تتخلص من دخلاء الشركس ، وحاولت الثانية أن تستقل عن كل أجنبي :

لقد رأينا كيف كان الازهر مصدرا للزعامة والكفاح ، وقد رأينا كيف استعان الفكر المصرى فى كفاحه السياسى والدينى والاجتماعى بساطان الازهر فقضى على المبادئ الخربة التى تربصت بالشرق الدوائر ، وقد تزعم شيوخ الازهر المصريين لان هؤلاء كانوا يستوحونهم الشعور الدينى وكان يتمثل فى خلقهم وإرشادهم تلك القوى الحية التى نماها الاسلام وقواها فإن نحن أردنا أن نضرب بسهم فى سبيل التقدم وجب علينا أن نرجع إلى أصول الاسلام الأولى فنحنى ترائه وتلك الرجعة إلى ديننا الحنيف هى من رسالة الازهر لحنيتها وسداها ، وجدير بالازهر إذا أراد إحياء لذلك المجد الاثيل أن يعود سيرته الأولى من حيث الكفاح والزعامة وأن تتمثل فيه كل المثل العليا التى بسطنا القليل منها فيما تقدم ، وبذلك يستطيع أن يلهم الناس دينهم خالصا نقيًا ، بل خليق به بعد ذلك — إذا أراد أن يكون فى الرأس — أن يتصل اتصالا وثيقا بالحركات الاجتماعية التى تدب بين المصريين وقد بينا كيف كانت رسالة الازهر دائما مزدوجة ، فهى دينية من ناحية واجتماعية من ناحية أخرى ذلك بأن الاسلام كما أسلفنا دين يجمع بين العقائد والشرائع يسعى لخير الجماعة فى شتى الصور ويؤلف بين خلق الفرد خاصة وبين الأمة بوجه عام ، لقد كان اهتمام الازهر بالحركات الاجتماعية فى مصر وحده عليها أساسا لزعامته التى ظل الجميع يعترفون بها حتى أواخر القرن التاسع عشر وفى اليوم الذى يعتزل الازهر فيه الحياة العامة يضحي من سلطانه الذى كفله الدين نفسه والذى عنا له المصريون خلال الاحداث التى اكتظ بها تاريخهم الطويل الحافل ، ويعتزل الازهر الحياة العامة إذا هو اطمأن إلى القيود التى تعوق التقدم فان ذلك لا يتفق مع روح الاسلام نفسه ومصر — ككل جزء من أجزاء الارض — مازالت تنشد الايمان والخير والحرية لكل المصريين إذ يتشبثون بتلك المبادئ يتلفنون ذات اليمين وذات اليسار يريدون أن يجدوا ملجأ فيطمئنوا اليه ويعتصموا به .

فجدير بالازهر إذا أن يساهم فى كل نواحي الحياة المصرية وأن يكون — كما كان فى القرن التاسع عشر — قوة دافعة تستمد من قوة الدين والحق ، إن زعامة الازهر لنواحي النشاط فى مصر سوف تنتج خيرا شاملا ، ذلك لان التقدم المادى ينتهى دائما بكفاح يخلو من المثل الاعلى ، وكل كفاح يخلو من المثل الاعلى يودى

حتما إلى الفناء كالنار تأكل نفسها ، وقد تقنعنا نظرة عجلى إلى تاريخ أوربا بكل ذلك فقد تناست بمالكها في تنازعها كل المثل العليا التي جاء بها دينها وهي لا تزال تناساها إلى اليوم في نزاعها مع القارات الأخرى .

وقد كفل الإسلام الحرية بما رفع من مقام الإنسان والنظام بما أتى من أحكام الشرع وجعل طاعة الله ورسوله وأولى الأمر واجبات تقوم بها ونحن راضون ، وبذل النصيحة لأولى الأمر بأن يترفعوا بالناس ، ثم انه قد جعل الناس كلهم إخوة فكان خير الناس عند الله أتقاهم فضمن بذلك حق العامة أمام الخاصة ، كل هذا أتى به الإسلام ونزله مبادئ دستورية يستطيع الفقهاء أن يلائموا بينهما في بيئاتهم وبذلك كفل للإنسان أن يتقدم دائما . ولستأ نرى تقدما أرشد من هذا الذي يقوم على مثل هذه المبادئ ، على أن التوفيق بينها أجمعين كان دائما أس التقدم عند دول الإسلام . يقول النفسيون أن الإنسان لا يبلغ حداً من الكمال إلا إذا وازن بين القوى والملكات التي يكسبها ، وقد ذهب إلى ذلك أفلاطون وقال مثل ذلك قوم آخرون قبل أن يدرس علم النفس ، لكن التوازن بين قوى الإنسان وملكاته أصبح حقيقة علمية في العصر الحديث وينشأ كثير من أنواع الجنون إذا اختل هذا التوازن بل نحسب أن الانسجام محبب إلى النفس من الوجهة الجمالية وقد حاول كثير من الفلاسفة - وقد كانوا موفقين - أن يبحثوا في مثل هذا التوازن في المجتمع ويحدث جنون الفرد إذا هو أفرط في الأخذ بفكرة من الأفكار أو خيال من الخيالات وكذلك يحدث جنون الجماعة إذا هي أخذت بمبدأ واحد تبادت فيه - مهما كان هذا المبدأ سليما ، وما نظن إلا أن الإسلام كفيلا بأن يوافق بين كل تلك المبادئ فيرسل الانسجام فيها إرسالا .

ثم خالص من ذلك إلى أن رسالة الأزهر هي نشر رسالة التقدم الروحي والفكري والاجتماعي في البلاد الإسلامية .

ويقول الدكتور حسين الهمداني الباكستاني حول رسالة الأزهر : حفلت البلاد الإسلامية منذ انبثق فجر الإسلام بدور العلم ومعاهد العرفان في وقت كانت ظلمات الجهل تجثم فيه فوق ربوع العالم العربي ، ومع أن هذه الدرر كانت تنسم بطابع خاص هو الطابع الإسلامي فانها كانت تتوسم في نظامها واتجاهاتها الحرص على توفير أسباب الطمأنينة في نفوس طلاب العلم وتوثيق الصلة بينهم وبين أساتذتهم وإشاعة تلك الروح الجامعية التي يجب توافرها في معاهد العلم العليا مثل ما يشاهده المرء الآن في

أعرق الجامعات العربية . ويلوح أنه لم يكن ثمة مناص من أن تغدو المساجد والجوامع مقرا لنشر المعرفة كما كانت وما زالت مصدراً لبث الهداية والرشد في نفوس الناس في الوقت ذاته . ولم يكن هناك تعارض في اصطلاحها بالمهمتين ، فان الدين الاسلامي الذي يأمر بالتسامح والمساواة ويحث على طلب المعرفة ولو اقتضى الأمر الاغتراب في مشارق الأرض ومغاربها ما كان ليجد خيراً من المساجد بجوها القدسي لغرس العلم والمعرفة في نفوس المسلمين ، بل إن اختيار المساجد لهذا الغرض يحمل في طياته الاقرار بقداسة العلم ووجوب تطهيره من حمأة الاغراض الدنيوية والبعده عن كل جو ينحرف به عن قدسيته ، وقد ظهر في الاسلام معاهد علمية عظيمة القدر رفيعة الاسم ، وكان الحكم يتنافسون في انشائها ، فانشى الأزهر في عام ٣٦١ هـ (٩٧١ م) وانشئت الكلية النظامية في عام ٤٥٩ هـ (١٠٦٦ م) ، وانشئت الصالحية في القدس عام ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) . وكان الغرض من انشاء هذه المعاهد هي وغيرها باديء الامر - وباستثناء المستنصرية - هو تدريس المذاهب الدينية والدعوة لها ، فانشى الأزهر لتدعيم المذهب الشيعي في مصر بعد فتحها على يد الفاطميين .

وانشئت النظامية هي والصلاحية لدعم المذهب الشافعي بينما انشئت المستنصرية لتدريس المذاهب الأربعة وكان بها كلية لتدريس الطب وأخرى لتدريس الرياضيات واللغات وقد اختفت هذه المعاهد العظيمة واندثرت وعفا عليها الدهر فيما عدا الأزهر الذي ظل راسخاً كالطود بالرغم مما مر به من أحداث بل واضطهاد في بعض العصور . واعمرى أن المرء ليتساءل ماذا كان يصيب اللغة العربية وآدابها وما يتصل بهما من علوم ومعرفة لو أن الأزهر أصابه ما أصاب غيره من معاهد ولم يصمد للحوادث طيلة هذه الأجيال ؟ لقد كان هذا الأزهر وما يزال - وأرجو أن يظل على ذلك أبد الدهر - دعاية العلوم والمعارف في العالم الاسلامي . وقد أراد الله بالأمم الاسلامية خيراً حين كلاً هذا الجامع بعنايته ورعايته وصانه من غوائل الدهر ومن الانهيار . ولم يكن الأزهر بناءً أو جدراناً لاهياة فيها . بل كان على الدوام فكرة نابضة وروحاً متسامية وحياة فكرية ومبادئ حية . بدأ جامعاً فانقلب جامعة لها خصائصها وتقاليدها وسمتها وطابعها ، وقد ظلت هذه التقاليد والخصائص والطابع والسمة تلازمه على مر العصور . وكان من خير هذه التقاليد أن الطالب يظل يتقن العلم حتى إذا آانس في نفسه القدرة على التصدر للعلم أذاع ذلك بين زملائه وشيوخه فتعقد في ديوان الأزهر حلقة من العلماء النابهين يجلس الطالب في صدرها ويناقش نقاشاً حاداً

في المادة التي تدرسها وفي جمع المواد المتصلة بها ، فإذا أثبت الطالب كفاءة ممتازة من حق التدريس . وهذا التقليد يذكرنا بما هو متبع في الجامعات العريقة وفي مناقشة رسالات الدكتوراء فيها في عصرنا الحديث . وإذا كان الأزهر قد صعد نيفاو ألف عام للأحداث . وظل راسخا في أداء رسالته في دعم أركان الدين الاسلامي ونشر العلوم الاسلامية ، واستطاع أن يحتفظ بمكانته المرموقة كدعامة قوية للاسلام ومناصرة لنشر العلم والعرفان ، فإن منهجه يجب أن يحتذى في كافة الامصار الاسلامية فليس في وسع سكان الباكستان أو غيرها من البلاد الاسلامية أن يفدوا بقضيمهم وقضيضهم لينزودوا من منهل الأزهر الذي لا ينضب وينهلوا من مورده العذب ، على أن الباكستان وغيرها من البلاد الاسلامية لا تستطيع أن ترسم الروح الا زهرية الفضة دون أن تنوه ببعض مايجول في نفوس بعض العلماء من مخاوف بشأن اضمحلال هذه الروح بسبب تلك النظم الحديثة التي أدخلت في الأزهر مثل نظام الامتحانات وتحديد المقررات وكثرة المواد الدراسية التي لا تتصل بالدراسات الاسلامية - حتى إن البعض يعتقد أن مستوى التحصيل في الأزهر قد انخفض انخفاضاً ملموساً بسبب انصراف الطلبة إلى إحراز الاجازات التي تعتبر سلاحاً للتوظيف دون الرغبة في التزود بالعلم لذاته والتعمق في المعرفة . وقد كان النظام الذي سلكه الأزهر خلال القرون الماضية نظاماً جامعياً بحثاً وكانت الروح العلمية تسيطر على جوهه ، فكانت صلة الطالب بمدرسته صلة وثيقة دعامتها العلم والرغبة في اعتراف مناهله . . وحسبك أن تعلم أن الجامعات الغربية تنهياً الآن هذا التهيؤ لتأدية رسالتها .

ولسكن مالمبث النظام « المدرسي » الجديد الذي ادخل على الأزهر أن أضعف من هذه الرابطة العلمية بين الطالب وأستاذه . ثم إن هذا النظام يعمل على شحن ذهن الطالب بعلوم لا طائل تحتها ولا يدع له وقتاً ولا ميلاً للتعمق في نوع معين من المعرفة الإسلامية تعمق من شأنه أن يخلق لنا علماء من طراز الشيخ محمد عبده والشيخ مصطفى عبد الرازق والشيخ المراغي واضرابهم من جها بذة العلماء الذين يفخر العالم الإسلامي بهم . والحق أن النواة لأمثال هؤلاء العلماء موجودة فإن الطلبة الأزهريين مازالوا يتسمون بالروح العلمية ، وقد علمت من أحد القائمين على إدارة المعهد البريطاني في القاهرة أنه وجد في الطلبة الأزهريين الذين يتقنون اللغة الانجليزية في المعهد المذكور استعداداً وادراكاً وتعمقاً وغيره واقبالاً على العلم بما هو جدير بطلبة هذه الجامعة العريقة ، ونعتقد أن خير ما يمكن أن يفعله الأزهر هو أن يعمل جاهداً

للعودة لذلك الجو العلمي البحت الذي عرف به وأن يقضى على نظام الامتحانات أو يعدله ، بحيث ينصرف الطلاب للعلم وحده دون النظر للاجازات العلمية كهدف يتعين عليهم تحقيقه للحصول على الوظائف .

وبودنا لو عني رجال الأزهر الاعلام الالمعون بأمر جدير بعنايتهم وهو تعليم الفتيات ، فالشاهد أن الأسر الاسلامية كثيراً ماتدخل فتياتها في المعاهد الأجنبية التبشيرية ، ولستنا نجد مبرراً لحرمان الفتيات المسلمات من الثقافة الدينية الاسلامية مالم يمد يده لمعوتها . والواقع أن رسالة الأزهر لا تقتصر ولا يجب أن تقتصر على مصر وحدها بل رسالته أعم وأشمل . ومن حق البلاد الاسلامية أن تطالبه بأن يمد رسالته عبر البحار لا إلى البلاد الاسلامية فحسب بل وللبلاد غير الاسلامية أيضاً . ومن حسن الطالع أن لا يكون هذا هو رأينا وحدنا بل هو رأي الحكومة المصرية نفسها بدليل ماوافق عليه مجلس الوزراء في إحدى جلساته الاخيرة من فتح الاعتمادات لانشاء معهدين اسلاميين في مدريد وطنجة . وفي وسع الأزهر أن يساهم مساهمة أدبية ومادية في انشاء معاهد العلوم الاسلامية والدينية في البلاد الاسلامية فيبعث بعلمائه إلى هذه الأمصار التي ستلقاهم بصدور رحب وتحلمهم منها مكانة الصدر والأعزاز يثثون فيها تلك الروح الفقهية والعلمية العميقة التي انفرد الأزهر بها منذ حوالي عشرة قرون ويضعون برامج الدراسة في هذه المعاهد وفق النهج الذي مارسه الأزهر منذ انشائه ويعملون على نشر اللغة العربية ودعمها في البلاد الاسلامية غير العربية . ولسعادة علوبة باشا مشروع في هذا الشأن يستطيع علماء الأزهر دراسته وتنفيذه كله أو بعضه . أما بالنسبة للبلاد غير الاسلامية فإن واجب الأزهر يقتضيه - بوصفه دعامة العلوم الاسلامية ومنازة الدين والهدى - أن ينشئ المعاهد الاسلامية في عواصمها ومدنها الكبرى وأن يزودها ببعض زملائه الذين يتقنون اللغات حتى يكون في مقدورهم نشر العلوم الاسلامية في هذه البلاد . وإذا كانت بعض الجمعيات الاسلامية قد احرزت توفيقاً في هذا المضمار فأحرى بالأزهر وهو المؤسسة التليدة العريقة أن يصيب نجاحاً عظيماً بما يتوافر لديه من اعتبارات وعوامل تكفل له التوفيق والنجاح في القيام برسالته . ويستطيع الأزهر مثلاً أن ينشئ معاهد في لندن وبرلين وباريس وروما وواشنطن وغيرهما من المدن الكبرى على غرار ما نراه من المعاهد الأجنبية التي تنشئها الدول الغربية بين ظهرانيها ونعتقد أن مثل هذا العمل يستدعي انشاء معهد خاص للغات الأجنبية في الأزهر

نفسه يدرس فيه العلماء والطلاب تلك اللغات بتوسيع وتعمق في وسط أزهري يكفل لهم تغفل الروح الأزهرية العالية في نفوسهم .

وفي عام ١٩٥٢ نشر الاستاذ أمين الخولي في جريدة المصري مقالات متعددة عن « الدين والحياة » عرض فيها للأزهر بالتحليل والنقد ، وندد بحيرته في أداء رسالته ، فقال في المقال الأول الذي نشره له المصري في ٢٨ من إبريل من هذا العام :
هل أدى الأزهر رسالته ، بما هو بيئة التربية الدينية والتوجيه الديني ؟ ان ذلك ليقضي أن أرجع بالذاكرة إلى ما قبل اثنين وأربعين عاما ، إذ أعود إلى عهد من النشاط دخلت فيه « مدرسة القضاء الشرعي » ، لاتاق تلك التجربة ، السياسية ، والعلمية ، والاجتماعية ، التي أرادت مدرسة الإصلاح الديني الحديث ، من شيعة « محمد عبده » ، وعلى رأسهم ، سعد زغلول باشا ، فأرادوا في السياسة تجربة استقلالية مصرية ، في معهد لا تمتد اليه يد أجنبية ويتولى أمر نفسه ، في استقلال إداري وثقافي ، لاصلة له بوزارة المعارف ، ومستشارها العتيد إذ ذاك كما أرادوا تجربة علمية تلتقي فيها الثقافتان : القديمة والحديثة ، والشرقية والغربية ، التقاء معتدلا رزينا ، لا تجور فيه واحدة على صاحبتها ، ولا تنسك واحدة منهما اختها . . . وأرادوا مع ذلك كله تجربة اجتماعية ، في الإصلاح بالقدوة والمثل ، يشهدهما المجتمع ، فيرى مبصر ، ويسمع واع . . . فعانيت في دار تلك التجربة ما عانيت أعواما . . . دارسا ومدرسا ، ورئيس تحرير مجلة القضاء الشرعي ، أعود بالذاكرة إلى سنة ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٣ م - حين انطلقت أرقب الحياة الدينية ، والتعليم الديني في أوروبا ، وأرصد شئونها ، لاقيدت نتائج مقابلة ذلك كله بما في مصر ، متتبعا ذلك ، في إيطاليا مقر البابوية ، بمعاهدها الدينية وفي ألمانيا وغيرها ، بالجامعات المدنية . ثم أعود بالذاكرة إلا ما بعد ذلك ، إذ أرجع إلى مصر فأشارك في هذه الشئون بها ، مشاركة مفكرة منظمة ، مشرعة معلمة إلى حوالى سنة ١٩٤٠ م - نحو سنة ١٣٦٠ هـ - ثم إلى ما بعد ذلك في تجربة معانية ، مراقبة ، عنيفة . . .

أعود بالذاكرة إلى ذلك كله ، لأرقب سير التطور في هذه الناحية من صلة الدين بالحياة ، وإصلاح الدين ، والإصلاح به فأجيب عن أسئلتك ، بما يحدث به اتجاه ذلك التطور ، ودلالة سيره ، على هذه الرسالة الأزهرية وأدائها وعلى غير ذلك من الشئون الدينية الحيوية . . . وإذ أعود إلى هذه المذكرات المحفوظة أو المكتوبة ، أذكر سنة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م إذ التقي ثلاثة من جملة الاشياخ ، ومنهم رابع وآخر جامعي

لتقدير ما كتب من أبحاث ، في مسابقة من تلك المسابقات التي أثارها على ماهر ، ومن بينها مسابقة عن رسالة الأزهر في القرن العشرين . . اجتمع هؤلاء المجتمعون ليروا كيف يقدر ما كتب عن هذه الرسالة وبأي ميزان يزونه . . فانهى الأمر بعد لآى إلى أن للأزهر رسالات ثلاثا : رسالة اجتماعية وأخرى دينية وثالثة علمية . . وقبل الانتهاء إلى هذه الرسالات الثلاث كانت الرسالة الاجتماعية من بين هذه الثلاث موضع اعتراضات ومناقشات حادة طويلة من أحد أولئك الذين عهد إليهم الدهر بعد بالإشراف على أداها . . فقل : ماذا تكون الرسالة الاجتماعية إلى جانب الدينية ؟ وكيف تتغايران ؟ وبم تختلفان ؟ وهل للأزهر رسالة وراء وجوده الدينى الإسلامى ؟ ! وقيل فى ذلك شئ كثير ، سجل بعضه بحث عن تلك الرسالة الأزهرية لصاحب هذه الكلمات ، بيانا لما كان من أمر الأزهر أول انشائه دعاية لسياسة معينة وعقيدة معينة ، فعرف بذلك التوجيه الاجتماعى فى نشأته ، فكيف به الآن ، وقد عمر فى قومه أكثر من عمر نوح بخمسين سنة وأكثر . . ثم هذا الأزهر بعد ذلك وغير بيئة دينية قد تها لها من أسباب المناعة والصيانة ما تستطيع به حماية الشخصية المصرية خاصة والشرقية عامة والإسلامية جملة . . وقد كتب حول هذه المعانى وما إليها ما دفعته مطبعة الأزهر نفسه ، فى ذلك الحين ، إلى أيدي القراء وخزائن الكتب تحت عنوان : رسالة الأزهر فى القرن العشرين ، وفيه أن رسالة الأزهر الاجتماعية إنما هى : حماية الروح القومية لمصر والشرق الإسلامى . جماعة عاقلة . متبصرة متدينة لا تقف عند القشور ولا تعنى بالتافه . وفى سبيل هذه الحماية يحتفظ هو لنفسه بالطابع المصرى الإسلامى . ثم الشرقى . النافع ، الذى لا يعوق الحياة فى تجدداتها ونشاطها العمل . مقدرا نوااميس الاجتماع . وقوانين الحياة غير واقف فى طريق شئ من ذلك . أو معارض إلا على أساس من النظر البعيد . والوزن الدقيق . أذاع الأزهر الحديث هذه الرسالة الاجتماعية على الناس شرقا وغربا . والأزهريون بالأمس . يعرفون العالم بأنه : العاكف على دينه العارف بحال قومه . . ولالأزهر صحافة غنية راتبة . فما الذى كان من بحث تفاصيل هذه الرسالة الاجتماعية ؟ وما الذى درس من اتجاه التطور الاجتماعى . والتجدد الدائم للحياة المصرية . والنشاط العملى لها ؟ - أما أنا فلا أعرف من ذلك شيئا . ولعل غيرى يهدينى إلى شئ من هذا التعرف للواجب الاجتماعى على الأزهر لحياة الأمة التى سائر حياتها ألف عام .

وفى المقالة الثانية التى نشرت فى أول مايو ١٩٥٢ عن « الأزهر فى حياة مصر الدينية » ذكر أن الأزهر هو الذى يحمى إحساس مصر ، والشرق الإسلامى بذاتها

إحساساً قويا واضحا ، وهو الذى يحمى روح مصر والشرق الإسلامى الخاصة ، وهو الذى يحمى الذوق المصرى الشرقى ، الصالح ، ويحييه . وهو الذى يحمى الفضائل العملية المصرية والشرقية ، ويفرى الناس بها ، وهو الذى يحمى العادات المصرية الشرقية الصالحة للبقاء ، ويقف بها فى وجه العادات الغربية التى لا تلائم البيئة المصرية والشرقية ، وهو الذى ينظر فيما تقتبسه الحياة من جديد ، ويتدخل فى هذا الاقتباس ، بتعقل ولباقة ، ليقاوم الضرر منه ، على ضوء الهدى الإسلامى ، والخبرة الاجتماعية والفهم الجيد لشئون الحياة . . فكل هذا وما إليه هو مادعته تلك الهيئة الأزهرية رسالة الأزهر الاجتماعية ، وبالنظر فى هذه الرسالة ، وجدناها حيننا غير واضحة فى أذهان رجال هذه البيئة ، وحيننا غير معتنى بتعرفها ، وفهمها الفهم الصحيح ، وآنا قد غلبت البيئة الأزهرية على شخصيتها ذاتها فاندججت فى التيار الغالب بغريته . . وطورا يعوز هذه البيئة الاتصال بالحياة ، اتصالا قويا فعالا ، مؤثرا فى سيرها وتوجيهها .

وقد تألفت لجنة بحث المسابقة عن رسالة الأزهر فى القرن العشرين ، من الشيخ محمد مصطفى المراغى والشيخ مصطفى عبد الرازق والشيخ عبد المجيد سليم ، والمرحوم عبد العزيز فهمى ، ومعهم كاتب هذه الكلمات ، الذى عرض عليهم بعد الحكم فى المسابقة ، ما كتبه قبلها ولم يدخل التحكيم ، وقررت اللجنة أنه الصورة المطلوبة فى ذلك ، ونشره الأزهر مطبوعا . . وفى الناحية الدينية ، من رسالة الأزهر ، أقرت اللجنة من هذا المكتوب نواحي ثلاثا :

١ - بيان التدين الإسلامى المرجو اليوم .

٢ - الهيئة الدينية التى تقوم به وتحقيقه فى هذا العصر .

٣ - الهدف الذى تعمل لتحقيقه ، أو الرسالة الدينية للأزهر .

ومن الحق أن اعتمد على ما أقرته اللجنة من ذلك ، فيما أحدث عنه ، من أمر الأزهر فى حياة مصر الدينية الآن ، وأول ذلك أن تعرف رأى فى التدين الإسلامى المرجو اليوم ، كما اطأنت إليه تلك الهيئة الأزهرية ، منذ ذلك الزمن غير القريب ، فهل ترى ، أنه تدين إنسانى القلب ، نبيل العاطفة ، يؤيد التعاون البشرى ، ولا يعوق الإخاء الانسانى ، وأنه ليس العصبية المقيتة ، المتعمقة الأفق التى تحتقر الآخرين وتزلهم من مرتبة الانسانية ، وتنسك صفتهم البشرية ، وأنه تدين لا يعرف تلك السلطة الغاشمة التى ترهب العقل الطليق ، وتفت فى العزم الوثيق ، وتفسد الذوق

الدقيق . وتحسبكم بجبروت لاهوتى فى حياة الدنيا ، وتسد الطريق إلى الآخرة ، وإنه تدين لا يخلق تلك الطبقة التى تحتكر الدين ، وتسد المسالك إلى الله ولا يعترف بتلك الطبقة أن خلقها الظروف ، لأنه لا رياسة فى الاسلام ، وكلهم قريب إلى الله سبحانه وتعالى ، ومن التدين على هذا الوجه ، ترى الهيئة الجميلة أن يشتق الأزهر صنعته الدينية ، ومن التدين على هذا الوجه يتبين الأزهر رسالته الدينية ، وما أخال مفكرا يشك ، فى أن هذا التدين هو أولا ، أقرب ما يكون من حقيقة الاسلام ، وجوهره ، ثم هو ثانيا ما تتطلع إليه الروح الصافية ، الطامحة المخلصة ، البائرة من كل وهم ، أو جهل ، أو تعصب أو جحود أو حق يسىء إلى الحياة ، وأعود بالذاكرة إلى سنة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م ، فأرى مؤتمر الأديان العالمى يعقد فى ٣ يوليه من سنة ١٩٣٦ نفسها ، ويدعى إليه الأزهر ، فيبعث إليه حضرة صاحب الفضيلة المرحوم الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر برسالة . فى موضوع الزمالة الانسانية ، تنشر بمصر فى شهر يولية من السنة ذاتها .

وترى فى هذه الرسالة أنواراً من آفاق التدين الاسلامى الوضىء ، الذى قرأت آنفا وصفه ، فهى تحدثك عن زمالة عالمية يتعاون فيها أصحاب الأديان جميعا ، تعاونا حقا جادا على تحقيق أغراض معنوية ، وأغراض عملية جميلة مسعدة للانسانية المعناة بالبغضاء والجهل والبؤس ، . فاما الأغراض المعنوية التى تسعى هذه الزمالة الانسانية لتحقيقها فهى فى اجمال اراحة العلل التى حالت دون تأثير الشعور الدينى ، فى تقريب ما بين الناس . . وأما الأغراض العملية فهى - على الاجمال - جعل التدين أداة فعالة فى تهذيب الجماعة وتمكين العوامل المعنوية ، التى تشترك فيها الأديان ، من التأثير فى الحياة الانسانية الواقعية ، وتصيير الفضائل العملية التى تدعو اليها الأديان كلها نظما عملية . . . كما أنها تعد الوسائل المختلفة لتحقيق تلك الأغراض النظرية والعملية من الدرس والتوجيه ، وإيجاد الهيئات و . . و مما تجده واضحا فى تلك الرسالة التى نشرها الأزهر نفسه ، بالعربية والانجليزية فى يولية سنة ١٩٣٦ م - والتى نشر فى ابريل منها ما كتبه عن رسالة الأزهر .

وفى مقالة أخرى نشرت بعنوان « الأزهر والعمل الدينى » ذكر فيها فيما ذكره أن الأزهر هو هذه البيئة الدينية الاولى والكبرى ، فى مصر والشرق . . هذه البيئة التى لبثت كثيرا ، تؤدى فى مصر والشرق رسالة دينية ، هذه البيئة التى ستظل دهرًا طويلا تؤدى فى مصر والشرق رسالة دينية وللدین عمله فى الحياة ، منذ دبت

الحياة على ظهر الارض . . وسيكون للدين أثره على الحياة ، حتى يرث الله الارض ومن عليها .

في هذه البيئة آلاف مؤلفة - كما تعرف - ما بين طلبة دراسين وأساتذة مدرسين ، وعلماء منقطعين للبحث ، ورجال إدارة في مراكز مختلفة ، بالأزهر ، وموظفين موكلين بأعمال دينية لمصر كالوعاظ ونحوهم . . . وكل أولئك أهل للنشاط العملي ، والتدبير الديني لحياة مصر ، بل هم أحق بالتدبير العامل لحياة مصر ، من أهل أى بيئة أخرى ، علمية أو عملية بها . . وذلك أن ما يقوم به الآخرون ، غير الأزهريين إنما يدفعهم اليه شعور الوحدة الاجتماعية ، التي تربطهم بقومهم ، ويحتاجون في إثارة هذا الشعور بتلك الوحدة ، إلى معان بعيدة ، لادراك أنهم باصلاح حال قومهم إنما يهيئون المجال الحيوى ، الذي يجدون فيه فرصة تسهيل أنفسهم وترقية وجودهم ، والحياة السعيدة الكريمة التي يطعمون فيها ، وبدون هذا المجال الحيوى ، من المجتمع الصالح الخير ، يستحيل على الفرد أن يجد فرصة لكمال نفسه هو ، وتحقيق وجوده الصالح السعيد ، وحين يتنادى أهل البيئات غير الدينية بهذه المعانى الاجتماعية ، ويجهدون في العمل لتقوية الشعور بها ، تجد أهل الدين يشعرون بمثل تلك الحقائق شعورا قويا ، تدمه عقيدة وجدانية ، أصيلة بأن الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر هو مابه دون غيره ، تكون الامة خيرا لائم ، وبدونه تكون الامة ملعونة وهذا هو ما يتعبدون بتلاوته ، ويتفقهون بدرسه ، ويتواصون باتباعه ، والأمر بالمعروف الزام بكل خير ، والنهي عن المنكر تجنب لكل شر ، وعمل الفرد فيه يفيد الناس جميعا . وإهمال الفرد له يضر الناس جميعا . . ومن هنا تكون تلك الآلاف المؤلفة بالأزهر ، إذا سلمت فطرتها ، وصحت عقيدتها ، مصدر قوة كبرى في الشعور بوحدة الجماعة ، ومبعث نشاط عامل للمعروف ، مانع من المنكر ، يتوارثون ذلك كبرا عن كابر ، ويقلد فيهم لاحق سابقا ، ويقتدى آخر بأول فهم جميعا يتنفسون في الجو الديني ، وهم إمامعلون يقررون هذه الاسس الدينية ، أو متعلون يستمعون لهذا التقرير ، أو مديرون قوامون على توجيه هذه البيئة نحو غايتها ، والإشراف على خطوات سيرها إلى تلك الغاية . .

وقد رد على الأستاذ أمين الخولى وآرائه الأستاذ الكبير الشيخ محمد عرفة عضو جماعة كبار العلماء في سلسلة طويلة من المقالات الممتعة ، كما رد عليه الأستاذ الشيخ محمد الشربيني عضو الجماعة ورئيس جهة علماء الأزهر في مقالة واحدة .

ويقول الأستاذ الجليل الشيخ محمد كامل حسن وكيل كلية اللغة العربية معبرا
عن رأيه في رسالة الأزهر :

رسالة الأزهر هي رسالة نبي الاسلام وإنما ينجح العلماء في أداء هذه الرسالة بما
ينجح به نبي الاسلام على عاملين لا ينفك أحدهما عن الآخر عامل البيان وعامل
السلطان فقد بدأ الرسول صلوات الله وسلامه عليه الدعوة إلى سبيل ربه بالحكمة
والموعظة الحسنة ولم يزل يتنقل بالعقول التي خضعت للوثنية ، ويدلل لها طريق
الهداية إلى المبادئ الاسلامية ويوجهها إلى النظر في الآفاق والاعتبار بالآيات ،
ويتعهد بها بالأدلة المقنعة في أسلوب الحكيم الماهر حتى استطاع بحكمته السامية وحجته
الباهرة أن يقتنع الناس بصدق الوحدانية وأن يبين لهم أمر دينهم ودنياهم معا ، حتى
وضح لهم ما أحل الله لهم وما حرم عليهم ودخلوا في دين الله أفواجا عن بينة واختيار
« لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » ، ومن طريق هذا البيان أصبح الحلال
بيننا والحرام بيننا كما قال عليه الصلاة والسلام ومع ما قام به الرسول من بيان أوضح
معالم الحلال والحرام فقد اعترضه في سبيل الدعوة إلى الله صناديد قومهم الذين أكل
الحقد قلوبهم فعز عليهم أن يتركوا ما كان يعبد آباؤهم برغم ما لمسوه من أنه نبي حقا
وأن ما دعا إليه هو الحق وعرفوه كما يعرفون أبناءهم . وقف هؤلاء في سبيل دعوته
وحرصوا على قتله واذا أصحابه بأنواع الاذى وكادت هذه الفتنة تزلزل أثر الدعوة
التي قامت على الحجة والبيان لولا أن تداركه مولاه بالعناية وأمره بالجهاد وأمدده
بالعامل الثاني عامل القوة والسلطان فأعطاه السيف لاحبا في إراقة الدماء ولكن
ليزيل من طريق الدعوة هذه العقبات وليسعد العالم بالاسلام رغم أنوف هؤلاء
المعاندين المعترضين سبيل الدعوة إلى الله ، فلما وضع السيف في أعناقهم بحما الله
صولة الكفر والكافرين ورسخت دعوته التي قامت على الحجة والبيان بعد أن
عززه الله بالقوة والسلطان لذلك يقول سيدنا عثمان بن عفان : « إن الله ليزع بالسلطان
ما لا يزع بالقرآن » ، إنه لقول حق وفيه الموقف الفصل ومنه يتبين المنصفين أن
رسالة الاسلام إذا قامت على البيان فإنها لا تسكمل ولا تتم إلا بالعامل الثاني عامل
السلطان الذي غير معالم ظلم الظالمين وأزال صولة الكافرين والمعاندين ومهد للاسلام
والمسلمين نعمة التمام والكمال في قول الله عز وجل : « اليوم أكملت لكم دينكم
وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » ،

فتعالوا أيها السائلون عن رسالة الأزهر ، وهل أدى العلماء رسالتهم أولا؟ تعالوا

لنقول لكم كلمة الحق والحق احق أن يتبع . لقد قام العلماء بواجبهم بالنسبة للعامل الاول عامل البيان وتذكير الناس بمواطن الحلال والحرام ففريق منهم يعلم أبناء المسلمين أحكام دينهم في كلياتهم ومعاهدتهم ليتخرجوا للناس دعاة إلى الله ينذرون قومهم إذا رجعوا إليهم - وفريق منهم يقوم بالوعظ والارشاد وإصلاح ذات البين وما شجر بين الناس في البلاد وما زالوا يجاهدون ويتنقلون لهذا في كل واد .

وفريق من العلماء يقوم بتعليم العامة في بيوت الله تعالى حين يجتمعون للصلاة وإذا كان في كل مسجد عالم يدعو إلى دين الله فكثير ما هم . وإذا أردت أن تعرف صدق القول في ذلك فاسأل أى رجل في عرض الطريق عما يعرف من واجبات دينه فيقول لك مثلاً الصلاة الزكاة الحج الصوم صلة الأرحام وكل ما يعز دين الله ويسعد الاوطان ثم سله عما حرم الله فيقول لك : الربا الزنى الخمر الغيبة والنميمة وكل سعى بالفساد بين الناس وهكذا والعامى الذى يجيبك بهذا لم يولد من بطن أمه عالماً بهذه الاحكام واسكنه مدين في علمه بذلك لبيان العلماء الذين هم ورثة الانبياء بعد هذا أعترف للسائل بأن العلماء وإن أدوا رسالتهم بالنسبة لعامل البيان وعليه تقوم نصف الرسالة فإنهم لم يقوموا بتنفيذ ما ينبؤوا للناس من معالم الحلال والحرام ، فهم يرون شارب الخمر يشربها ولا يكسرون كأسه ويرون الربا قد فشا التعامل به ولم يقضوا على آثاره ويرون النساء العاريات متبذلات ولا يتعرضون للقضاء على هذه المظاهر الخلقية بالقوة والسلطان . ويرون كثيراً من المنكرات يقوم بها العام والخاص ولا يستطيعون تغيير هذه المنكرات إلا بقلوبهم وذلك أضعف الايمان . أتدرى أيها المنصف لماذا ؟ لماذا ضعف العلماء عن تغيير هذه المنكرات ؟ ! لان زمام الامور لما تولاه في الماضى قوم وهنوا في أمر دينهم استطاع المستعمرون أن يستخدموهم في نزع السطة الدينية من العلماء ومكنوا لهم حتى شرعوا للناس قوانين وقفت عقبة في سبيل الدعوة إلى الله ، وحالت دون تغيير ما حرم الله فالعالم إذا تعرض مثلاً لكسر الكأس الذى بيد شارب الخمر أدين في القانون الذى رخص بشرائها وشربها والتجارة فيها وإذا تعرض لبيان قوله تعالى : وأحل الله البيع وحرم الربا ، اعترضه المشروع الذى أحل الربا ورخص للقضاء أن يحكم به - وإذا نهى العالم عن مظاهر الفتنة التى يتسابق فيها النساء الفاجرات رموه بالرجعية وأنه عدو الحرية وإذا أبان للناس ما كرم الله به المرأة من قوامه الرجل عليها والقيام بخدمتها ونفقتها ووضعها دون الحجاب الذى يحفظ لها كرامتها ويديم عليها بهجتها لا يجد في المجتمع ما يؤيده ويساعده لان الناس

مغرمون بالتشريعات التي تبيح للمرأة الاختلاط بالرجال ومثل هذه التشريعات تحمل المرأة على أن تترجل وتحمل الرجل على أن يتخنث .

الحق أقول لك أيها السائل : إن في النفس شيئاً كثيراً ، ويكفي أن أقول لك : إن الرسالة الأزهرية لا يتم أدائها إلا إذا تعاون معهم أهل السلطان ، وهذا هو المنتظر بعد أن يتم القضاء على الاستعمار وأذنا به .

الأزهرى وواجهه الدينى والروحى

يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأتى الله إلا أن يتم ونوره ولو كره الكافرون . ضلّت الإنسانية وذلت البشرية ، إن لم تهتد بنور الاسلام المشرق . وترو بسحابه المغدق وتستظل بظله الوارف الآمين . وساء مثل الأمم والشعوب إن لم تؤمن بهذه الشريعة الباقية الخالدة ، وذلك الكتاب السماوى الحكيم ، الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم نوراً وهدى للناس وروحاً وذكري للعالم وللمؤمنين . وشاهت وجوه أولئك الوارثين لمجد الاسلام الخالد وترائه التليد ، إن لم يضربوا أروع المثل فى سبيل الله ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون كما ضرب أسلافهم الأرواع المشاييب أكرم الأمثال وقاموا بأروع التضحيات والجهاد ، لتكون كلمة الله هى العليا . لقد وقعت المعجزة منذ أربعة عشر قرناً : على يدي هادى الإنسانية وناشر السلام وعلم الدنيا والآخرة محمد ﷺ ، وعلى أيدي أصحابه الأبطال الميامين ، فعلت كلمة الحق ، ونشرت راية الفضيلة ، ورفع لواء الحضارة والمدنية والثقافة ، وظهرت على دول العالم القديم الأمة الاسلامية المؤمنة ، فكان لها الفوز الأكبر ، والنصر المؤزر ، والكلمة العليا ، والشرف العظيم . فلم لا يقوم الأزهر بمثل تلك المعجزة من جديد؟ فيقودها ثوررة صارمة فى وجه الباطل ، وهداية حكيمة تملأ مشارق الأرض ومغاربها نوراً ، حتى يطمئن العقل الحائر ، ويسعد العالم الشقى ، وتنعم الإنسانية المعذبة ، وتسود كلمة الحق والخير والفضيلة ، وتعود الحياة سيرتها الأولى . ولم لا يستصغر المشقات فى جانب روح الأبد ، وراحة الضمير . . . لا يأس فى الدعوة ، فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، ولا ونى فى الهداية ، فإنه لا يننى فى ميدان الجهاد إلا من لبس إيمانه بظلم ، ولا عمل إلا الله ورسوله ، فإن أجدر عمل بالظفر والسداد ما كانت غايته الله ورسوله . فإما أن يحى الدعوة مجاهدا لاظهار كلمة الله ، وإما أن يموت فى ميدانها شهيداً .

أين الأزهرى الذى يدعو الناس بخلقه وأدبه وطريقته ، إلى ما يدعوهم إليه بقوله وبيانه وحجته . . . وهل تكون العظة ذات أثر إلا إذا صدرت من مؤمن عامل بها ، ومن يأمر بالمعروف ولا ينهى نفسه ؟ فما أكرم الداعى إلى مكرمة لم يندب نفسه لها وإن كان بليغا منطقيا . على الأزهرى أن يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة ، والحجة البالغة ، والآية المبصرة . . . يأخذ الناس على حسب عقولهم ، ويكلمهم بما يؤثر فى نفوسهم ويعرض عليه نواحي الجمال فى العقيدة الإسلامية ، ويبين لهم ما فيها من دعوة إلى الحق والخير والجمال والعدالة ، ومن إعزاز للنفس الإنسانية وسمو بها ، وتكريم لقدر الإنسان فى الحياة ، وما فيها من ألوان الإصلاح فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والعلم والعمران ، ومن سماحة فى المبادئ وسهولة فى التشريع ، ويسر فى الشعائر ، وما فيها من ديمقراطية عالية ، وروحية سامية ، وإخاء كريم وعدالة ومساواة وإيثار ضربت بها الأمثال بين الناس . وعليه أن يضرب لهم الأمثال بالأسلاف الأولين ، وما كان لهم من المواقف الرائعة ، والمشاهد الماجدة ، والصفحات الناصعة فى كل ميدان . . . وأن يفصل لهم المدى الذى بلغته الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى ، وما كان لهما من آثار بعيدة فى النهضة الغربية الحديثة . وأن يعاضد رجال الفكر والثقافة والصحافة ، ويتخذهم أصدقاء يساعدونه على أداء رسالته الدينية ونشرها بين الناس ، وأن ينشئ الجمعيات الدينية التى تسهم بنشاط فى نواحي المجتمع ومراقب الأمة ، وعلى الأزهر أن يهضم الثقافة الإسلامية القديمة ، ويحيلها غذاء عقليا جديدا بأسلوب يتفق وروح العصر والزمن ، إن الأزهر داعية للدين والخير . . . فعليه أن ينهض بالعبء ويحمل الرسالة ، ويؤدى الأمانة . وأن يرشد الناس من جديد إلى كل ما فى الدين من حق وخير وجمال .

والتصوف والسمو الروحى فى الإسلام جدير بتأمله ودراسته وإذاعته بين الناس ، ليفهموا رسالة الروحية الحقة ، والسلام الأبدى ، والطمانينة النفسية العميقة ، التى هى الطب الروحى ، ود العلاج النفسى ، الصحيح ، الذى سبق بالكشف عنه فلاسفة الإسلام ومتصوفوه منذ أجيال مديدة فى تاريخ الحياة .

الأزهري كما ينبغي أن يكون

كتب الاستاذ الأكبر المرحوم محمد مصطفى المراغي حول هذا الموضوع يقول:

أول ما يجب أن يكون عليه الأزهري : هو المحافظة على الشعائر الإسلامية محافظة تامة بحيث لا يقتصر في شيء منها ، ولا يمكن غيره من الاحتفاظ عليه بزلة ، حتى يكون قدوة بعمله لا بقوله فحسب ، والقدوة العملية تترك في النفوس أثرا صالحا ، تؤثر فيها ما لا تؤثره الأقوال ، والشعائر الدينية في جملتها من أكبر الوسائل لطمانينة النفس والتحلل بالاخلاق الفاضلة ، وهي التي توجد الصلة بين العبد وربّه ، وتقوى صلات الافراد ، وتحسن حال الجماعات ، ويصاحب هذا ملازمة الاخلاق النبوية ، والتبصر في هدى القرآن والسنة ، ومجاهدة النفس ورياضتها على احتمال الاذى والمكروه في سبيل العمل بالاخلاق الدينية وأداء الشعائر الإسلامية ، حتى تصير الفضيلة شعارا وملسكة ، وحتى تصدر أعمال الخير من غير عمل وروية . ومن لوازم الداعي والمرشد أن يكون شجاعا صادقا قوى الايمان بما يدعو إليه يرى في الاقدام لذة ، وحقا للنفس الخيرة يؤديه احتسابا بالله لا على أنه مكاف به يؤديه للأجر وزيادة الدرجات والمرتبات ، ومن حق الداعي أن يكون بصيرا بالوسط الذي يعيش فيه ، خبيرا بأحوال النفوس ، واسع الخيلة في التنقل من طريق إلى طريق ، يقصد إلى الهداية المطلوبة من طريقها النافع . وليس أفعل في النفوس من جلال تسكبه التقوى وملازمة حدود الله ، ومن جمال يلقيه العلم الناضج على صاحبه ، ومن هبة يوجد لها الاعراض عن الدنيا وعدم الحرص عليها ، وقد شاهدنا فقراء ليس لهم جاه رسمي ، ولا عزة عصبية ، يهابهم أصحاب المقامات الرفيعة والاموال المكنوزة ، وينكمشون أمام هيبتهم التي أبسطتها التقوى وزانهم بها العزيز الحكيم .

والحرص على الدنيا يفسد على العالم لذة العلم ، ويفسد عليه الغاية التي يطلبها ، وهي الهداية ، والناس لاشك زاهدون في العلماء إذا رأوهم مقبلين عليها معرضين عن الآخرة . فلتكن الدنيا مطلوبة بالقدر الذي تستحقه ، وفي الدرجة التالية لدراسة العلم وتحصيله واللذة به نفسه ، وباعتباره وسيلة من وسائل الآخرة ، وطريقا لرضي الله ورسوله . ولقد كانت للأزهريين تقاليد متوارثة محمودة ، وهي

عطف الكبير على الصغير ، وتوقير الصغير الكبير ، واحترام الأسلاف ، والصبر على الدرس والتحصيل ، وتفهم المسائل بعلمها وأسبابها وما يتفرع عنها ويتولد منها ، لا يبالون في سبيل ذلك بالوقت والجهد ويروونه أكبر لذة للنفس وأكبر متاع للعقل ، ويروونه واسطة المجد وطريق الشرف والكرامة ، وكان طالب العلم إذا لم يفهم كتاباً أعاده ، وإذا لم يفهم مسألة فتش عن يفهمها منه ، وكانت اجتماعاتهم لا تخلو من المذاكرة في مسألة من مسائل العلم ، وقد رأينا منهم من كان أهلاً للتدريس وللتقدم للامتحان وكان يحجم لانه يريد الاستزادة وتكميل النفس ، فالعلم نفسه تفوق لذته لذة الحصول على الدرجة ، والدخول في مضمار الحياة . كانوا يجيدون تحضير الدروس قبل القائها على التلاميذ بقدر ما يسمح به الجهد . وكان الطلبة يجيدون تحضير الدروس وفهمها قبل تلقيها عن الشيوخ بل كان نوابغ الطلبة لا يذهبون إلى تلقي الدروس إلا لحل مشكلة عرضت لهم . أو انتظار لتحقيق مسألة من مسائلها .. كانوا يفعلون هذا مع الطمانينة والمدة وسعة الصدر ، لا للنجاح في الامتحان ، ولا لطلب الرزق . وكانت القناعة تجمل فقرهم وتزين علمهم ، لا يمكن أن يمر في خاطر أحدهم أن الفقر نقيصة ، وأن الاسراف في البحث مضيعة للوقت .

- ولا ننكر مع هذا أن ملازمة بعض المؤلفات المختصرة ، وترك المناهل العذبة من كتب الأسلاف ، وعدم التوسع في الاطلاع على تراث الأقدمين ، ضيق دائرة التفكير ، وأوجد اسرافاً في تحليل الالفاظ وإبداء ما تحتمله من الوجوه ، وأوجد انحرافاً عن الجادة القوية في طلب العلم والبحث مسائله وتحقيقها ، وبعداعن أساليب اللغة العربية الصحية ، وإعراضاً عن مسايرة الناس في الحياة وإدراك ما تتطلبه الحياة بل وشغلهم عن القرآن والسنة من ناحية الهداية التي جاء لها القرآن ، إلى نواح أخرى متكلفة . وتلك هي الادواء التي ألم منها الناس وسعوا لازالتها .

لكن في الوقت الذي نريد فيه إزالة هذه الادواء ، لا يصح أن ينسى الأزهرى جوهر تقاليده ، بل يجب عليه أن يحافظ عليها ، وأن يصرفها إلى وجوه الخير ، وما يعود على دينه وأمته وملته بالصلاح والفلاح .

الباب الثامن

آراء للأزهر في مشكلاتنا الفكرية

- ١ -

أصدر الاستاذ على عبدالرازق العالم الأزهرى ، والقاضى الشرعى ، عام ١٩٢٥ كتابه « الإسلام وأصول الحكم » ، وكان على رأس الوزارة فى ذلك الحين زيور باشا يسنده حزب الأحرار الدستوريين برئاسة عبد العزيز فهمى باشا وحزب الاتحاد برئاسة يحيى باشا إبراهيم . . . وكان الوفد فى المعارضة برئاسة سعد .

وقد أثار الكتاب معركة اشترك فيها كل صاحب رأى أو قلم . . . وقبل أن نعرض للصراع الذى دار حول هذا الكتاب نوضح فكرته الأساسية التى ذهب إليها المؤلف . . . وفكرته هى : أن الإسلام لم يقرر نظاما معيناً للحكومة ، ولم يفرض على المسلمين نظاما خاصا يجب أن يحكموا بمقتضاه . بل ترك لنا مطلق الحرية فى أن ننظم الدولة طبقا للأحوال الفكرية والاجتماعية والاقتصادية التى توجد فيها ، مع مراعاة تطورنا الاجتماعى ومقتضيات الزمن . وأن الإسلام يرى من نظام الخلافة ، والأدواء التى عصفت به . فإن الخلافة شلت كل تطور فى شكل الحكومة عند المسلمين نحو النظم الحرة ، خصوصا بسبب العسف الذى أنزله بعض الخلفاء بتقدم العلوم السياسية والاجتماعية ، إذ صاغوها فى قالب يتفق مع مصالحهم .

وقد أثار الكتاب ضجة كبرى فى محيط الأحزاب والشعب ورجال الأزهر ، فجمع شيخ الأزهر الشيخ أبو الفضل الجيزاوى هيئة كبار العلماء وقررت أن مافى الكتاب من آراء هى كفر وإلحاد وخروج على الدين ، كما قررت استدعاء الشيخ على عبد الرزاق - باعتباره من العلماء لمحاكمته ، عن تهم سبع وجهتها إليه ، وانهقدت الجلسة فى ٥ أغسطس سنة ١٩٢٥ . وجلس العلماء على مائدة كبيرة ، واستدعى الشيخ على عبد الرزاق ، فدخل الحجرة ، وأشار إليه شيخ الأزهر بالجلوس .

ودفع المؤلف دفعا فرعيا ، هو أنه لا يعتبر نفسه أمام هيئة تأديبية وطلب من الهيئة أن لا تعتبر حضوره أمامها اعترافا منه بأن لها حقا قانونيا فى محاكمته .

وفى ٢٥ أغسطس ، أصدرت هيئة العلماء حكما ، « بتجريد الشيخ على عبد الرزاق من العالمية ، لأنه أتى بأموور تخالف الدين والقرآن الكريم والسنة النبوية وأجماع الأمة » . وقد تساءلت « الأخبار » عن موقف عبد العزيز فهمى وحزبه بعد أن

أخرجته جريدته بدفاعها عن الكتاب . وأما السياسة ، فقد نشرت كلمة للشيخ على عبد الرازق يقول فيها : « لاجرم أننا تقبلنا مسرورين أخرنا من زمرة العلماء ، وقلنا كما يقول القوم الذين إذا خلصوا من الأذى قالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الأذى وعافانا » . ومن هذا اليوم ، هجر على عبد الرازق ملابس الشيوخ ، وأصبح « أفنديا » . . .

أيه أيها الطريد من الأزهر ، تعالى إلى فتحدث عن هذه القصة المضحكة ، قصة كتابك والحكم عليه وعليك وطردك من الأزهر . ما بال رجال الأزهر لم يقضوا على كتابك بالتمزيق ، فقد كان يلذ لنا أن نرى نسخة في صحن الأزهر أو أمام باب المزينين ، أو في ناحية من هذه الانحاء التي لا يأتها الباطل ولا يصل إليها المنكر ، ولا يسمى إليها إلا الاختيار والابرار ثم تضرع فيها النار . ! دعنا نتحدث في حرية ولا تكن أزهريا ، فقد أخرجت من الأزهر . !

وجاء في قرار هيئة كبار العلماء في محاكمته :

من حيث أن الشيخ عليا جعل الشريعة الإسلامية شريعة روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ في أمور الدنيا فقد قال في ص ٨٧ و ٧٩ والدنيا من أولها وآخرها وجمع ما فيها من أغراض وغايات أهون عند الله من أن يقيم على تدبيرها غير ما ركب فيها من عقول وحجبان من عواطف وشهوات وعلمنا من أسماء ومسميات هي أهون عند الله من أن يبعث لها رسولا وأهون عند رجل الله من أن يشغلوا بها وينصبوا لتدبيرها ، وقال في ص ٨٥ أن كل ما جاء به الإسلام من عقائد ومعاملات وأداب وعقوبات فانما هو شرع ديني خالص لله تعالى ولمصلحة البشر الدينية لا غير . وأوضح من كلامه أن الشريعة الإسلامية عنده شريعة روحية محضة جاءت لتنظيم العلاقة بين الإنسان وربّه فقط أما ما بين الإنسان من المعاملات الدنيوية وتدبير الشؤون العامة فلا شأن للشريعة به وليس من مقاصدها . وهل فيه استطاعة الشيخ على يشطر الدين الإسلامي شطرين يلغى منه شطر الأحكام المتعلقة بأمور الدنيا ويضرب بايات الكتاب العزيز وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض الحائط ؟ وماذا يعمل الشيخ على في مثل قوله تعالى « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ، وقوله تعالى . « وان أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ، وقوله تعالى « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » ،

وقوله تعالى . لانا كلوا أموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن راض منكم .
 وقوله تعالى : . فان خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان
 يريدان اصلاحا يوفق الله بينهما . . وقوله تعالى : . يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا
 غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلبوا على أهلها . . وماذا يعمل الشيخ على في مارواه
 البخارى ومسلم في صحيحهما أن ابنة النضر أخت الربيع لطمت جارية فكسر سننها
 فاقتصموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بالقصاص . فقالت أم الربيع يا رسول
 الله أنقص من فلاته ؟ لا والله . فسبحان الله . يا أم الربيع كتاب الله القصاص ومثل
 مارواه البخارى في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه قال . قضى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بالشفعة في كل مالم يقسم ، فاذا وقعت الحدود وصرفت الطرق
 فلا شفعة . وما رواه أيضا عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال قضى النبي صلى الله
 عليه وسلم إذا تشاجروا في الطريق اذرع . وما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس
 رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى باليمين على المدعى عليه وما
 رواه أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى
 بيمين وشاهد .

ومن حيث أنه زعم أن الدين لا يمنع من أن جهاد النبي صلى الله عليه وسلم كان في
 سبيل الملك لا في سبيل الدين ولا لا بلاغ الدعوة إلى العالمين . فقد قال في ص ٥٣
 وظاهر أول وهلة أن الجهاد لا يكون لمجرد الدعوة إلى الدين ولا لحل الناس على
 الايمان بالله ورسوله . . ثم قال في ص ٥٣ وإذا كان صلى الله عليه وسلم قد لجأ إلى
 القوة والرهبة فذلك لا يكون في سبيل الدعوة إلى الدين وابلاغ رسالته إلى العالمين
 وما يكون لنا أن نفهم إلا أنه كان في سبيل الملك ، فالشيخ على في كلامه هذا يقطع
 بأن جهاد النبي صلى الله عليه وسلم كان في سبيل الملك لا في سبيل الدين ولا لا بلاغ
 الدعوة إلى العالمين ، وفي كلامه يزعم أن الدين لا يمنع من أن جهاده كان في سبيل الملك
 فعلم من كلامه هذا أن الدين لا يمنع من أن جهاد النبي صلى الله عليه وسلم كان في سبيل
 الدين ولا لا بلاغ الدعوة إلى العالمين وهذا أقل ما يؤخذ عليه في مجموعة نصوصه .
 على أنه لم يقف عند هذا الحد بل كما يجوز أن يكون الجهاد في سبيل الملك ومن الشؤون
 الملكية يجوز أن تكون الزكاة والجزية والغنائم ونحو ذلك في سبيل الملك أيضا وجعل
 كل ذلك على هذا خارجا عن حدود رسالة النبي صلى الله عليه وسلم لم ينزل به وحى
 ولم يأمر به الله تعالى .

ومن حيث انه زعم أن نظام الحكم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان موضع غموض أو ابهام أو اضطراب ونقض ، وموجبا للحيرة فقد قال في ص ٤٠ : « لاحظنا أن حال القضاء زمن النبي صلى الله عليه وسلم غامضة ومبهمة من كل جانب » .
وإذا كان قد اعترف ببعض الأنظمة للحكم في الشريعة الإسلامية فإنه نقض الاعتراف وقرر أن هذه الأنظمة ملحقمة بالعدم .

وما زعمه الشيخ على مصادم لصريح القرآن الكريم .

ومن حيث انه زعم أن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم كانت بلاغا للشريعة مجردا عن الحكم والتنفيذ ، فقد قال الشيخ على في ص ٧١ : « ظواهر القرآن المجيد تؤيد القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له شأن في الملك السياسي وآياته متضافرة على أن عمله السماوى لم يتجاوز حدود البلاغ المجرد من كل معانى السلطان . ثم عاد قائداً ذلك فقال ص ٧٣ : « القرآن كما رأيت صريح في أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن من عمله شيء غير ابلاغ رسالة الله تعالى إلى الناس وأنه لم يكلف شيئا غير ذلك البلاغ وليس عليه أن يأخذ الناس بما جاءهم به ولا أن يحملهم عليه . . ولو كان الأمر كما زعم هو كان ذلك رفضا لجميع آيات الأحكام الكثيرة في القرآن الكريم . ودون ذلك خرط القتاد .

وقد قال الشيخ على في دفاعه : « إنه قرر في مكان آخر من الكتاب بصراحة لا موارية فيها أن للنبي صلى الله عليه وسلم سلطانا عاما وأنه ناضل في سبيل الدعوة بلسانه وسنانه . وهذا دفاع لا يجدى إذ لو كان معنى الذى قرره في ص ٦٦ و ٧٠ كما أشار إليه أن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم السماوى يتجاوز حدود البلاغ المجرد عن كل معانى السلطان لما كان سائغا أن يقول بعد ذلك في صفحة ٧١ إن آيات الكتاب متضافرة على أن عمله السماوى لم يتجاوز حدود البلاغ المجرد من كل معانى السلطان ، وأن يقول بعد ذلك في صفحة ٧٣ إن القرآن صريح في أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن معه شيء غير بلاغ رسالة الله إلى الناس ولم يكلف شيئا غير ذلك البلاغ ، وليس عليه أن يأخذ الناس بما جاءهم به ولا أن يحملهم عليه . والواقع أن السلطان الذى أثبتته إنما هو السلطان الروحى . كما صرح به في مذكرة دفاعه حيث قال فيها : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يستولى على كل ذلك السلطان لا من طريق القوة المادية وإخضاع الجسم كما هو شأن الملوك والحكام ولكن من طريق (٤ - الأثر - ثالث)

الإيمان له إيماننا قلبيا والخضوع له خضوعا روحيا ، ، لكان دفاعه اثباتا للتهمة لا نفيها ، على أنه قد نسب في ص ٦٥ و ٦٦ السلطان إلى عوامل أخرى من نحو الكمال الخلقى والتميز الاجتماعي لا إلى وحى الله وآيات كتابه الكريم ، كما أنه جعل الجهاد في موضع آخر من كتابه وسيلة كان على النبي صلى الله عليه وسلم أن يلجأ إليها لتأييد الدعوة ولم ينسبه إلى وحى له ، وكلام الشيخ على مخالف لصريح كتاب الله تعالى الذي يرد عليه زعمه ويثبت أن مهمته صلى الله عليه وسلم تجاوزت البلاغ إلى غيره من الحكم والتنفيذ فقد قال الله تعالى : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » وقال تعالى : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك » ،

وروى عن ابن سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم برجل قد شرب فقال اضربوه . وروى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت وقالوا من يسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يجترىء عليه إلا أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أتشفع في حد من من حدود الله . ثم قام فخطب فقال : يا أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها . فهل يجوز أن يقال بعد ذلك في محمد صلى الله عليه وسلم إن عمله السماوى لم يتجاوز حدود البلاغ المجرد من كل معانى السلطان وأنه لم يكلف أن يأخذ الناس بما جاءهم به ولا أن يحملهم عليه ؟

وهل يجوز أن يقال بعد ذلك في القرآن الكريم إنه صريح في أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن من عمله شيء غير إبلاغ رسالة الله إلى الناس وليس عليه أن يأخذ الناس بما جاءهم به ولا أن يحملهم عليه .

ومن حيث أنه أنكر إجماع الصحابة على وجوب نصب الامام وعلى أنه لا بد للامة ممن يقوم بأمرها في الدين والدنيا فقد قال في ص ٢٢ : أما دعوى الإجماع في هذه المسألة — وجوب نصب الامام — فلا تجد مساعدا لقبولها بأى حال ومحال إذا طالبناهم بالدليل أن يظفروا بدليل ، على أننا مثبتون لك أن دعوى الإجماع هنا غير صحيحة ولا مسموعة سواء أرادوا بها إجماع الصحابة وحدهم أم الصحابة والتابعين أم علماء المسلمين أم المسلمين كلهم ، . ادعى الشيخ على

أن حظ العلوم السياسية في العصر الاسلامي كان سيئاً على الرغم من توافر الدواعي التي حمل على البحث فيها ، وأهمها أن مقام الخلافة منذ زمن الخليفة الاول كان عرضة للخارجين عليه ، غير أن حركة المعارضة كانت تضعف وتقوى ، ثم ساق بعد أمثلة يؤيد بها ما يدعيه من أن الخلافة كانت قائمة على السيف والقوة لا على البيعة والرضا ولو سلم للشيخ على ذلك جدلاً لما تم له ما يزعمه من إنكار اجماع الصحابة على وجوب نصب إمام للمسلمين . فإن إجماعهم على ذلك شيء وإجماعهم ببيعة إمام معين شيء آخر واختلافهم فيبيعة إمام معين لا يقدح في اتفاقهم على وجوب نصب الامام ، أي إمام كان . وقد ثبت اجماع المسلمين على امتناع خلو الوقت من إمام . ونقل الينا ذلك بطريق التواتر فلا سبيل الى الانكار .

ومن حيث انه أنكر أن القضاء وظيفة شرعية فقد قال في ص ١٠٣ ، والخلافة ليست في شيء من الخطط الدينية ولا القضاء ولا غيرهما من وظائف الحكم ومراكز الدولة ، وإنما تلك كلها خطط سياسية صرفة لاشان للدين بها فهو لم يعرفها ، ولم ينكرها ولا أمر بها ولا نهى عنها ، وإنما تركها لنا ليرجع فيها إلى أحكام العقل وتجارب الامم وقواعد السياسية . وكلام الشيخ على في دفاعه يقضى بأن الذين ذهبوا إلى أن القضاء وظيفة شرعية جعلوه متفرعاً عن الخلافة فمن أنكر الخلافة أنكر القضاء . وقال الشيخ على في دفاعه : « ان الذي أنكر أنه خطة شرعية إنما هو جعل القضاء وظيفة معينة من وظائف الحكم ومراكز الدولة واتخاذها مقاماً ذا أنظمة معينة وأساليب خاصة » .

وما زعمه الشيخ على من انكار أن القضاء وظيفة شرعية وخطة دينية باطل ومصادم لآيات الكتاب العزيز ، قال الله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » وقال تعالى : « فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق » وقال تعالى : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » وقال تعالى « إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » ومن حيث إنه يزعم أن حكومة أبي بكر والخلفاء الراشدين من بعده رضى الله عنهم كانت لادينية فقد قال في ص ٩ : « طبيعي معقول إلى درجة البداهة ألا توجد بعد النبي صلى الله عليه وسلم زعامة دينية . وأما الذي يمكن أن يتصور وجوده فأنما هو نوع من الزعامة جديد ليس متصلاً بالرسالة ولا قائماً على الدين ، هو إذاً نوع لاديني » . وهذه جراءة لادينية فإن الطبيعي والمعقول عند المسلمين إلى درجة البداهة أن زعامة

أبي بكر رضى الله عنه كانت دينية يعرف ذلك المسلمون سلفهم وخلفهم جيلا بعد جيل.

ومن حيث ان التهمة الموجهة ضد الشيخ على عبد الرازق ثابتة عليه وهى مما لا يتناسب وصف العالمية وفقا للمادة (١٠١) من القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ ، فبناء على هذه الاسباب حكمنا نحن شيخ الجامع الأزهر باجماع أربعة وعشرين عالما معنا من هيئة كبار العلماء باخراج الشيخ على عبد الرازق أحد علماء الجامع الأزهر والقاضى الشرعى بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية ومؤلف كتاب د الاسلام وأصول الحكم ، من زمرة العلماء .

وكانت الثورة الثانية عندما أخرج الدكتور طه حسين عام ١٩٢٦ كتابه «الشعر الجاهلى» ، فحدث ضجة هائلة فى مصر وبين رجال الدين ، استمر صداها أمدا طويلا . وكان أول أثر لهذا الصدى هو مصادرة الكتاب ، وقد حققت النيابة العامة مع الدكتور واتخذت النية أخيرا قرارا بحفظ أوراق التحقيق إداريا لأن غرض المؤلف لم يكن مجرد الطعن والتعدي على الدين ، بل أن العبارات الماسة بالدين التى أوردها فى بعض المواضع من كتابه إنما قد أوردها فى سبيل البحث العلمى مع اعتقاده ان بحثه يقتضيها .

وقد أخرج الدكتور طه كتابه بعنوان جديد هو « فى الأدب الجاهلى » وحذف منه بعض الفقرات التى كانت سببا لثورة الجماهير ورجال الدين على الكتاب ، وقد بسطت المسائل الأدبية التى أوردها الدكتور فى كتابه (الشعر الجاهلى) ، وناقشتها مناقشة تحليلية فى كتابى (الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى) ، فلاداعى للعودة إليها فى هذا الكتاب .

وفى عهد الشيخ المراغى فكر فى ترجمة القرآن سنة ١٩٣٦ ، وقد ثار الكثير على الشيخ المراغى وعارضوا مشروع الترجمة ، وقدم الشيخ إلى رئيس مجلس الوزراء مذكرة بشأن المشروع جاء فيها :

اشتغل الناس قديما وحديثا بترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغات المختلفة وتولى

ترجمته أفراد يجيدون لغاتهم ولسكنهم لا يجدون اللغة العربية ولا يفهمون الاصطلاحات الإسلامية الفهم الذي يمكنهم من أداء معاني القرآن على وجه صحيح ، لذلك وجدت في التراجم أخطاء كثيرة وانتشرت تلك التراجم ولم يجد الناس غيرها فاعتمدوا عليها في فهم أغراض القرآن الكريم وفهم قواعد الشريعة الإسلامية فأصبح لزما على أمة إسلامية كالامة المصرية لها المكان الرفيع في العالم الإسلامي أن تبادر إلى ازالة هذه الأخطاء وإلى اظهار معاني القرآن الكريم نقية في اللغات الحية لدى العالم ، ولهذا العمل أثر بعيد في نشر هداية الإسلام بين الأمم التي لاتدين بالإسلام ذلك أن أساس الدعوة إلى الدين الإسلامي إنما هو الادلاء بالحجة الناصعة والبرهان المستقيم ، وفي القرآن الكريم من الحجج الباهرة والادلة الدامغة ما يدعو الرجل المنصف إلى التسليم بالدين والاذعان له . وفائدة أخرى للأهم الإسلامية التي لاتعرف العربية وتشرئب أعناقها إلى اقتطاف ثمرات الدين من مصدرها الرفيع فلا تجد أمامها إلا تراجم قذمت بالاطعاء ، فاذا ما قدمت لها ترجمة صحيحة تصدرها هيئة لها مكانتها الدينية في العالم اطعما أنت اليها وركنت إلى أنها تعبر عن الوحي الإلهي تعبيراً دقيقاً .

لذلك أقترح أن يقرر مجلس الوزراء ترجمة معاني القرآن الكريم ترجمة رسمية على أن تقوم بذلك مشيخة الأزهر بمساعدة وزارة المعارف وأن يقرر مجلس الوزراء الاعتماد اللازم لذلك المشروع الجليل ، فأرجو النظر في هذا .

وقد أرفق المرافق بمذكرته نص فتوى كبار العلماء ، وقد وجه إليهم سؤال الاجاء فيه .
ما قول السادة حضرات أصحاب الفضيلة جماعة كبار العلماء في السؤال الآتي بعد ملاحظة المقدمات الآتية :

١ - لا شبهة في أن القرآن الكريم اسم للنظم العربي الذي نزل على سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وعلى آله .

ولا شبهة أيضاً في أنه إذا عبر عن معاني القرآن الكريم بعد فهمها من النص العربي بآية لغة من اللغات لاتسمى هذه المعاني ولا العبارات التي تؤدي هذه المعاني قرآناً .

٢ - وبما لا محل للحلاف فيه أيضاً أن الترجمة اللفظية بمعنى نقل المعاني مع خصائص النظم العربي المعجز مستحيلة .

٣ - وضع الناس تراجم للقرآن الكريم بلغات مختلفة اشتملت على أخطاء كثيرة واعتمد على هذه التراجم بعض المسلمين الذين لا يعرفون اللغة العربية ، وبعض العلماء من غير المسلمين ممن يريد الوقوف على معاني القرآن الكريم .

٤ — وقد دعا هذا إلى التفكير في نقل معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى على الوجه الآتي :

يراد أولاً فهم معاني القرآن الكريم بوساطة رجال من خيرة علماء الأزهر الشريف بعد الرجوع لآراء كبار أئمة المفسرين وصوغ هذه المعاني بعبارات دقيقة محدودة ، ثم نقل هذه المعاني التي فهمها العلماء إلى اللغات الأخرى بوساطة رجال موثوقين بآماتهم واقتدارهم في تلك اللغات بحيث يكون ما يفهم في تلك اللغات من المعاني هو ما تؤديه العبارات العربية التي يضعها العلماء ، فهل الاقدام على هذا العمل جائز شرعاً أو غير جائز .

هذا مع العلم بأنه سيوضع تعريف شامل يتضمن أن الترجمة ليست قرآناً وليس لها خصائص القرآن وليست هي ترجمة كل المعاني التي يحتملها النظم العربي وإنما هي ترجمة للمعاني التي فهمها العلماء وأنه ستوضع الترجمة وحدها بجوار النص العربي للقرآن الكريم .

وقد أجاب السادة العلماء على ذلك بالفتوى الشرعية الآتي نصها : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد فقد اطلعنا على جميع ما ذكر بالاستفتاء المدون بباطن هذا ونفيد بأن الاقدام على الترجمة على الوجه المذكور تفصيلاً في السؤال جائز شرعاً والله سبحانه وتعالى أعلم .

امضاءات : محمود الديناري عضو جماعة كبار العلماء وشيخ معهد طنطا ، عبد المجيد اللبان شيخ كلية أصول الدين وعضو جماعة كبار العلماء ، ابراهيم حمروش شيخ كلية اللغة العربية وعضو جماعة كبار العلماء ، محمد مأمون الشناوى شيخ كلية الشريعة وعضو جماعة كبار العلماء ، عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية وعضو جماعة كبار العلماء ، محمد عبد اللطيف الفحام وكيل الجامع الأزهر وعضو جماعة كبار العلماء ، دسوقي عبد الله البدوي عضو جماعة كبار العلماء ، أحمد الدلبشاني عضو جماعة كبار العلماء ، يوسف الدجوى عضو جماعة كبار العلماء ، محمد سبع الذهبي شيخ الحنابلة وعضو جماعة كبار العلماء ، عبد المعطى الشرشيمي عضو جماعة كبار العلماء ، عبد الرحمن قراعة عضو هيئة كبار العلماء ، أحمد نصر عضو جماعة كبار العلماء ، محمد الشافعى الظواهري عضو جماعة كبار العلماء :

حيث ان الترجمة المرادة هي ترجمة لمعاني التفسير الذي يضعه العلماء فهي جائزة شرعاً بشرط طبع التفسير المذكور بجوار الترجمة المذكورة ، كتبه بيده الفانيصة :

عبد الرحمن عليش الخنفي من جماعة كبار العلماء .

ولما تلقى المراغى هذه الفتوى الشرعية أرفقها بكتاب منه هذا نصه : بسم الله الرحمن الرحيم . وجهت هذا السؤال إلى حضرات أصحاب الفضيلة جماعة كبار العلماء وأنا أوافقهم على ما رأوه ولا أرى داعياً للحفاظ الذي أبداه فضيلة الشيخ عبد الرحمن عليش وهو طبع التفسير مع الترجمة لعدم الحاجة إلى ذلك بعد مراعاة الشروط المدونة في السؤال . رئيس جماعة كبار العلماء : محمد مصطفى المراغى . ومع ذلك فقد بدأت لجنة في عهد الشيخ المراغى في ترجمة القرآن ، ثم توقفت عن العمل ، ولم تنجز شيئاً من مهمتها .

ولما تولى المشيخة الأستاذ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش فسكّر في طبع رسائل إسلامية للتعريف بالإسلام بشقّي اللغات ، ومع ذلك لم ينتجز شيء من هذا العمل . وفي أكتوبر عام ١٩٥٤ كتب الدكتور طه حسين يطالب بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الحية ، وأجابته مشيخة الأزهر على تساؤله بأن المشيخة تفكر في وضع وطبع رسائل إسلامية تكتب بشقّي اللغات العالمية الحية .

— ٤ —

وفي عام ١٩٤٧ ألف الأستاذ محمد أحمد خلف الله رسالة سماها « الفن القصصى من القرآن الكريم » ، وقدمها إلى كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول للحصول على الدكتوراه وقد ثار على هذه الرسالة علماء الأزهر ، وفي مقدمتهم الشيخ عبد المجيد سليم ، والمرحوم الشيخ عبد الفتاح بدوى الأستاذ بكلية اللغة العربية سابقاً ، والشيخ شلتوت وكان معهم أحمد أمين ، وبعضهم أساتذة الجامعة . ووقف الأستاذ أمين الخولى وصاحب الرسالة يدافعان عن الكتاب . . . وقد كانت أخبار اليوم وبعض الصحف والمجلات تنشر بين الحين والحين أنباء المعركة حول هذه الرسالة ، وقد قررت الجامعة عدم صلاحية الرسالة ، وطالبت المؤلف بتقديم رسالة أخرى ، وقد نشر كتابه بعد ذلك .

— ٥ —

وفي عام ١٩٥٠ أخرج الدكتور طه حسين كتابه (الوعد الحق) ، وانفقت معه بعض شركات السينما على إخراجه في (فيلم سينمائي) . . . فوافق على ذلك بعض العلماء ، وثار آخرون على هذا الفيلم الذى تعرض فيه للصحابة على الشاشة البيضاء ، ومنهم المرحوم الشيخ محمود أحمد النمر اوى عضو جماعة

كبار العلماء الذي كتب في الأهرام يوم ١٠ / ٨ / ١٩٥٠ يقول :
قرأت ما أملاه الدكتور طه حسين وزير المعارف على مندوب الأهرام جواباً
عن سؤاله الخاص بوضع سيادته سيناريو عن الدين الاسلامي عند ظهوره ، وقد جاء فيما
أملاه الدكتور على المندوب انه اصدر في شهر يناير الماضي كتاباً عنوانه " الوعد
الحق " ، وان هذا الكتاب يصور الاضطهاد الذي لقيه المسلمون عند ظهور الاسلام ،
وكيف ثبت المسلمون لهذا الاضطهاد وصبروا عليه وانتصروا على الذين كانوا يضطهدونهم .
وان هذا الكتاب ظهر وتلقاه القراء لقاء حسناً ، ثم قص ما عرضه عليه الأستاذ عز الدين
من رجائه للدكتور ان ياذن له في أن يستقي من هذا الكتاب سيناريو لفيلم
سينمائي ، فاستغرب الدكتور الأمر واستبعد ان يكون تحقيقه ممكناً ولـكنه لما
كله فيه مرة ومرة اقتنع بإمكان ذلك ، وطلب اليه ان يستأذن من رجال الدين شيخين
عينهما ، فلما جاءه منهما كتابان اذنا فيهما بهذا العمل واطهرا استحساناً شديداً له ،
اخذ الدكتور في مراجعة السيناريو الذي كان قد وضعه المخرج ، وانتهيا أخيراً إلى
اقراره بعد جهد طويل .

تلك هي قصة وضع ذلك السيناريو الذي اعتزم الدكتور طه حسين أن
يبرز به نبي المسلمين وخلفاءه الراشدين وأصحابه الأبرار المجاهدين مصورين
في فيلم سينمائي ، فيزول إيمان العامة ، ويفتن جماهير المسلمين إذ يكون النظارة
من الدهماء وغيرهم عند عرض هذا الفيلم عليهم بين أمرين لا ثالث لهما : إما أن
يستقبلوه كهأدبهم عند عرض ما يستغرب عليهم فيتلقوه بالصغير والنعير ، ولازمة
ذلك الاستهزاء والتحقير وذلك هو الاثم البواح والكفر الصراح .

أو يتلقوا هذه الصور الكريمة بما يليق لأصحابها من احترام وتوقير ، وتعظيم
وتقدير ، فيدخلوا في باب من أبواب التشبه بعبدة الصور ، وحينئذ يلجون على الشرك
أو يلج عليهم الشرك من باب أمرنا بالإسلام بسده ، ونهى الدين عن ولوجه ، أو أن
يحمون المسلمون حوله بتحريم التصوير ولعن المصورين وحظره اتخاذ الصور . هذا
إلى أن تصوير النبي وصحبه وخلفائه (وهم الذين يحرمون التصوير ويحظرون اتخاذ
الصور) مؤذن باستخفاف المصور وكل من يقره أو يرضى عن عمله بأصحاب
هذه الصور .

فن أبرز إنساناً على هيئة أو صورة يكره اتخاذها لغيره ، بله أن يكون قد جاء

بدين يحرم اتخاذ الصور فهو مزدر بصاحب هذا الدين ومستخف به . ولو أن انسانا
رسم الدكتور طه حسين الآن في زى : فوق رأسه عمامة وعليه قفطان وجبة ويده
مسيحة ، فاني أحكم بأن الذي فعل ذلك مستخف بالدكتور مستهزئ به ، ذلك
بأنني أعلم أن الدكتور طه نبذ هذا الزى منذ أعوام وحرمه على نفسه ، فمن يصور
النبي وهو يعلم أن النبي قد حرم التصوير ونهى عن اتخاذ الصور ، فقد اقترف
اثما مبينا ، واقرب من الكفر بهذا النبي وشريعته ودينه . إن للدكتور طه
أن يكتب للناس ويخيلهم بسحر بيانه وأن يعرض على القراء من صفحات التاريخ
الاسلامى صفحات رانعات يبين لهم فيها أن المسلمين في أول ظهور الاسلام لم يكسبوا
حريتهم الا بالجهد والصبر والمقاومة والثبات ، تلك الخلال المجيدة التي كسبهم إياها إيمانهم
وممكنها من قلوبهم صدقهم في الإيمان ، وأن يصور لهم في ذلك ما يشاء بأسلوبه الطلي وبيانه
الساحر الوحي ، لعلمهم يرجعون إلى نفوسهم ، ويتعرفون مكان الداء في قلوبهم فيداووها ،
فان الله ليس شكر له ويجزل ثوابه على ما يقدم من عمل على حسب نيته . غير أنى أربا
بالدكتور عن أن يخرج عن طبيعته ويعدل عن صناعته وأن يحاول أن يحدد بيانه ويبدل
سحره واحسانه ، ويجعل من ذلك صورامية ورسوما جامدة لا فائدة من ورائها ، فان ابى
لنفسه إلا ذلك فاني انصح له ألا يسعى إلى المسلمين والا يمتحن قداسة النعمين والصديقين
يروج الوزير لمشروعه الخطير بانه سيكون له أثر حسن جدا من ناحيتين ذكرهما !
فاما عن الناحية الأولى فقد قدمنا ما سيكون من النظارة عندما يعرض عليهم هذا الفيلم
وذكرنا ما ينجم عنه من خطر على عقيدتهم ودينهم .

وإذا كنا ننو وتوقع مما تأتية الجماهير من الآهات المكررة والأصوات المنكرة
حين سماعها للقرآن وهو الذي تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم
إلى ذكر الله فتراهم حين يسمعون القرآن من قارىء متكسر في تلاوته يصيحون
ويسكتون من التاوه تأثرا بالنعمة واستحسانا للوحدة ذاهلين عن معانى الآيات التي
تقرع اسماءهم فلا تخشع لها جوارحهم أو تلين قلوبهم — فكيف يكون الحال عندما
يشاهدون أبطال المسلمين ونبي الاسلام في ثياب بالية مهلهلة وفي هيئة تنبوعها أبصارهم
وتنفّر منها اذواقهم ، وهل يبقى لواحد من هؤلاء الدهماء دينه ، أو يثبت معه إيمانه
ويقينه عندما يهجم على قلبه الاشتمزاز والنفور من تلك الهيئة البدوية والصورة
العربية الوحشية التي ينكرها ذوقه ويشمئز منها حسه ، أياظن معالى الدكتور أن
يكون الدهماء فلا سفة عندما يشاهدون السيناريو الذي يعده معاليه لهم فتقتحم

أبصارهم تلك الصور وتتخطى ما يحيط بها من الأستار ويطفرون بمقولم ويشبون
بافكارهم إلى ما وراء هذه الصور الشوهاء الملتبسة فيدركون ما تخفى وراءها من المعاني
والأسرار .

أما الناحية الثانية التي يروج بها الدكتور لمشروعه وهي الناحية الفنية ووض
صاحبه بها وتقدمه فيها فإننا نتمنى لصاحبه ما يتمناه هو له من النبوغ والتقدم ، وأن
يكون في فنه من العبقريين على أن لا يجرى ريشته في رموس المسلمين .

أما بعد فإن عهدي بالدكتور طه حسين انه من أولئك الرجال الذين لا يستفتون
غيرهم وإنما يستفتون قلوبهم وإن أفتاهم المفتون لا يدفعه إلى أمر دافع ، ولا يرجعه
أو يثنيه عن رغبة أرادها راجع ، فما باله اليوم ينزل عن مطيته ، ولا يمسى لطيته
حتى يجيزه اثنان ارتضاها من بين رجال الدين . ثم أقول لحضرتي الشيخين اللذين
أجازا في كتابيهما هذا العمل وأظهرا استحسانهما الشديد له : على أي أساس بنيتما هذا
الاذن وكيف كان هذا الاستحسان ؟ فهل غاب عنكما وأنتما من أعرف الناس بروح
هذا العصر ، وما يغلب على أهله من التردد على الدين والالحاد فيه — ما يترتب
على هذا العمل من خطر ، وما ينشأ عنه من فتن تفتح أبوابها وتغفر أفواهها ، وهل
نسيتما سد الذرائع ؟ عسى أن تعدا في العصريين ، وألا تكونا مثلنا عن ركب الحياة
متخلفين !

خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغرن الثناء
ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا يا أرحم الراحمين .

حول كتاب من هنا نبدأ :

وقد أخرج الشيخ خالد محمد خالد من العلماء كتابا عام ١٩٥٠ سماه « من هنا
نبدأ » . . . وقد ثار العلماء على هذا الكتاب ، وكثرت حركة النقد حوله بما هو
مشهور ومعروف .

وقد صودر الكتاب ونظرت قضية مصادره أمام القضاء ، فحكم بإلغاء أمر
مصادره ، لأن حرية الرأي مكفولة في حدود القانون ، والكتاب لا ينطوى على
جريمة ما ، وقد كتب خالد محمد خالد مقالة في المصري بعنوان « شموع لا حراب » ،
قال في آخرها : « لقد احتكم الأزهر إلى القضاء ، وقال القضاء كلمته ، فلننح لها
في خشوع وإعجاب ، فإنها كضوء الفجر منيرة هادية » .

وطالبت الهيئات النسائية بإعطاء المرأة حقوقها السياسية ، وأيدها في ذلك بعض الافراد ، فنشر مفتي الديار المصرية الشيخ مخلوف عام ١٩٥٢ فتوى جاء فيها :
 عن الإسلام أتم عناية بإعداد المرأة الصالحة للمساهمة مع الرجل في بناء المجتمع على أساس من الدين والفضيلة والخلق القويم وفي حدود الخصائص الطبيعية لكل من الجنسين فرفع شأنها وكون شخصيتها وقررت حريرتها وفرض عليها كالرجل طلب العلم والمعرفة ، ثم ناط بها من شئون الحياة ما تهيؤها لها طبيعة الأنوثة وما تحسنه حتى إذا نهضت بأعبائها كانت زوجة صالحة وأما مربية وربة منزل مدبرة وكانت دعامة قوية في بناء الأسرة والمجتمع .
 وكان من رعاية الإسلام لها حق الرعاية أن حاط عزتها وكرامتها بسياس منيع من تعاليم الحكيمه وحى أنوثتها الظاهرة من العبث والعدوان وباعد بينها وبين مظان الزيف وبواعث الاقتتان فحرم على الرجل الأجني الخلوة بها ، والنظرة العارمة إليها ، وحرم عليها أن تبدى زينتها إلى مظهر منها ، وأن تخالط الرجال في مجامعهم ، وأن تشبه بهم فيما هو من خواص شئونهم ، وأعفاها من وجوب صلاة الجمعة والعيد مع ما عرف أعن الشارع من شديد الحرص على اجتماع المسلمين وتواصلهم ، وأعفاها في الحج من التجرد للاحرام ، ومنعها الإسلام من الأذان العام ، وإمامة الرجال للصلاة ، والإمامة العامة للمسلمين ، وولاية القضاء بين الناس ، وأتم من يوليها ، بل حكم ببطالان قضائها على ما ذهب إليه جمهور الأئمة ، ومنع المرأة من ولاية الحروب وقيادة الجيوش ولم يسبح لها من معونة الجيش إلا ما يتفق وحرمة أنوثتها .

وقد قال تعالى للمؤمنين بعد أن أمرهم بطاعة الله وطاعة رسوله وأولى الأمر (فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) والرد إلى الله والرسول هو الرد إلى القرآن والسنة ، وقال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فليس للمرأة المؤمنة أن تترك ما حدده لها الشارع الحكيم وتأخذ بما نهاها عنه ، وقد قال تعالى للنساء نبيه صلى الله عليه وسلم ونساء الأمة تبع لمن (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله) عن أنس رضي الله عنه ان بعض النساء قلن يا رسول الله ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله فما لنا من عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قعدت منكن في بيتها فإنها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى والجهاد سنام الإسلام وعموده ومادونه لا يدانيه فضلا واجرا) ، وقال تعالى (وإذا سألتموهن

متاعا فاسالوهن من وراء حجاب). قال القرطبي ويدخل في ذلك جميع النساء بالمعنى وبما تضمنته أصول الشريعة من أن المرأة كلها عورة بدنها وصوتها فلا يجوز كشف ذلك إلا للضرورة القصوى وفي الحديث (المرأة عورة وإذا خرجت استشرفها الشيطان وإنها تكون أقرب إلى الله منه في بيتها) ، وفي الحديث الصحيح (لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي رحم) وفيه (إن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) — وفيه (لعن رسول الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال) وفيه (صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رموهن كاسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها) وهذا من أعلام النبوة التي وقعت . ولا سبيل إلى استقصاء الآيات والأحاديث الواردة في ذلك لشدتها ، بل ما كنا في حاجة إلى ذكرها وهي من بديهيات التشريع وفيها الدلالة القاطعة على أن الشريعة الإسلامية لا تبيح للمرأة ما تطالب به الآن بما سمته حقوقاً لها وهو اعتداء منها على الحقوق التي خص بها الرجال . وكل ما أباحه لها الشارع وما منعها منه إنما هو لخيرها وضونها وسد ذرائع الفتنة منها والافتتان بها حذرا من أن يحيق بالمجتمع ما يفضي إلى انحلاله وانحيار بنائه والله أعلم بما للطبائع البشرية من سلطان ودوافع وبما للنفوس من ميول ونوازع والناس يعلمون والحوادث تصدق . ولقد بلغ من أمر الحيلة للمرأة أن أمر الله تعالى نساء نبيه صلى الله عليه وسلم بالحجاب وهن أمهات المؤمنين حرمة واحتراما وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم تمس يده وهو المعصوم أيدي النساء اللاتي بايعنه — وأن المرأة لم تول ولاية من الولايات الإسلامية في عهده ولا في عهد الخلفاء الراشدين ولا في عهود من بعدهم من الملوك والأمراء ولا حضرت مجاس تشاوره صلى الله عليه وسلم مع أصحابه من المهاجرين والأنصار .

ذلك شأن المرأة في الإسلام ومبلغ تحصينها بالوسائل الواقية ، فهل تريد المرأة الآن أن تخترق آخر الأسوار وتقتحم على الرجال قاعة البرلمان فتزاحم في الانتخاب والدعاية والجلسات والليجان والحفلات والتردد على الوزارات والسفر إلى المؤتمرات والجذب والدفع وما إلى ذلك مما هو أكبر إثماً وأعظم خطراً من ولاية القضاء بين خصمين وقد حرمت عليها واتفق أئمة المسلمين على تأنيب من يوليها تاركة زوجها وأطفالها وبيتها وديعة في يدهم لا يرحم . إن ذلك لا يرضاه أحد ولا يقره الإسلام بل ولا الأكثرية الساحقة من النساء اللهم إلا من يدفعه تملق المرأة أو الخوف من غضبتها إلى مخالفة الضمير والدين ومجاعة الأهواء ولا حسابان في ميزان الحق لهؤلاء . على المسلمين عامة

ان يتعرفوا حكم الاسلام فيما يعتزمون الاقدام عليه من عمل ، فهو مقطع الحق وفصل الخطاب ، ولا خفاء في ان دخول المرأة في معمعة الانتخاب والنيابة غير جائز لما بيناه . وإننا ننتظر من السيدات الفضليات أن يعملن بجد وصدق لرفعة شأن المرأة من النواحي الدينية والأخلاقية والاجتماعية والعلمية الصحيحة في حدود طبيعة الأنوثة والتعاليم الإسلامية قبل أن يحرصن على خوض غمار الانتخاب والنيابة . وان نسمع منهن صيحة مدوية للدعوة إلى وجوب تمسك النساء عامة بأهداب الدين والفضيلة في الأزياء والمظاهر والاجتماعات النسائية وغير ذلك بما هو كمال وجمال للمرأة المهذبة الفاضلة .

وأصدرت لجنة الفتوى في الأزهر حول هذا الموضوع هذه الفتوى :

إن لجنة الفتوى تتوخى جهدها هذه الأصول والمبادئ - في بحث ما يعرض لها من المسائل - وتسير على هذا النهج في بحث المسألة الحاضرة : مسألة حق المرأة في الانتخاب . وهي تقرر أن هذه المسألة ذات شقين :

الأول : أن تكون المرأة عضواً في البرلمان .

الثاني : أن تشترك في انتخاب من يكون عضواً فيه .

ولمعرفة الحكم في هذين الأمرين اللذين يتضمن أولهما نوعاً من ولاية التصرف في شئون عامة ، يلزم بيان أن الولاية نوعان . ولاية عامة وولاية خاصة .

فالولاية العامة : هي السلطة الملزمة في شأن من شئون الجماعة ، كولاية من القوانين والفصل في الخصومات ، وتنفيذ الأحكام ، والهيمنة على القائمين بذلك . والولاية الخاصة : هي السلطة التي يملك بها صاحبها التصرف في شأن من الشئون الخاصة بغيره كالوصاية على الصغار ، والولاية على المال : والنظارة على الأوقاف . وقد فسحت الشريعة للمرأة في هذا النوع الثاني من الولاية فهي تملك منها ما يملكه الرجل كما تملك التصرف في شئون نفسها الخاصة بها . فلها حق التصرف في أموالها بالبيع والهبة والرهن والاجارة وغيرها من التصرفات وليس لزوجها ولا لأحد من أهلها حق معها في ذلك . ماسكتها الشريعة ذلك كله مع إرشادها إلى ما يحفظ كرامتها وحياتها بما فيه ضمان شرفها ومكانتها .

أما الولاية العامة - ومن أهمها مهمة عضو البرلمان وهي ولاية سن القوانين

والهيمنة على تنفيذها - فقد قصرتها الشريعة الاسلامية على الرجال إذا توافرت فيهم شروط معينة .

وقد جرى التطبيق العملي على هذا من فجر الاسلام إلى الآن . فانه لم يثبت أن شيئاً من هذه الولايات العامة قد أسند إلى المرأة ، لا مستقلة ولا مع غيرها من الرجال وقد كان في نساء الصدر الأول منقفات فضليات ، وفيهن من تفضل كثيراً من الرجال كأمهات المؤمنين .

ومع أن الدواعي لاشتراك النساء مع الرجال في الشئون العامة كانت متوافرة لم تطلب المرأة أن تشترك في شيء من تلك الولايات ولم يطلب منها هذا الاشتراك ، ولو كان لذلك مسوغ من كتاب أو سنة لما أهملت مراعاته من جانب الرجال والنساء باطراد . وهذه قصة سقيفة بني ساعدة في اختيار الخليفة الأول بعد الرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ فيها الخلاف أشده ثم استقر الأمر لابي بكر وبيع بعد ذلك البيعة العامة في المسجد ، ولم تشترك امرأة مع الرجال في مداولة الرأي في السقيفة ولم تدع لذلك ، كما أنها لم تدع ولم تشترك في تلك البيعة العامة .

وكم من اجتماعات شورية من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ومن الخلفاء وإخوانهم في شئون عامة لم تدع إليها المرأة ولم تشترك فيها .

والدليل الشرعي على هذا المنع هو ما رواه البخاري في صحيحه وأخرجه أحمد في مسنده والنسائي في سننه والترمذي في جامعه - قال البخاري : حدثنا عثمان بن الهيثم قال حدثنا عوف عن الحسن البصري عن أبي بكر قال : لقد نفى الله بكلمة أيام الجمل ، لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن فارس ملكوا ابنة كسرى قال : لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة . وظاهر أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقصد بهذا الحديث مجرد الاخبار عن عدم فلاح القوم الذين يولون المرأة أمرهم ، لأن وظيفته عليه الصلاة والسلام بيان ما يجوز لأئمة أن تفعله حتى تصل إلى الخير والفلاح . وما لا يجوز لها أن تفعله حتى تسلم من الشر والخسار ، وإنما يقصد نهى أمته عن مجارة الفرس في اسناد شيء من الأمور العامة إلى المرأة . وقد ساق ذلك بأسلوب من شأنه أن يبعث القوم الحريصين على فلاحهم وانتظام شملهم على الامتثال . وهو أسلوب القطع بأن عدم الفلاح ملازم لتولية المرأة أمراً من أمورهم . ولا شك أن النهي المستفاد من الحديث يمنع كل امرأة في أي عصر من العصور أن تتولى أي شيء من الولايات العامة وهذا العموم تفيد صيغة الحديث وأسلوبه كما يفيد

المعنى الذى من أجله كان هذا المنع ، وهذا هو ما فهمه أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وجميع أئمة السلف لم يستثنوا من ذلك امرأة ولا قوما ولا شائنا من الشئون العامة . فهم جميعا يستدلون بهذا الحديث على حرمة تولى المرأة الإمامة الكبرى والقضاء وقيادة الجيوش وما إليها من سائر الولايات العامة : هذا الحكم المستفاد من الحديث وهو منع المرأة من الولايات العامة ليس حكما تعبديا يقصد مجرد امتثاله دون أن تعلم حكمته وإنما هو من الأحكام المعللة بمعان واعتبارات لا يحلها الواقفون على الفروق الطبيعية بين نوعى الإنسان : « الرجل والمرأة » . ذلك أن هذا الحكم لم ينط بشيء وراء « الانوثة » التى جاءت كلمة « امرأة » فى الحديث عنوانا لها . واذن فالانوثة وحدها هى العلة فيه .

وواضح أن الانوثة ليس من مقتضاها الطبيعى عدم العلم والمعرفة ولا عدم الذكاء والفطنة حتى يكون شيء من ذلك هو العلة ، لأن الواقع يدل على أن للمرأة علما وقدرة على أن تعلم كالرجل بل قد تفوق الرجل فى العلم والذكاء والفهم ؟ فلا بد أن يكون الموجب لهذا الحكم شيئا وراء ذلك كله .

إن المرأة بمقتضى الخلق والتكوين مطبوعة على غرائز تناسب المهمة التى خلقت لأجلها ، وهى مهمة الأمومة وحضانة النشء وتربيته وهذه قد جعلتها ذات تأثر خاص بدواعى العاطفة وهى مع هذا تعرض لها عوارض طبيعية تتكرر عليها فى الأشهر والأعوام من شأنها أن تضعف قوتها المعنوية وتوهن من عزيمتها فى تكوين الرأى والتمسك به والقدرة على السكفاح والمقاومة فى سبيله وهذا شأن لا تشكره المرأة من نفسها . ولا تعوزنا الأمثلة الواقعية التى تدل على أن شدة الانفعال والميل مع العاطفة من خصائص المرأة فى جميع أطوارها وعصورها . فقد دفعت هذه الغرائز المرأة فى اسمى بيئة نسوية إلى تغليب العاطفة على مقتضى العقل والحكمة ، وآيات من سورة الأحزاب : تشير إلى ما كان من نساء النبي صلى الله عليه وسلم وتطبعن إلى زينة الدنيا ومنعتها ومطالبتهن الرسول أن يغدق عليهن مما أفاء الله به عليه من الغنائم حتى يعشن كما تعيش زوجات الملوك ورؤساء الأمم . لكن القرآن قد ردهن إلى مقتضى العقل والحكمة فى ذلك « يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكم أجرا عظيما » ، وآية أخرى من سورة التحريم تحدث عن غيرة بعض نساته عليه الصلاة والسلام وما كان لها من الأثر فى تغليبهن العاطفة

على العقل ، مما جعلهم يدبرن ما يتظاهرن به على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد ردهن القرآن إلى الجادة ، ان تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه ، وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير .

هذه هي المرأة في أسنى البيئات النسوية لم تسلم من التآثر الشديد بدواعي العاطفة ولم تنهض قوتها المعنوية على مغالبة نوازع الغيرة مع كمال إيمانها ونشاطها في بيت النبوة والوحي ، فكيف بامرأة غيرها لم تؤمن بإيمانها ولم تنشأ نشاطها وليس لها ما تطمع به أن تبلغ شأوها أو تقارب منزلتها ؟ !

فالحق ان المرأة بأثرها عرضة للانحراف عن مقتضى الحكمة والاعتدال في الحكم ، وهذا هو ما عبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم بنقصان العقل ورتب عليه — كما جاء في القرآن الكريم — ان شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل وقد بنت الشريعة على هذا الفرق الطبيعي بين الرجل والمرأة التفريق بينهما في كثير من الأحكام :

جعلت القوامة على النساء للرجال ؟ ، الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، ، وجعلت حتى طلاق المرأة للرجل دونها ومنعتها السفر دون محرم أو زوج أو رفقة مأثومة ولو كان سفرها لأداء فريضة الحج . وجعلت للاحق الحضانة للصغار دون الرجل ، وأوجبت على الرجل حضور الجمعة والجماعات والجهاد ولم توجب عليها شيئاً من ذلك . وإذا كان الفرق الطبيعي بين الرجل والمرأة قد أدى في نظر الشريعة إلى التفرقة بينهما في هذه الأحكام التي لا تتعلق بالشئون العامة للأمم فإن التفرقة بينهما بمقتضاها في الولايات العامة — التي يجب أن تكون بمنأى عن مظان التآثر بدواعي العاطفة — تكون في نظر الحكمة أحق وأوجب .

ومن هنا تقرر لجنة الفتوى ، أن الشريعة الإسلامية تمنع المرأة — كما جاء في الحديث الشريف — أن تلي شيئاً من هذه الولايات ، وفي مقدمتها ولاية سن القوانين التي هي مهمة أعضاء البرلمان . ، هذا — وليس من الولايات العامة التي تمنع منها المرأة ما يعهد به إلى بعض النساء من الوظائف والاعمال كالتدريس للبنات وعمل الطبابة والمرضة في علاج المرضى من النساء وتمريضهن ، فإن هذه الاعمال وما شابهها ليس فيها معنى الولاية العامة ، الذي هو سلطان الحكم وقوة الالتزام ، وقد استند دعاة حق المرأة في الانتخاب إلى بعض وقائع حسبوها من الولاية العامة التي تولتها المرأة على حين أنها ليست من هذه الولاية في شيء ، فقد قالوا ان السيدة عائشة رضي الله عنها

تولت قيادة الجيش في واقعة الجمل لمقاتلة حزب علي رضي الله عنه ، وإيراد هذه الواقعة على هذا الوجه ليس فيه إنصاف للحقيقة والتاريخ . فان السيدة عائشة لم تخرج محاربة ولا قائدة لجيش محارب ، وإنما خرجت داعية للمطالبة بدم عثمان رضي الله عنه ، وقد دفعها إلى ذلك أنها كانت ساخطة — كغيرها من أهل عثمان وأشياعهم — على خطة التريث والتمهل وعدم المبادرة بالبحث قبل كل شيء عن قتلة عثمان والاقتصاص منهم ، وهذا أمر ليس من الولاية العامة في شيء كما قلنا . على أن صنيع السيدة عائشة هذا ليس فيه دليل شرعي يصح الاستناد إليه ، فانه كان عن اجتهاد منها . وكانت مخطئة فيه . وقد أنكر عليها بعض الصحابة هذا الخروج فاعترفت بخطئها وندمت على خروجها . وفي ذلك يروى الحافظ بن حجر في شرح صحيح البخاري يقول : أخرج عمر بن شبة من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن أن عائشة أرسلت إلى أبي بكر - تدعوه إلى الخروج معها - فقال : إنك لائم وإن حقك لعظيم . ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن يفلح قوم تملأهم امرأة » ولم يخرج معها أبو بكر . وورد كذلك من طريق قيس بن أبي عاصم قال : لما أقبلت عائشة فنزلت ببعض مياه بني عامر نبحث عليها الكلاب فقالت : أي ماء هذا ؟ فقالوا : الحواب ، فقالت : ما أظنني إلا راجعة فقالت لها بعض من كان معها : بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ذات يدينهم . فقالت : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لنا ذات يوم : « كيف يأحدا كن تنبح عليها كلاب الحواب ؟ » وأخرج هذا أحمد وأبو يعلى والبخاري والحاكم وصححه بن حبان وسنده على شرط الصحيح . وورد عن طريق عصام بن قدامة عن عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنسائه : « أيتكن صاحبة الجمل الأدب (١) » تخرج حتى تنبحها كلاب الحواب يقتل عن يمينها وعن شمالها قتلى كثيرة وتنجو بعد ما كادت ، ، وأخرج أحمد والبخاري بسند حسن من حديث أبي رافع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب : « انه سيكون بينك وبين عائشة أمر » قال : فأتنا أشقاهم يا رسول الله ؟ قال : لا ، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى ما منها .

من هذه الأحاديث المتعددة الطرق يتضح لمن اشتبه عليهم الأمر ان موقف السيدة عائشة رضي الله عنها في واقعة الجمل كان عن اجتهاد منها لم يقرها عليه كثير من الصحابة وانها تذكرت ما أنبأ به النبي صلى الله عليه وسلم فندمت على خروجها واعترفت بخطئها .

وقد روى الطبراني بسند صحيح عن أبي يزيد المدني قال قال عمار بن ياسر لعائشة لما فرغوا من الجمل : ما أبعد هذا المسير من العهد الذي عهد اليك - يشير إلى قوله تعالى : « وقرن في بيوتكن » فقالت : « أبو اليةظان ؟ قال نعم قالت : والله أنك ما علمت لقوال بالحق ، قال الحمد لله الذي قضى لي على لسانك ، فهي تعترف بخطئها وتقر عمارا على انكاره لصنيعها وتوافقه على أن الخروج لمثل ذلك الشأن لا يجوز للنساء .

ويجدر أن نسوق هنا ما رواه أبو يعلى والبرار عن أنس قال : أتت النساء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن يا رسول الله ذهب الرجال بالفضل بالجهاد في سبيل الله فما لنا عمل ندرك به عمل الجهاد في سبيل الله ؟ فقال : « مهنة احداكن في بيتها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله » ، هذا إلى ما قدمناه من أن خروج السيدة عائشة في هذه الواقعة ليس من الولاية العامة ، فلا يتصل بموضوع اليوم في شيء .

وأبعد من ذلك عن الموضوع ما يستدل به أنصار حق المرأة في الانتخاب من أن الرسول صلى الله عليه وسلم بايع النساء كما بايع الرجال . ومبايعة النساء هذه ، هي التي جاء بها القرآن الكريم في قول الله تعالى في سورة الممتحنة : « يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبایعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم » ، هذه هي المبايعة التي يستدل بها أنصار حق المرأة في الانتخاب وهي عهد من الله ورسوله قد أخذ على النساء ألا يخالفن أحكام الله وأن يتجنبن تلك الموبقات المهلكات التي كان أمرها شائعا فاشيا في العرب قبل الاسلام . فأمي شيء في هذا يصلح مستندا لأنصار هذا الرأي ؟ . انه لم بدع أحد أن المرأة ممنوعة من تلقى دروس العلم والمعرفة أو من حضور مجالس العلم محشمة لسماع تعاليم الدين والوعظ والارشاد ، بل ان الاسلام يحتم عليها أن تتعلم وتثقف وتتادب بآداب الدين الصحيحة كما يحتم ذلك على الرجل ، فهذا حق لها وواجب عليها . حق لها على الأمة أن تمكنها من أن تتعلم كل ما يصلح لها في دينها ودنياها . وواجب عليها أن تبذل جهدها في سبيل هذه المعرفة ، ولا يجب عليها أن تسأل في ذلك عما تجهل وأن تناقش فيما لا تقتنع به مما تسمع ومما هي في حاجة اليه من العلوم والمعارف . ولها في ذلك أسوة ببعض نساء السلف إذ اعترضت احداهن على عمر وقد كان يخطب الناس في المسجد ينهاهم عن المغالاة في المهور فقالت : أيعطينا الله

ويمنعنا عمر ؟ تشير إلى قوله تعالى : (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وأنتم احداهن فإنتازوا فلا تأخذوا منه شيئاً) ، وفي هذا يروى ابن أبي يعلى عن مسروق أن عمر لما راجعته تلك المرأة بعد ما نزل من المنبر قال : كل الناس أفاقه من عمر ثم صعد المنبر فقال : كنت نهيتكم أن تزيدوا على أربعائة ، فمن طابت نفسه فليفعل ، كل هذا لا ترق بالمرأة وهو كما قلنا حق لها وواجب عليها لكنه لا نسبة له بما تطالب به اليوم من الولاية العامة وما تدعيه من حق الاشتراك في الانتخاب .

وفي رأينا أن مبايعة النساء للرسول صلى الله عليه وسلم إن دلت على شيء يصح التمسك به في المسألة الحاضرة فذلك هو التفرقة في الأعمال بين ما ينبغي أن يكون للرجال أول للنساء ، فهي حجة على أنصار دعوى المساواة بين الرجل والمرأة وليست دليلاً لهم ، ذلك أن مبايعة النساء هذه كانت عقب فراغ النبي صلى الله عليه وسلم من مبايعة الرجال عند الصفا يوم فتح مكة . فقد بايع هؤلاء الرجال أولاً ولكن على ماذا ؟ على الاسلام والجهاد . فان هذا هو الأمر الذي يليق بهم وينتظر منهم . كما بايعهم قبل ذلك في الحديبية سنة ست من الهجرة على ألا يفروا من الموت ، وكما بايع نقيب الأنصار في منى قبل الهجرة على السمع والطاعة والنصرة وأن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم .

أما مبايعة النساء فكانت على ما قدمنا مما وردت به الآية الكريمة من صورة الممتحنة . ولله الحكمة البالغة ، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها . إذا لاشيء مما يستدل به دعاة حق المرأة في الانتخاب يصح أن يكون دليلاً لهم . ولا شيء منه يمكن أن يكون من الولاية العامة .

أما الذي هو من الولايات العامة فهو تولى شجرة الدر ملك مصر . لكننا لا نظن أحداً من أهل الجدل في القول يلجأ إلى هذا الأمر فيجعل منه دليلاً شرعياً على ان الاسلام يحجز في الملك ان تتولاه امرأة ، هذا ما رأته اللجنة في حكم احد الامرين وهو الخاص بانتخاب المرأة لتكون عضواً في البرلمان .

أما الأمر الثاني وهو اشتراكها في انتخاب من يكون عضواً فيه ، فاللجنة ترى انه باب تريد المرأة أن تنفذ منه إلى تلك الولاية العامة التي حظرتها عليها الشريعة ذلك ان من يثبت له حق الاشتراك في الانتخاب فانه يثبت له حق ترشيح نفسه لعضوية البرلمان متى توافرت فيه الشروط القانونية لهذه العضوية . وبعبارة أخرى ينشأ للمرأة قانون يبيح لها الاشتراك في التصويت ثم يمنعها - لانوثتها - من ترشيح نفسها

للعضوية وهي التي لا تقنع بأن الأوثنة تمنعها من شيء ولا ترضى إلا بأن تكون مساوية للرجل في كل شيء .

وإذا لا يصح أن يفتح لها باب التصويت عملاً بالمبدأ المقرر في الشريعة والقانون .
 أن وسيلة الشيء تأخذ حكمه . فالشيء الممنوع بسبب ما يلازمه أو ما يترتب عليه من ضرر أو مفسدة تكون الوسيلة إليه ممنوعة لهذا السبب نفسه ، فانه لا يسوغ في عقل ولا شرع أن يمنع شيء لما يترتب عليه أو يلازمه من مضار ويسمح في الوقت نفسه بالوسائل التي يعلم انها تتخذ طريقاً إليه ، وبهذا يتبين أن حكم الشريعة في اشتراك المرأة في انتخاب عضو البرلمان هو كحكمها في اختيارها لتكون عضواً فيه . كلاهما ممنوع . هذا — ويتبين مما قدمنا أن الحكم في المسألة بشقيها على هذا الوجه لم ينظر فيه إلى شيء آخر وراء طبيعة هذين الأمرين ، أما إذا نظرنا إلى ما يلازم عملية الانتخاب المعروفة والترشيح لعضوية البرلمان من مبدأ التفكير فيه إلى نهايته . فانا نجد سلسلة من الاجتماعات والاختلاطات والاسفار للدعاية والمقابلات وما إلى ذلك مما تعرض المرأة فيه لأنواع من الشر والأذى ، ويتعرض لها فيه أرباب القلوب المريضة الذين تراح أهواؤهم وتطمئن أنفسهم لمثل هذا الاختلاط بين الرجال والنساء فهذه واقف لا ينبغي للمرأة أن تزج بنفسها في معتركها غير المأمون . ويجب عليها أن تنادي بنفسها عنها حفظاً لكرامتها وضوئاً لسمعتها . وهذا واقع لا ينبغي اغفاله أو التغافل عنه ويجب تقدير الأمور وتقرير الأحكام على أساسه ، وقد تكفي هذه الإشارة في التنبيه إلى مضار الاختلاط في اجتماعات الرجال بالنساء ، وآيات من الكتاب العزيز ترسم لنا الطرق الصالحة في التربية الاجتماعية والتهديب الخلق والأدب الديني الصحيح ، فعليها أن تعتبر بها ونقيس بهما ما هو واقع في اجتماعاتنا لنعرف مدى قربنا أو بعدنا من هذه التعاليم : « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً » ، « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون » . وقل للمؤمنات يغضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو إبنائهن أو إبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الأربطة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم

مايخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ،
بامضاء : محمد عبد الفتاح العناني رئيس لجنة الفتوى بالأزهر .

وقد كتب الدكتور أحمد زكي بك والأستاذ إسماعيل مظهر يؤيدان قضية المرأة ،
ورد عليهما علماء الوعظ بالأزهر بآيات واحاديث شريفة ، مغزاها خلاف
ماذهب اليه الدكتور زكي والأستاذ مظهر .

وقد نشر الشيخ علام نصار المقتى آراء له حول : تعدد الزوجات ، والطلاق
وسواها . . . وقد قامت معركة حول هذه الآراء ، واشتركت في مناقشتها والرد عليها
« جبهة علماء الأزهر » في كتاب نشرته .

فكرة توحيد التعليم :

هذه الفكرة أيدها الدكتور طه حسين في كتابه « مستقبل الثقافة » ، فرأى أن
يكون التعليم موحداً في الدولة وأن تكون المعاهد الثانوية مدارس ثانوية خاضعة
لوزارة المعارف ، وتستقل كليات الأزهر بالدراسات الدينية .

وقد كتب الدكتور محمد يوسف موسى في ٦ أغسطس ١٩٥٠ كلمة في الاهرام
يؤيد فيها هذا الرأي ، ورد عليه الأستاذ الشيخ الطيب النجار عضو جماعة كبار العلماء
وغيره من أساتذة الأزهر .

لمناسبة الاحتفال بسفر المحمل والكسوة الشريفة عام ١٩٥٢ وما يلزم هذا
الاحتفال عادة من التقاليد والطقوس بعث على ماهر رئيس الوزراء سابقا إلى فضيلة مفتي
الديار المصرية بكتاب يستفتيه في حكم الشريعة في هذه التقاليد والطقوس وقد جاء فيه :
جرت العادة في حفلة المحمل السنوية على نظم وتقاليد وطقوس نرجو التفضل ببيان
الحكم الشرعي فيها قبل الموعد المحدد للحفلة في هذا العام ، مع الاحاطة بأننا نعتبر هذه
لا تعدو أن تكون إيذانا بافتتاح موسم الحج ، وإذا رأيتم فضيلتكم الاتصال بصاحب
الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وصاحب الفضيلة رئيس المحكمة الشرعية
ليكون الرأي إجماعيا نكون لكم من الشاكرين .

وقد قدم حضرة صاحب الفضيلة مفتي الديار المصرية فتواه في الرد على

رئيس الوزراء مؤيدة برأى فضيلة شيخ الجامع الأزهر وفضيلة رئيس المحكمة العليا الشرعية إلى الرئيس على ماهر ، وجاء فيها مايلي بعد الديباجة : تشرفت اليوم بتلقى كتابكم المؤرخ في ١٨ / ٨ / ١٩٥٢ الذي تطلبون فيه الرأي الشرعي في النظم والتقاليد والطقوس التي تجرى في الحفلة السنوية للمحمل ، ونفيد أننا منذ مدة قد بينا الحكم في ذلك ببياننا واضحا واستنكرنا بعض هذه التقاليد استنكارا صريحا لمخالفتها لتعاليم الإسلام ، وقد جرت العادة على إقامة هذه الحفلة كل عام عند سفر المحمل وعند عودته بما في ذلك هذه التقاليد التي ينكرها الشرع والتي هي بدع سيئة لا أصل لها في الدين ويجب إلزاتها والقضاء عليها ، من ذلك :

١ - الطواف بالمحمل سبع مرات حول الدائرة التي ترسم له أمام السرادق المهد للاجتماع الرسمي رمزا إلى الطواف حول الكعبة سبعة أشواط مع أن الطواف لم يشرع إلا حول الكعبة في مناسك الحج والعمرة ، ولا يجوز الرمز إلى ذلك بأي حال .

٢ - دوران عدة من الجمال حول هذه الدائرة وعليها رجال يطبلون ويزمرون بملابس خاصة وصورة مزرية .

٣ - تقبيل أمير الحج والعظماء المدعوين إلى الحفلة مقودا بالجل الذي يحمل الهودج المرموز به إلى هودج شجرة الدر حين حجت في عهد دولة المماليك وليس لهذا أصل في الدين فضلا عن أنه مما تائباه النفوس الكريمة . فالتقبيل لم يؤذن به شرعا في المناسك أو غيرها إلا في الحجر الأسود وفيه قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « والله إنى لا أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك لما قبلتك » .

٤ - وقوف جماعة من مشايخ الطرق وأتباعهم أمام السرادق يقرأون الفاتحة ويبتتلون بأصوات صاخبة مزعجة وما كانت تلاوة القرآن لذلك وعلى هذا الوجه .

وقد تأصلت هذه الأعمال في النفوس حتى ظن عامة الناس أنها من الدين أو على الأقل من البدع الحسنة ، والدين يابها ويرشد إلى أنها من السوء بمكان وفي إقراره تضليل للعامة باعتقادهم أنها من الدين وهي ليست من الدين في شيء . وبما أن الواجب شرعا رد المسلمين إلى الحق والهدى وإرشاد العامة إلى ترك المعتقدات الباطلة والبدع السيئة وقد صحح من المأثور أن من أمت بدعة فقد أحيأ سنة .

لهذا كله نرجو أن يفتح هذا العهد الاصلاحى بتطهير العقائد والأعمال من شوائب المنكرات ، والله يوفقكم ويصلح بكم ويسدد خطاكم .

الباب التاسع

ألوان ثقافية في حياة الأزهر العلمية

- ١ -

كان الأزهر لايعنى كثيراً بالعلوم العقلية في عهد الانحطاط العثماني ، ومن شواهد ذلك أن أحمد كور باشا الذي تولى ولاية مصر عام ١١٦١ هـ في عهد مشيخة الشيخ عبد الله الشبراوي ، ناقش شيخ الأزهر الشيخ الشبراوي ، في اهمال الأزهر ومصر للعلوم الرياضية (١) .

ومع ذلك فقد كان هناك قلة من العلماء تعنى بهذه العلوم وتدرسها ، ومن هؤلاء الشيخ حسن الجبرتي الذي كان ذا شهرة عظيمة في العلوم الرياضية ، وقد ذكر ابنه المؤرخ في حديثه عنه في تاريخه أنه في سنة ١١٥٩ هـ - ١٨٠٥ م أتى إليه طلاب من الفرنجة ، وتلقوا عليه علم الهندسة ، وأهدوا إليه من مصنوعاتهم وآلاتهم أشياء نفيسة ، ثم رجعوا إلى بلادهم ونشروا بها ذلك العلم من ذلك الوقت ، وأخرجوه من القوة إلى الفعل ، واستخرجوا به صناعات بدیعة ، مثل طواحين الهواء ، وجر الانتقال ، واستنباط المياه ، وما إلى هذا من الصناعات ، فأى شيء بعد هذا يحتاج إليه في إثبات فضل الأزهر على العلم ؟ وأية يد أئيمة بعد هذا تحاول أن تناله بسوء ، وأن تقابل فضله بالجحود ؟ وقد تلقى الشيخ حسن الجبرتي هذه العلوم الرياضية في الأزهر ، وكذلك غيرها من العلوم الدينية والعربية ، وهو في الاصل من أهل الحبشة الذين رحلوا إلى الأزهر لطلب العلم ، ولهم رواق فيه يسمى رواق الجبرتية ، وقد تلقى العلوم الدينية والعربية على السيد محمد البنوفري والشيخ عمر الاسقاطي والشيخ أحمد الجوهرى وغيرهم ، وبدأ تلقى العلوم الرياضية على الشيخ محمد النجاشي ، ثم قدم الشيخ حسام الدين الهندى إلى الأزهر ، وكان بارعاً في العلوم الرياضية والفلسفية ، فتلحقها عليه بعض طلاب الأزهر ، مثل الشيخ الوسيمى ، والشيخ أحمد الدمنهورى ، فذهب إليه الشيخ حسن الجبرتي ولازمه ، وتلقى عليه كتباً نفيسة في هذه العلوم ، مثل أشكال التأسيس في الهندسة ، وتحرير أقليدس ، والمتوسطات

(١) ١٩٢ و ٩٣ ج ١ الجبرتي .

والمبادئ والغايات ، والاكثر ، وعلم الارتماطيقى ، والجغرافيا ، وعلم المساحة ، ولم يزل يطلب هذه العلوم حتى برع فيها ، وطارت شهرته بها ، وكان يعرف اللغة التركية والفارسية ، ويتكلم بهما كما هلهما ، ثم اشتغل بالتدريس في الازهر ، وتلقى عليه فيه الشيخ أحمد الشيخ عبد الرحمان البنان والشيخ محمد الصبان والشيخ محمد عرفة الدسوقي والشيخ محمد الأمير ، وغيرهم من أفاضل علماء الازهر . وكان يفتنى كثيرا من الكتب النفيسة في العربية والفارسية والتركية ، وبما كان يقننيه من الكتب الفارسية كتاب الكستان ، وديوان حافظ ، وشاه نامه ، وكان بها من الصور العجيبة ما يكسبها رونقا وبهاء ، وكان عنده كثير من الآلات الفلكية ، والكرات النحاسية ، والآلات الارتفاعية ، والميالات ، وحلق الارصاد ، والاسطرلابات ، والعدد الهندسية ، وآلات أكثر الصناعات كالنجارة وغيرها ، وآلات الرسم والتقسيم ، وكان كل ماهر في صناعته يجتمع به ليستفيد منه ، وكان مع هذا يعرف صناعة التراكيب والتقاطير واستخراج المياه ، وقد رسم في أيام اشتغاله مالا يحصى من المنحرفات والمزاويل ، وفي سنة ١١٧٢ هـ - ١٧٥٨ م ، وقع الخلل في الموازين فتحركت همته لتصحيحها ، وأحضر الحدادين والسباكين ، وحرر المائيل والصنج الكبار والصغار ، ورسمها بطريق الاستخراج على أصل العلم العملي والوضع الهندسي ، ولم ينقص هذا من إلمامه بالعلوم الدينية ، بل كان حجة في الفقه وغيره من هذه العلوم ، حتى إن القضاة لم يسكنوا يشقون إلا بفتواه ، وكانت وفاة هذا العالم الازهرى سنة ١١٨٨ هـ - ١٧٧٤ م .

وقد نعى الشيخ حسن العطار على الازهر لإهماله هذه العلوم وسواها وذلك في حاشيته على شرح جمع الجوامع في أصول الفقه (١) وكان من تلامذة العطار رفاعة رافع الطمطاوى الازهرى ، الذى سافر مع بعثات محمد على إلى باريس ، وله كتاب المناخص الابرين في تلخيص باريز ، وكتاب مناهج الالباب المصرية في مباحج الآداب المصرية ، الذى يقول فيه عن محمد على وعهده (٢) : إنه جدد دروس العلوم بعد اندراسها ، وأوجدت بعد العدم رؤساء العلماء والفضلاء نتيجة قياسها ، لقصد انتشار العلم والزيادة فى الفضائل ، فاقى من ذلك بما لم تستطعه الأوائل ، غير أنه — حفظه

(١) ٤٦١ / ٢

(٢) ٢٨ تاريخ الاصلاح فى الازهر للصعيدى ، ٢٤٧ - ٢٥٠ مناهج الالباب المصرية لرفاعة .

الله وأبقاه - ولو أنه أعلى منار الوطن ورقاه . لم يستطع إلى الآن أن يعمم أنوار هذه المعارف المتنوعة بالجامع الأزهر الأنور ، ولم يجذب طلابه إلى تكميل عقولهم بالعلوم الحكيمة التي كبر نفعها في الوطن ليس يشكر ، نعم إن لهم اليد البيضاء في إتقان الأحكام الشرعية العملية والاعتقادية ، وما يجب من العلوم الالوية كعلوم العربية الاثني عشر ، وكالمناطق والوضع وآداب البحث والمقولات وعلم الأصول المعبر ، غير أن هذا وحده لا يفي للوطن بقضاء الوطر ، والسكامل يقبل السكالم كما هو متعارف عند أهل النظر ، ومدار سلوك جادة الرشاد والاصابة ، منوط بعدول الامر ، بهذه العصاة ، التي ينبغي أن تضيف إلى ما يجب عليها من نشر السنة الشريفة ، ورفع أعلام الشريعة المنيفة ، معرفة سائر المعارف البشرية المدنية ، التي لها مدخل في تقديم الوطنية ، من كل ما محمد على تعلمه وتعليمه علماء الأمة المحمدية ، فانه بانضمامه إلى علوم الشريعة والأحكام ، يكون من الأعمال الباقية على الدوام ، ويقتدى بهم في اتباعه الخاص والعام ، حتى إذا دخلوا في أمور الدولة ، يحسن كل منهم في إبداء المحاسن المدنية قوله ، فان سلوك طريق العلم النافع من حيث هو مستقيم ، ومنهجه الابهج هو القويم ، يكون بالنسبة للعلماء سلوكه أقوم ، وتلقيه من أفواههم أنتم وأنظم ، لاسيما وان هذه العلوم الحكيمة العملية التي يظهر الآن أنها أجنبية هي علوم إسلامية نقلها الاجانب إلى لغاتهم من الكتب العربية ، ولم تزل كتبها إلى الآن في خزائن ملوك الاسلام كالذخيرة ، بل لازال يتشبه بقراءتها ودراستها من أهل أوربا حكماء الازمنة الاخيرة ، فان من اطلع على سند شيخ الجامع الأزهر الشيخ أحمد الدمشوري (١١٠١-١١٩٢ هـ) - الذي كانت مشيخته قبل شيخ الإسلام الشيخ أحمد العروسي الكبير (١١٣٢-١٢٠٨ هـ) جد شيخ شيوخ الجامع الأزهر ، السيد المصطفوي العلم الشهير (١) رأى أنه قد أحاط من دوائر هذه العلوم بكثير ، وأنه له فيها المؤلفات الجمة ، وأن تلقى إليها إلى أيامه كان عند الجامع الأزهر من الأمور المهمة ، فإنه يقول فيه بعد سرد ما تلقاه من العلوم الشرعية وآلاتها معقولا ومنقولا :

أخذت عن أستاذنا الشيخ المعمر الشيخ علي الزعترى . خاتمة العارفين بعلم الحساب واستخراج المجهولات وبما توقف عليها . كالفرائض والميقات ، وسيلة ابن الهائم ومعوته - كلاهما في الحساب - والمقنن لابن الهائم ، ومنظومة الياسميني في الجبر والمقابلة ، ودقائق الحقائق في حساب الدرج والدقائق لسبط المارديني في علم حساب

(١) يعني بذلك الشيخ مصطفى العروسي (١٢١٣-١٢٩٣ هـ) .

الأزياج ، ورسالتين إحداهما على ربع المقنطرات وأخرهما على ربع المجيب - كلاهما للشيخ عبد الله المارديني جد السبط - ونتيجة الشيخ اللاذقي المحسوبة لعرض مصر ، والمنخرقات لسبط المارديني في علم وضع المزاويل ، وبعض اللبحة في التقويم . وأخذت عن سيدى أحمد القراني الحكيم بدار الشفاء بالقراءة عليه كتاب الموجز واللبحة العفيفية في أسباب الأمراض وعلاماتها بشرح الأمشاطى ، وبعضاً من قانون ابن سينا ، وبعضاً من كامل الصناعة ، وبعضاً من منظومة ابن سينا الكبرى - والجميع في الطب - وقرأت على أستاذنا الشيخ عبد الفتاح الدمياطى كتاب لقط الجواهر في الحدود والدوائر لسبط المارديني في الهيئة السماوية ، ورسالة ابن الشاطر في علم الاضطراب ، ورسالة قسطابن لوقا في العمل بالكرة وكيفية أخذ الوقت منها ، والدر لابن المجدى في علم الزيج . وقرأت على أستاذنا الشيخ سلامة الفيومى أشكال التأسيس في الهندسة ، وبعضاً من الجفميين في علم الهيئة ، وبعضاً من رفع الإشكال عن مساحة الأشكال في علم المساحة . وقرأت على الشيخ عبد الجواد المرحومى جملة كتب ، منها رسالة في علم الأرتماطيقى للشيخ سلطان المزاخى . وقرأت على الشيخ الشهير بالسحيمى منظومة الحكيم درمقاش المشتملة على علم التكسير وعلم الأوافق وعلم الاستنطاقات وعلم التكميب ، ورسالة أخرى في رسم ربع المقنطرات والمنخرقات لسبط المارديني ، وعلم المزاويل ومنظومة في علم الأعمال الرصدية وروضة العلوم وبهجة المنطوق والمفهوم لمحمد بن صاعد الأنصارى ، وهى كتاب يشتمل على سبعة وسبعين علماً ، أولها علم الحرف وآخرها علم الطلاسم ، ورسالة للإسرائيلى ، ورسالة للسيد الطحان - كلاهما في علم الطالع - ورسالة للخازن في علم الموالييد - أعنى الممالك الطبيعية وهى الحيوانات والنباتات والمعادن - وأخذت عن شيخنا الشيخ حسام الدين الهندى شرح الهداية في علم الحكمة ، و متن الجفميين في علم الهيئة - بمراجعة قاضى زاده ومطالعة السيد عليه - وأخذت عن سيدى أحمد الشرفى شيخ المغاربة بالجامع الأزهر كتاب اللبحة في تقويم الكواكب السبعة . ولما ذكر ما تلقاه من هذه العلوم أعقبه بما طالعه بنفسه بدون الأخذ عن شيخ فقال : طالعت كتاب إحياء الفؤاد بمعرفة خواص الأعداد في علم الأرتماطيقى ، فى نحو كراسين ، وكتاب عين الحياة فى علم استنباط المياه ، ورسالة الكلام اليسير فى علاج البواسير ، فى نحو كراسين ، ورسالة التصريح بخلاصة القول الصريح فى علم التشريع ، فى نحو كراسين ، وكتاب إتحاف البرية بمعرفة الأمور الضرورية فى علم الطب ، فى نحو خمسة كراسين ، ورسالة القول الأقرب فى علاج

لسع العقرب ، في نحو كراس ، وكتاب منهج السلوك في نصيحة الملوك ، في نحو عشرة كرايس ، وكتاب بلوغ الأرب في أسماء سلاطين العجم والعرب - معنونا باسم السلطان مصطفى خان ابن السلطان أحمد خان ، المولود في رابع عشر شهر صفر سنة تسع وعشرين ومائة وألف يوم الأربعاء أول النهار في الساعة الأولى بعد الشمس ، الجالس على سرير الملك في سابع عشر صفر الخير سنة إحدى وسبعين ومائة وألف يوم الأحد قبل الشمس . ويقول رفاة : فانظر إلى هذا الإمام الذي كان شيخ مشايخ الجامع الأزهر ، وكان له في العلوم الطبية والرياضية وعلم الهيئة الحظ الأوفر ، بما تلقاه عن أسياده الأعلام ، فضلاعن كون أسياده كانوا أزهرية ، ولم يفهم الوقوف على حقائق هذه العلوم النافعة في الوطنية ، وفضل العلامة الجبرتي المتوفى في أثناء هذا القرن في هذه العلوم ، وفي فن التاريخ أمر معلوم ، وكذلك العلامة الشيخ عثمان الورداني الفيلسفي ، وكان للرحوم العلامة الشيخ حسن العطار شيخ الأزهر أيضا مشاركة في كثير من هذه العلوم ، حتى في العلوم الجغرافية ، فتد وجدت بخطه هو امش جليمة على تقويم البلدان لإسماعيل أبي الفداء سلطان حماة ، المشهور أيضا بالملك المؤيد ، وللشيخ المذكور هو امش أيضا وجدتها بأكثر التواريخ ، وعلى طبقات الأطباء وغيرها ، كان يطلع دائما على الكتب المعربة من تواريخ وغيرها ، وكان له ولوع شديد بسائر المعارف البشرية ، مع غاية الديانة والصيانة ، وله بعض تأليف في الطب وغيره ، زيادة عن تأليفه المشهورة ، فلو تشبث من الآن فصاعدا نجباء أهل العلم الأزهريين بالعلوم العصرية التي جردها الخديو بمصر ، بإنفاقه عليها أوفر أموال مملكته ، لفازوا بدرجة الكمال ، وانتظموا في سلك الأقدمين من فحول الرجال ، وربما يتعللون بالاحتياج إلى مساعدة الحكومة ، والحال أن الحكومة إنما تساعد من يلوح عليه علامات الرغبة والغيرة والاجتهاد ، فعمل كل من الطرفين متوقف على عمل الآخر ، فترجع المسألة دورية ، والجواب عنها أن الحكومة قد ساعدت بتسهيل الوسائط والوسائل ، ليغتنم فرصة ذلك كل طالب وسائل ، وكل من سار على الدرب وصل ، وإنما المكافأة على تمام العمل .

وقد ازدهر القرن التاسع عشر بكوكبة من المصلحين ، من أمثال الأفغاني (١٨٣٩ - ١٨٩٧ م) وعلى مبارك (١٨٢٣ - ١٨٩٣ م) والسيد عبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٨ - ١٩٠٢ م) والشيخ محمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥ م) ، وكان

هؤلاء المصلحون يتجهون أول ما يتجهون إلى إيقاظ الفكر المصري والعربي ، وإلى تجديد النهضة الدينية .

ولما حضر جمال الدين الأفغانى إلى مصر لأول مرة سنة ١٢٨٦ هـ أقام في القاهرة أربعين يوماً ، تردد فيها على الجامع الأزهر ، واتصل به كثير من العظماء والطلاب ، ثم ترك القاهرة إلى الاستانة ، فوصل اليها في سنة ١٢٨٧ هـ ، ولكن الدسائس أحاطت من كل جانب ، ومن أجل ذلك عاد جمال الدين إلى القاهرة في أوائل سنة ١٢٨٨ هـ ، فأكرمه إسماعيل ، وأجرى عليه راتباً يليق به ، فجعل من بيته مدرسة يقصدها النابهون من طلاب العلم في الأزهر وغيره ، وكان يدرس لهم أمهات الكتب في علم الكلام والحكمة والهيئة والتصوف وأصول الفقه ، ولم يكن يقصد من دروسه التعليم فقط ، بل كان يقصد منها الدعوى إلى الإصلاح ، وفتح باب الاجتهاد في الدين والعلم وبث الاخلاق العالية في النفوس ، وكان إلى هذا يرشد الطلاب إلى مطالعة كتب الأدب ، ليتعلموا منها حسن الكتابة والانشاء ، ويستطيعوا أن ينهضوا بالامة بالكتابة في الجرائد وغيرها ، فأيقظ النفوس من غفلاتها ، وفتح عيون الطلاب في الأزهر لضعف التعليم فيه ، حتى ألفوا من بينهم جماعة تسعى في إصلاحه ، وكان أول ما عملوه كتابة منشور علقوه على أعمدة الأزهر في سواد الليل ، وبينوا فيه مواضع الخلل في التعليم بالأزهر ، وشرحوا الوسائل التي تؤدي إلى إصلاحه ، فبدأ جمال الدين بدروسه في الإصلاح الجهاد في إصلاح الأزهر ، وأوجد من أبنائه وغيرهم من يعمل فيه بكل ما يمكنه من الوسائل التي توصل اليه .

وكان نشاطه التعليمي ذا شعبتين : دروس عليية منظمة يلقها في بيته (في خان الخليلي) ، وكان يتلقاها أمثال الشيخ محمد عبده ، والشيخ عبدالكريم سلمان ، والشيخ سعد زغلول ، والشيخ إبراهيم الهلباوى من مجاوري الأزهر وعلمائه ، وكان يدرس لهم كتب منطق وفلسفة وتصوف وهيئة ، ويظهر أن هذه الكتب لم تكن لها قيمة في ذاتها ، وإنما قيمتها كانت فيما يضيفه عليها الشيخ في شرح آرائه وأفكاره ، والتبسط في مناحي الفكر ، والتطبيق على الحياة الواقعية ، بربط الحياة العملية بالعلية ، هذا إلى أنه كان يأخذ بيد تلاميذه ، فيجعلهم يسيطرون على الكتاب ، ويسمون عن قيود الألفاظ والجمال إلى معرفة الحقائق ذاتها ، يحدد لهم موضوع الدرس من الكتاب ، ويفيض عليهم في شرحه من عنده حتى يحيطوا به ، ويتفهموه من جميع أطرافه .

وكانت مدرسته الثانية غير النظامية أكبر أثرا وأعم نفعا ، وكان تلاميذه فيها زواره في بيته أو في بيوتهم حين يزورهم ، ومن يلتقي بهم في (قهوة البوستة) وفي المجتمعات من أمثال : محمود سامي البارودي ، وعبد السلام المويلحي وأخيه إبراهيم المويلحي وسعد زغلول ، ومحمد عبده وعلى مظهر ، وأديب إسحق وغيرهم . وفي هذه المدرسة حول مجرى الأدب ونقله من حال إلى حال ، كان الأدب عند الحكام لاهم له إلا مدح الملوك والأمراء ، والتغني بأفعالهم وصفاتهم ، فأقبح جمال الدين وسخر الأدب في خدمة الشعب ، يطالب بحقوقه ، ويدافع عنه من ظلمه ، يمين للناس سوء حالهم ، ويبصرهم بمن كان سبب فقرهم ، ويحرضهم أن يخرجوا من بؤسهم وضلالهم ولا يخشوا بائس الحاكم فليست قوته إلا بهم ، فكان أدبه ينظر للشعب أكثر مما ينظر إلى الحاكم ، وينشد الحرية ويفيض في حقوق الناس وواجبات الحاكم ، ويجعل من الأديب مشرفا على الأمراء ، لا سائلا يمد يده للأغنياء ، كنت تتصفح آثار الأدياء أمثال : السيد علي أبي النصر ، والشيخ علي الليثي وعبد الله باشا فسكري ، فلا ترى موضوعاتهم غير غزل في حبيب ، أو رسالة إلى صديق ، أو مدح لأمير ، أو استعطاف له ، أو اعتذار إليه ، أو وصف سفينة ، أو شكر على هدية . أما مصر وحال شعبها ، وبؤس أهلها ، وظلم حكامها ، وحقوق الناس ، وواجبات الحكام ، فلا ترى لذلك أثرا . فقلب جمال الدين هذا الوضع وفتح للأدياء منافذ القول ، وكانت خطته في ذلك ما يأتي :

١ — كون جماعة حبيب إليهم الكتابة ، ورسم لها خطتها وأوحى إليهم بالمعاني وشجعهم على إنشاء الجرائد ، يكتب فيها ، ويستكتب القادر منهم ، فأنشأ أديب إسحق جريدة مصر ، في القاهرة ، ود التجارة ، بالاسكندرية ، وكان جمال يكتب فيها أحيانا باسم مستعار أو باسمه الحقيقي وقد كتب مقالين : أحدهما في الحكومات الشرقية وأنواعها ، والثاني سماه « روح البيان في الانجليز والافغان » كان لها صدى بعيد ، ولقيت الصحيفتان رواجا كبيرا ، ثم أغلقهما رياض باشا . وكذلك وجه الكتاب في « الوقائع المصرية » وغيرها ، وبذلك ربي طائفة من الكتاب تحسن الكتابة ، واختيار الموضوعات ، ووضع النواة الأولى للصحافة الشرقية والكتاب الذين يعالجون شئون وطنهم وحالة شعوبهم ، والذي ساعده على النجاح في ذلك حال مصر المالية والسياسية وتدخل الاجنبي فيهما وجزع الشعب والحاكم معا لذلك

فشجعوا هذا النقد من الصحافة ، ولولا ذلك لخابت دعوة جمال الدين في مصر كما خابت في غيرها .

٢ — أحاديثه في المقهى وفي المحافل وبيوت الزيارة ، تواتيه المعاني ، ويطاوعه اللسان ، فيخلق أمتع الأحاديث ، ويحدث كل من يجلسه بلسان عربي مبين ، فيدهش السامعين ، ويفحم السائلين ، ويبكم المعترضين ، وبذلك خرج مدرسة عجيبة تحسن السمر والحديث والاستطراد ، وتملك على السامع لبه من أمثال محمد عبده ، وسعد رغلول ، والهللأوى ، ولطفي السيد ، وغيرهم .

وهكذا بدأ جمال الدين تعليمه في حجرة ثم في مقهى أو مجتمع ، ثم في محفل يريد توسيع العقول ، وتعليم الحرية في البحث والنقد ، وتبصير الشعب بحقوقه وواجبات الحاكم نحوه ، ويضع يده في صميم السياسة فيريد أن يسيطر على الوزارات والحكومة بمحفله ، ورأى أول أمره أن لا قيمة لمجلس النواب مادام الشعب غافلا جاهلا ، فلما فضجت الأمة واستبدت الحكام ، غير رأيه وألح في طلب الحكم النيابي وحرص عليه . وكان يلتقي بالأمير توفيق في المحفل فيقدره ويدين بمبادئه ، ولكنه لما تولى الحكم بعد إسماعيل دس له الدساسون ، فاجتمع مجلس الوزراء وقرر نفي جمال الدين فقبض عليه في ٢٤ أغسطس سنة ١٨٧١ ، ونفى إلى بمباي في الهند ، وكان ذلك آخر عهده بمصر .

وسافر الأفغانى إلى لندن عام ١٨٨٣ ومنها إلى فرنسا ، ووافاه إليها تلميذه وصديقه الشيخ محمد عبده وكان منفيا في بيروت . وأخذوا يتشاوران فيما يعملان من وجوه الإصلاح ، وكان من رأى الشيخ محمد عبده بعدما رأى من غدر الناس في ثورة عراقى أن يذهب إلى مكان بعيد ، ينشئان فيه مدرسة للزعماء يختاران لها أنجب التلاميذ من الأقطار الإسلامية ، ويعدها لهم للزعامه ونشر الإصلاح . ولكن لم يعجب السيد هذا الرأى ، ورأى فيه خورا وضعفا ويائسا ، ووضع خطته بإنشاء جريدة في باريس للعالم الاسلامى تبصره بحقوقه وواجباته ووطنيته ، وكانت جريدة « العروة الوثقى » للسيد فيها الأفكار والمعاني ، وللشيخ التحرير والصياغة ، وميرزا محمد باقر يعرب لها عن الصحف الأجنبية ما يهم الشرق ، وكان وراءها جمعية سرية في جميع أقطار الاسلام . ولها فروع في بلدانه يجتمعون للمذاكرة ، ويتبرعون بالمال ينفق منه على الجريدة والقائمين بها ، فقد كانت ترسل بالمجان أكثر أعدادها ، وكان الأعضاء يقسمون اليمن لآحياء الاخوة الاسلامية ، وتقوية الاسلام بقدر ما يستطيعون . وكان أهم أغراض الجريدة كما لخصت هى ذلك في أول عدد لها :

- ١ - بيان الواجب على الشرقيين ، وأسباب فساد حالهم .
- ٢ - إشراب النفوس عقيدة الأمل وترك اليأس .
- ٣ - الدعوة إلى التمسك بالأصول التي كان عليها أسلافهم وعزوا بها .
- ٤ - الدفاع عما يهتم به الشرقيون عموما والمسلمون خصوصا من أنهم لن يتقدموا ما داموا متمسكين بدينهم .
- ٥ - إخبارهم بما يهمهم من حوادث السياسة العامة والخاصة .
- ٦ - تقوية الصلات بين الأمم الإسلامية ، ومناصرة من لا يحجف بحقوقهم من أمم الخارج .

وأخذ يكتب في ذلك في الجريدة ويفصل هذه الأسباب في مقالات ، وكان مثله الأعلى حكومة إسلامية موحدة للجميع ، ولما رأى عدم إمكان ذلك دعا إلى أن تحكم الاقطار الإسلامية بحكومات إمامها القرآن ، وأساسها العدل والشورى وترتبط جميعا بروابط محكمة .

وقد قاده هذا التفكير في الحكومة الإسلامية وأخلاق الشعب التي يجب أن يكون عليها إلى أن يناهض في الجريدة الاحتلال الاجنبي في الاقطار الإسلامية وخاصة في مصر ، وشغل هذا حيزا كبيرا منها بأسلوب مهيب وعبارات شديدة ، كما استخدم بجانبها رسلا متخفين إلى الاقطار المختلفة ينشرون التعاليم التي لا يستطيع نشرها في الجريدة ، وكان منهم الشيخ محمد عبده - وهو محكوم عليه بالنفي - فجاء إلى مصر وتونس وكان من نتائج هذا أن روقت الجريدة من أصحاب السيادة على حكومات الهند ومصر ، فمنعت من دخولها ، واستحال وصولها إلى أصحابها وقرائها فاحتجبت عن أداء رسالتها .

وقد كان يدعو إلى الاجتهاد وترك التقليد في الدين ، فان الائمة اجتهدوا وأحسنوا ولكن لا يصح أن نعتقد أنهم أحاطوا بكل أسرار القرآن ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء . ويرى أن التفرقة بين أهل السنة والشيعة سببها مطامع الملوك ، فالفريقان يؤمنان بالقرآن ورسالة محمد ، فقيم الخلاف والقتال ؟ . ويرى أن الاشتراكية في الإسلام ملتزمة مع الدين ، ملتزمة مع الخلق ، يبعث عليها حب الخير ، على النقيض من اشتراكية الغرب التي يبعث عليها جور الحكام وعوامل الحسد في العمال لأرباب الغنى . كما يرى أن المرأة تساوى الرجل في تكوينها العقلي والتفاوت بينهما أتى من التربية وإطلاق السراح للرجل ، وتقييد المرأة في البيت .

ومهمتها في هذا أسمى ، ولا تقل عن مهمة الرجل ، ومن يطلب مساواتها فهو مخطئ ، ولا مانع من أن تعمل في الخارج إذا فقدت عائلها ، واضطرت لها ظروفها ولكن بظاهرة . كما أنه لا مانع عنده من رفع الحجاب إذا لم يتخذ وسيلة للفجور . ويرى كذلك أن الدين لا يخالف الحقائق العلمية ، وإذا ظهر غير ذلك وجب تأويله ، فالقرآن أعظم من أن يخالف العلم الحقيقي خصوصا في الكليات .

وقد أجمع معاصروه ومن درسوا تاريخ حياته على أن له غرضين واضحين :

١ - بث الروح في الشرق لينهض بثقافته وعلمه وتربيته ، وتنقيه عقيدته من الخرافات واستعادة عزه ومكانته .

٢ - مناهضة الاحتلال الأجنبي حتى تعود الاقطار الشرقية إلى استقلالها مرتبطة بروابط على أي شكل ، لتلق ما يحيط بها من أخطار .

ولما مات حمل المصلحون بعده لواء هذين الغرضين متفرقين وقد كان يحمل لواءهما معا ، فحمل الشيخ محمد عبده لواء الإصلاح الثقافي ، فإن الواجب الأول على المصلح في رأيه تنقيف الشعب وتهذيبه ، ثم الاستقلال يكون الخاتمة . وقد رفع العلم الآخر وهو العلم السياسي لمناهضة الحكم الأجنبي عبد الله نديم ، ثم مصطفى كامل وفريد ، ثم سعد زغلول . وكذلك كان في غير مصر من أقطار الشرق من حملوا لواء الإصلاحين وساروا على هداياه ولكن في بطنه لا يعجبه فقد كان طموحا إلى مقصده ، شجاعا مقداما لا يهاب الموت ، حديد المزاج ، لا يريد الحق إلا من طريق الحق ، يريد غايته ويريد وسيلة ، ولكن سياسة الدنيا غير ذلك تقوم على المصالحات ، وأخذ شيء بترك شيء ، ومن أراد الحق كاملا فليطلب ذلك في المثل الأعلى للخلق لافي السياسة أو فليتنظر حتى تخضع السيادة للخلق ولن يكون .

ويقول - في إهمال العلوم الرياضية والفلسفية في الأزهر - الاستاذ مصطفى بيرم من رسالة له عن الأزهر قدمها لمؤتمر علماء اللغات الشرقية المنعقد بمدينة هامبورج بالمانيا عام ١٩٠٢ : إن تلك العلوم الرياضية والجغرافية والعقلية والفلسفية مهجورة من الأزهر ينظر إليها بعين السخط ، ويفر من سماعها فرار الصحيح من الجرب ، ولكن بفضل الله وكرمه لم يطل الأمر على ذلك كثيرا ، حتى قبض الله لنا علماءنا الاعلام من تنبه لأسباب تاخرنا العلمي ، وأخذوا في السعي لإعادة تدريس تلك العلوم النافعة المقوية للسلوك الذهنية ، ولخشية المفاجأة بإعادة تدريسها للجامع بعد ما رسخ في أذهان الكثير من أن بها ما يهدو على الدين ، رأى ولاية الأمور أن يمدوا السبيل لدخالها في

الجامع الأزهر بأخذ آراء أفاضل العلماء الأزهريين ، فكلفوا والدى المرحوم السيد محمد
بيرم بهاته المهمة العلمية ، وبعد أخذ وعطاء بينه وبين المرحومين : العلامة الشيخ
محمد الأنباي شيخ الاسلام بمصر وشيخ الجامع الأزهر ، والشيخ محمد البنا مفتي
الديار المصرية في ذلك العهد ، استقر الرأي أن يكتب لهما استفتاء صورته ، بعد
الديباجة : « ما قولكم رضى الله عنكم ؟ هل يجوز تعلم المسلمين للعلوم الرياضية ؟ مثل
الهندسة والحساب والهيئة والطبيعات وتركيب الأجزاء المعبر عنها بالكيمياء ،
وغيرها من سائر المعارف ، لاسيما ما ينبت عليه منها من زيادة القوة في الأمة ، بما تجارى
به الأمم المعاصرين لها في كل ما يشملها الأمر بالاستعداد بل هل يجب بعض
تلك العلوم على طائفة من الأمة بمعنى أن يكون واجبا وجوبا كفاثيا على نحو
التفصيل الذى ذكره فيها الامام حجة الاسلام الغزالي في إحياء العلوم ، ونقله علماء
الحنفية أيضا وأقروه ، وإذا كان الحكم فيها كذلك ، فهل يجوز قراءتها مثل ما يجوز
قراءة العلوم الآلية من نحو وغيره الرائجة الآن بالجامع الأزهر وجامع الزيتونة
والقرويين ؟ أفيدوا الجواب ، لازلت مقصدا لأولى الأبواب : فاجابه العلامة
الشيخ محمد الأنباي بالفتوى الآتية بعد الديباجة : يجوز تعلم العلوم الرياضية مثل
الحساب والهندسة والجغرافيا ، لأنه لا تعرض فيها شيء من الأمور الدينية ، بل
يجب منها ما تتوقف عليه مصلحة دينية أو دنيوية وجوبا كفاثيا ، كما يجب علم الطب
لذلك « كما أفاده الغزالي في مواضع من الإحياء ، وإن مازاد على الواجب من تلك
العلوم مما يحصل به زيادة التمكن في القدر الواجب فتعلمه فضيلة ، ولا يدخل في علم
الهيئة الباحث عن أشكال الأفلاك والكواكب وسيرها علم التنجيم المسمى بعلم أحكام
النجوم ، وهو الباحث عن الاستدلال بالتشكلات الفلكية على الحوادث السفلية ،
فإنه حرام كما قال الغزالي ، وعلل ذلك بما حصله أنه يخشى من ممارسته نسبة التأثير
للكواكب ، والتعرض للإخبار بالمغيبات ، مع كون الناظر قد يخطئ لخباء بعض
الشروط ، وأما الطبيعات وهى الباحثة عن صفات الأجسام وخواصها وكيفية
استحالتها وتغيرها - كما فى الإحياء فى الباب الثانى من كتاب العلم - فإن كان ذلك
البحث على طريق أهل الشرع فلا منع منها ، كما أفاده العلامة شهاب الدين أحمد بن
حجر الهيتمى فى جزء الفتاوى الجامع للسائل المنتشرة بل لها حينئذ أهمية بحسب
أهمية ثمرتها ، كالوقوف على خواص المعدن والنبات المحصل للتمكن فى علم الطب ،
وكمعرفة عمل الآلات النافعة فى مصلحة العباد ، وإن كان على طريقة الفلاسفة فلا اشتغال
(٦ - الأزهر - ثالث)

بها حرام ، لأنه يؤدي الوقوع في العقائد المخالفة للشرع ، كما أفاده العلامة المذكور ، نعم يظهر تجويزه لكامل القريحة الممارس للكتاب والسنة ، للأمن عليه بما ذكرنا ، قياساً على المنطق المختلط بالفلسفة ، على ما هو المعتمد فيه من أقوال ثلاثة ، ثانيها الجواز مطلقاً ، ونسبه الملوى في شرح السلم للجمهور ، وثالثها المنع مطلقاً ، ونسبه صاحب السلم لابن الصلاح والنووي ، قال الملوى : ووافقهما على ذلك كثير من العلماء . ولما كان الإمام النووي ممن يقول في المنطق بالمنع مطلقاً مشى على نظير ذلك في الطبيعة ، فقد في كتاب السير من الروضة من العلوم المحرمة علوم الطبيعيات بدون أن يفصل ، لكن حيث يعتمد التفصيل هناك فلنعتمده هنا ، إذ لا فرق في ذلك ، فإن مظنة الضرر والنفع موجودة في كل منهما ، والظاهر أن موضوع كلام الروضة ما كان على طريقة الفلاسفة ، إذ غيره لا يحظر فيه اتفاقاً للمنطق الخالص ، كما يشعر بذلك تعبيرها بعلوم الطبائعيين دون علوم الطبيعة . وأما علم تركيب الأجزاء المعبر عنه بالكيمياء فإن كان المراد به البحث عن التركيب والتحليل بدون تعرض لما يخشى منه على العقيدة الإسلامية . فلا بأس به ، بل له أهمية حسب ثمرته ، وإلا جرت فيه الأقوال الثلاثة المتقدمة ، وأما العلم المعروف بعلم جابر ، ويسمى أيضاً علم الصنعة وعلم الكاف ، وهو الذي ينصرف إليه علم الكيمياء عند غالب الناس ، فقد أفاد العلامة ابن حجر في شرحه على المنهاج أنه إن قلنا بالمعتمد من جواز انقلاب الجسم عن حقيقة وكان العلم الموصل لذلك يقينا جاز تعلمه والعمل به ، وإلا حرم ، ولقد هذا الشرط لم يتحصل المشتغلون به فيما رأينا إلا على ضياع الأموال ، وتشتت البال ، وتغيير الأحوال — فعمل أن العلوم الرياضية لا بأس من قراءتها كما تقرأ علوم الآلات ، وكذا الطبيعيات وعلم تركيب الأجزاء ، حيث كانت تقرأ على طريقة لا يفهم منها منابذة الشرع بحال ، كبقية العلوم العقلية مثل المنطق والكلام والجدل ، بل يجب كفاية من هذه الثلاثة ما يحتاج إليه في الحجاج عن العقائد الدينية .

وكتب الشيخ محمد البنا مفتي الديار المصرية في ذلك للعهد هذه الفتوى : « ما أفاده حضرة شيخ الإسلام موافقاً لمذهبنا ، وما استظهره من أن الخلاف الجاري في علم المنطق يجري في علم الطبيعة أيضاً وجيه . والله سبحانه وتعالى أعلم . » وكانت فتوى الشيخ الأنباري في غرة ذي الحجة سنة ١٣٠٥ هـ ، وكانت فتوى الشيخ البنا في ١٧ من هذا الشهر (١) .

كانت العلوم والكتب التي تدرس بالأزهر في القرن التاسع عشر وأول القرن العشرين كما جاء بيانها في رسالة مقدمة من شيخ الأزهر إلى الخديو في سنة ١٣١٠هـ ، هي كما اشتملت عليه هذه الرسالة (١) :

١ — علم التوحيد ، والكتب التي تدرس فيه هي أم البراهين الصغرى للشيخ محمد يوسف السنوسى بشرح المؤلف والهددى والباجورى ، وأم البراهين الكبرى للسنوسى ، وجوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم اللقانى بشرح عبد السلام اللقانى ، والعقائد النسفية بشرح السعد التفتازانى ، والخريدة للشيخ أحمد الدردير ، والمقاصد لسعد الدين التفتازانى ، والمواقف للشيخ عبد الرحمن العضد بشرح الجرجانى ، وطوالع الأنوار للبيضاوى بشرح الأصفهانى ، ومتن السباعى بشرح الباجورى .

٢ — التصوف ، والكتب التي تدرس فيه هي الإبريز للشيخ عبد العزيز ، والأنوار القدسية للشيخ عبد الوهاب الشعرانى ، وبستان العارفين للشيخ نصر السمرقندى ، وتاج العروس لابن عطاء الله السكندرى ، والتجليات الإلهية للشيخ محي الدين بن عربى ، وتحفة الإخوان للشيخ الدردير ، وتفايس إبليس لعز الدين بن عبد السلام ، وتنبيه الغافلين للشيخ نصر السمرقندى ، والتنوير فى إسقاط التدبير لابن عطاء الله السكندرى ، والاحياء للغزالى ، وقوت القلوب لأبى طالب المكي ، والمنن الكبرى للشيخ الشعرانى .

٣ — التفسير ، والكتب التي تدرس فيه هي الكشاف للزحشرى ، وتفسير الجلالين بحاشية الشيخ الجمل ، وتفسير الخطيب الشربيني ، وتفسير عبد الله بن عمر البيضاوى ، وتفسير أبى السعود ، وتفسير الفخر الرازى ، وتفسير الخازن ، وتفسير النسفى ، والاتقان للسيوطى .

٤ — التجويد والقراءات ، والكتب التي تدرس فيه هي تحفة الأطفال للشيخ سليمان الجزورى ، والجزرية للشيخ محمد الجزرى ، والتهديد له أيضاً ، وجهد المقل للشيخ على زاده ، وإرشاد الرحمان للشيخ عطية الأجهورى ، والشاطبية للشاطبى ، والوقف والابتداء للشيخ الأشمونى .

٥ -- الحديث ، والكتب التي تدرس فيه هي صحيح البخاري بشرح القسطلاني والعسقلاني والعيني وزكريا الانصاري ، ومختصر البخاري للشيخ ابن أبي جمرة ، وصحيح مسلم بشرح النووي ، والشفاء للقاضي عياض بشرح الخزرجي ومثلا على قاري ، وموطأ الامام مالك بشرح الزرقاني وابن عبد البر ، والجامع الصغير للسيوطي بشرح العزيزي والمنأوي والانياري ، والاذاكار للنووي بشرح ابن علان ، والتجريد للزبيدي ، والشمال المحمدية للترمذي بشرح الجبل ، والترغيب والترهيب للندري ، والاربعين للنووي ، وصحيح الترمذي ، وصحيح النسائي ، وصحيح الاشعث وصحيح ابن ماجه ، والمواهب الدنية للقسطلاني ، والسيرة الحلبية للحلي .

٦ -- مصطلح الحديث ، والكتب التي تدرس فيه هي ألفية الحافظ العراقي بشرح شيخ الاسلام العدوي . وتقريب النووي بشرح الجلال السيوطي ، والنخبة لابن حجر العسقلاني ، والبيقونية للشيخ عمر البيهقي بشرح الزرقاني ومنظومة الصبان .
٧ -- فقه الحنفية ، والكتب التي تدرس فيه هي نور الايضاح بشرح الشرنبلالي ، والكنز للنسفي بشرح الطائي وابن نجيم والزيلعي والعيني ومثلا ، وتنوير الابصار للتمرتاش بشرح الحصفكي ، والبداية للبرغيناني ، والهداية ، والغاية ، وفتح القدير ، والاشباه والنظائر لابن نجيم ، والخراج للإمام أبي يوسف ، وملتيق الأبحر للحلي بشرح الحصفكي ، ومجمع البحرين لابن الساعاتي ، ومتن القدوري للبغدادى ، وجامع الفصولين ، والسراجية للسجاوندى .

٨ -- فقه المالكية ، والكتب التي تدرس فيه هي العشماوية للشيخ العشماوى بشرح ابن تركي ، والعزبة لأبي الحسن علي الشاذلي بشرح الزرقاني ، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني بشرح الحسن الصعدي ، وأقرب المسالك للدردير ، ومختصر خليل بشرح الدردير والخرشي والزرقاني والخطاب والشبراخيتي ، والمجموع للشيخ الأمير ، والعاصمية ، والتبصرة لابن فرحون ، والقلصاوى للقرشي .

٩ -- فقه الشافعية ، والكتب التي تدرس فيه هي التقريب لأبي شجاع بشرح ابن قاسم والخطيب الشربيني ، والاشباه والنظائر للسيوطي ، والتحرير للشيخ زكريا الانصاري ، ومنهج الطلاب له أيضاً ، والروض لابن المقرئ ، ومنهاج الطالبين للنووي ، والعباب لابن المدحجي ، ومنهج الطلاب للجوهري ، والبهجة لابن الوردى ، والوجيز للغزالي ، والروض للنووي ، والارشاد لابن المقرئ ، وكشف النقاب للوناني ، وفتاوى ابن حجر ، وفتاوى الرمل ، والرحبية ، والترتيب للمارديني ، وكشف النواضع للسيط ، وألفية ابن الهائم .

١٠ - فقه الحنبلية ، والكتب التي تدرس فيه هي الدليل للشيخ مرعي ، وزاد المستنقع للبهوتي ، والمنتهى لفتوحى ، والافتاح للحجاوى ، والمقنع لابن قدامة ، ومختصر المقنع للحجاوى ، والانصاف للرداوى ، ومختصر الشطى .

١١ - أصول الفقه ، والكتب التي تدرس فيه هي جمع الجوامع للسبكي بشرح المحلى ، ومختصر ابن الحاجب بشرح العضد . ومنار الأنوار للنسفى بشرح ابن مالك والحصفكى وابن نجيم ، والتنقيح لصدرا الشريعة ، وتنقيح الفصول للقرافى ، والورقات لامام الحرمين بشرح المحلى وابن القاسم ، والورقات للحطاب ، والتحرير للكمال ابن الهمام ، وفصول البدائع ، والمرآة .

١٢ - اللغة ، والكتب التي تدرس فيها هي القاموس للفيروزبادى بشرح السيد مرتضى ، والصحاح للجوهري ، ومختار الصحاح للرازى ، والمصباح المنير للفيومى ، وفقه اللغة للنعالي ، والاساس للوخشى ، والمزهر للسيوطى ، ولسان العرب للأنصارى .

١٣ - النحو ، والكتب التي تدرس فيه هي الأجرومية للصنهاجى بشرح الكفراوى . والشيخ خالد ، والأزهرية وشرحها للشيخ خالد ، وقطر الندى لابن هشام ، وشذور الذهب له أيضا ، وألفية ابن مالك بشرح ابن عقيل والأشمونى ، ومغنى اللبيب لابن هشام ، والكافية لابن الحاجب ، والتسهيل لابن مالك .

١٤ - الصرف ، والكتب التي تدرس فيه هي المراح لاحمد بن على بن مسعود ، الشافية لابن الحاجب بشرح شيخ الاسلام والرضى ، والتصريف للغزى بشرح السعد التفتازانى ، والتصريف للأخضرى ، ونظم العقود للطحاوى بشرح الشيخ عlish ، ولامية الافعال لابن مالك ، ورسالة الجوهري فى الاشتقاق .

١٥ - علوم البلاغة ، والكتب التي تدرس فيها هي التلخيص للخطيب القزوينى بشرح السعد ، والمفتاح للسكاكى بشرح السعد والسيد ، والجواهر المكنون للأخضرى بشرح الدهمورى ، وعقود الجمان وشرحه للسيوطى ، ومنظومة ابن الشحنة ، والرسالة البيانية للصبان ، والسمرقندية .

١٦ - العروض والقوافى ، والكتب التي تدرس فيه هي الكافى للقناتى ، والخزرجية ومنظومة الصبان .

١٧ - الوضع والكتب التي تدرس فيه هي : الرسالة العضدية بشرح السمرقندى ، وعقود الزواهر .

١٨ - المنطق والكتب التي تدرس فيه هي السلم للأخضرى بشرح المؤلف والقويسنى والمولى والباجورى، وإيساغوجى الأبهري بشرح الشيخ زكريا الانصارى، والتهذيب للسعد التفتازانى بشرح الخبيصى، والشمسية للكاتبى بشرح القطب الرازى والمختصر للسنوسى، والمطالع للارموى بشرح الرازى.

١٩ - أدب البحث والمناظرة، والكتب التي تدرس فيه هي آداب الكلبوى بشرح حسن باشا زاده، وآداب السمرقندى بشرح الشيروانى وشيخ الاسلام، وآداب الساجقى للمرعى، وآداب الجرجانى.

٢٠ - التاريخ والكتب الذى تدرس فيه هي تاريخ الخيس للقاضى حسين الديار بكرى، وإسعاف الراغبين للصمان، ومقدمة ابن خلدون، وتاريخه العبر وديوان المبتدأ والخبر، والكامل لابن الاثير، والخطط للبقرى، ونفع الطيب للبقرى، وتحفة الناظرين للشرقاوى، والعقد الفريد لابن عبدو به، والطبقات الصغرى لابن السبكي، وطبقات الشعرانى، ولواقع الانوار له أيضا، وخلاصة الاثر للجلي، وأخبار الاول للاسحاق.

٢١ - الحساب والجبر، والكتب التي تدرس فيهما هي الوسيلة لابن الهائم، والتحفة السنية للسبط، والسخاوية للسخاوى، والياسمينية لابن الهائم، ومنظومة فى الحساب الاخضرى، ونزهة النظر لابن الهائم، والدرة البيضاء للاخضرى، والخلاصة للعامل، والتلخيص للدمياطى، واللعة لابن الهائم.

٢٢ - الميقات والهيئة، والكتب التي تدرس فيهما هي دقائق الحقائق للسبط، وخلاصة المختصرات لابن عائشة، ورسالة فى العمل بالربع للجبرتى، والمقدمة لمحمد المجدى، وتحفة الاخوان لابن قاسم، والوضع على الجهات للمالكي الاندلسى، وهداية الحائر للسبط، ورسالة الوقت والقبلة للقليوبى، ورسالة فى معرفة التواريخ لابن مهدى، ودستور علم الميقات لرضوان افندى، وزاد المسافرين لاحمد بن المجدى، وتسهيل الدقائق لخليل الفرازى، ورسالة المنحرفات له أيضا، والتذكرة للطوسى، والمطلع السعيد لحسين زائد.

٢٣ - الحكمة، والكتب التي تدرس فيها هي الاشارات لابن سينا، والهداية لاثير الدين الأبهري، وحكمة العين للكاتبى، ومقولات السجاعى، ومقولات البليدى، ومقولات المرصنى، وغالية النشر لعبد الجواد القبانى.

٢٤ - الرسم والكتب التي تدرس فيه هي منظومة فى الرسم العثمانى - رسم مصحف عثمان - ومنظومة فى الرسم القياسى.

من صحائف الذكرى

في سنة ١٢٨٠ هـ (١) - ١٨٦٣ م ، أراد السلطان عبد العزيز أن يزور الديار المصرية ، وكان هذا في عهد اسماعيل باشا خديو مصر ، فلما وصل إلى القاهرة اختار اسماعيل باشا أربعة من علماء الأزهر ، ليذهبوا إلى تهنئته نيابة عن إخوانهم ، وهم السيد مصطفى العروسي شيخ الجامع الأزهر ، والشيخ السقا ، والشيخ عlish ، والشيخ حسن العدوي ، وكان لمقابلة سلاطين آل عثمان آداب لا يعرفها علماء الأزهر فطلب اسماعيل باشا من قاضي قضاة مصر - وكان يختار من علماء دولة آل عثمان - أن يعلمهم آداب المثل بين يدي السلطان ، فذكر لهم أن المقابلة ستكون في حجرة يقف السلطان في صدرها على منصة مرتفعة ، وأنه يجب إذا ما وصلوا إلى باب الحجرة ووقعت أعينهم على السلطان أن ينحنوا انحناء عظيماً ، ثم يلقوا عليه السلام ، ثم يكرروا الانحناء والتسليم إلى أن يرد السلطان عليهم تحيتهم ، فينحنوا ويسلموا مرة أخرى ، ويرجعوا متقهقرين إلى الورا إلى أن يصلوا إلى باب الحجرة ، فينحنوا مرة أخرى ، ثم ينصرفوا إلى خارج الحجرة . وقد وقعت هذه الآداب من العلماء الأربعة موقع الاستغراب ، فقال لهم قاضي القضاة : إن هذا لا بد منه ، فقالوا قد فهمنا . ثم ذهبوا إلى مقابلة السلطان ، فدخل الشيخ العروسي أولاً ، وأدى المقابلة بالشكل الذي ذكره قاضي القضاة ، ثم أداها مثله الشيخ السقا والشيخ عlish ، وكان الخديو اسماعيل واقفا وراء السلطان وعينه ترقب حركاتهم ، فسر لإتقانهم آداب المقابلة ، وظهورهم بهذا المظهر الذي كان موقع استغراب منهم ، ثم دخل بعدهم الشيخ العدوي وكان عالماً شجاعاً لا يخشى إلا الله ، ولا يقيم وزناً لعظمة سواه ، فانحنى انحناء خفيفة عند الباب ، ثم أقبل نحو السلطان منتصب القامة ، ولم يكرر الانحناء أمامه ، فحقق قلب اسماعيل باشا لما فعل ، ولا سيما حين رآه يجاوز الحاجز ويصل إلى السلطان ، ثم يقول له : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله . فابتسم السلطان له ويرد عليه تحيته ، وينحنى له انحناء خفيفاً ، فيكلمه الشيخ العدوي فيما يجب على السلطان لرعيته ، ويبين له عظم المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وأن ثوابه عند الله سيكون بقدر تلك المسؤولية وحسن قيامه بها ، وأن عقابه عنده سيكون بقدر تقصيره فيها . فلما رأى ذلك اسماعيل باشا اصفر لونه ، وأخذ يتوقع غضب السلطان عليه لهذه المقابلة ،

ولكن وجد السلطان لم يبد عليه اى أثر للغضب ، بل وجده مرتاحا للكلام الذى سمعه . وقد خرج الشيخ العدوى بعد أن انتهى من موعظته ، ولم يخرج بظهره كما خرج غيره ، بل ولى وجهه نحو الباب وخرج ، فوجد العلماء الثلاثة ينتظرونه أمام الباب فأخبرهم بما فعل مع السلطان ، فأخذوا يلومونه على ما فعل ، ويخوفونه عاقبة هذا الأمر ، فقال لهم : أما أنا فقد قابلت أمير المؤمنين ، وأما أتم فكانكم قابلتم صنما ، وكانكم عبدتم وثنا ، ولما انصرف الشيخ العدوى سأل السلطان عبد العزيز إسماعيل باشا عنه ، فقال له : هذا شيخ من أفاضل العلماء ، ولكنه مجذوب ، وأستطيع جلالكم عفواً عن سقطته ، فقال له السلطان : كلا ، بل إنى لم أنشرح لمقابلة أحد انشراحي لمقابلته . ثم أمر له بخمسة سنية ، وألف جنيه .

شعلة لا تنطفئ

لما استولى صلاح الدين على مصر ، وأبطل منها مذهب الشيعة الفاطمية أبطل الخطبة في الجامع الأزهر ، وأقرأها بالجامع الحاكمى لسعته وبقي الأزهر معطلا من إقامة الجمعة فيه زمن الدولة الايوبية ، وبعضاً من عصر المماليك البحرية - أى نحو مائة سنة - . وأهمل أمره مدة تعطيل الجمعة فيه ، وأنشئت مدارس أخرى لتدريس فقه الشافعية والتفسير والحديث وغيرها .

ولما ولى ملك مصر الظاهر بيبرس البندقدارى كان من أمراء دولته الأمير عز الدين أيدمر الحلى . وكانت داره بالقرب من الأزهر ، فرعى فيه حرمة الجوار ، واستعان بماله وجاهه عند السلطان فى عمارته ، لجمع بعض مابددته أيدى الفاطميين من أوقافه ، وأمدد السلطان بالمساعدة ، فعمر الواهى من أركانه ، ورفع سقوفه ، وبطله ، وفرشه ، وأثر فيه آثاراً حسنة ، حتى عاد حرماً آمناً فى وسط المدينة . وأنشأ بيلبك الخازن دار مقصورة كبيرة رتب فيها جماعة من الفقهاء ، ومحدثاً يتلو الحديث النبوى ويلقى المواعظ ، ومقرئين للقرآن ، ووقف على ذلك الغلات الدارة .

ولما كانت الدراسة معطلة فى الأزهر من بدء الدولة الايوبية فقد أريد إعادة الخطبة فيه ، فامتنع قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الاعز من إقامة خطبتين للجمعة ، فيه وفى للجامع الحاكمى ، وفقاً لمذهبه ، وهو مذهب الامام الشافعى . فولى السلطان قاضياً حنفياً فاذن فى إعادتها ، وأخذ بذلك خطوط العلماء . وأعيدت إقامة الجمعة فيه باحتفال عظيم حضره أكابر الدولة ، وعاد مسجداً جامعاً ، ومدرسة عظيمة .

وكان هذا الاذن أساساً اعتمد عليه سلاطين المماليك وكبرائهم في صحة بناء مساجد جامعة كثيرة في القاهرة وغيرها . وعظمت عناية المماليك بالازهر فجددوه مراراً ، ورفعوا حوائله المنارات السامية ، وأضافوا إليه بضع عشرة مدرسة ، حبست عليها الحبوس الجليلة ، وفتحوا أبوابه للعلم ، وأجروا على قاصديه الجرايات من الطعام والحلوى ، فقصده الطلاب والعباد من أقاصى البلاد . وبلغ عدد طالبي العلم به سنة ٨١٨ هـ نحو سبعمائة وخمسين طالباً من مصريين ومغاربة وأعاجم ، وهم عدد عظيم بالإضافة إلى ما كان ينافسهم في الشهرة وينازعه هذه المكرمة ، من نحو مائة مدرسة وجامع أنشأها سلاطين المماليك وأمرؤهم ، ووقفوا عليها أضعاف ما وقف على الازهر .

وكانت الدراسة فيه مقصورة أول الأمر على علوم اللغة والدين ، ثم أدخلت فيه بعض علوم الرياضة والنجوم والطبيعة ، ولكنها لم تنش طويلاً ، وعادت الدراسة فيه سيرتها الأولى . وظل كذلك تتوالى عليه أحوال عسر ويسر ، إلى أن نهض المصلحون لاخذ طلابه بقسط من علوم الحياة : كالتاريخ ، وتقويم البلدان ، والعلوم الرياضية ، فلقوا شيئاً من المعارضة . على أن الازهريين لم يلبثوا أن اطمأنوا إلى هذه العلوم ، وأقبلوا جاهدين على دراستها طالبين المزيد منها ، والاصلاح في جميع أنواع التعليم بمعهدهم الجليل فعولج الاصلاح بعدة مشروعات ، وتم لهم ما أرادوا وسن للآزهر قانون جعل التعليم فيه على ثلاث مراحل : هى مراحل التعليم الابتدائى ثم الثانوى ، ثم العالى ، وأنشئ للرحلة الأخيرة ثلاث كليات ، بكل منها أقسام للتخصص . واقتضى النظام الجديد أن يختص كل مدرس بنوع من العلم لطائفة من الطلاب محدودة العدد من طبقة واحدة ، فضاق نطاق الازهر عن فرق الدراسة ، فوزعت على كثير من الأمكنة . وألحق بالآزهر فى نظامه وإدارته العليا كثير من المعاهد العلمية ، كمعهد الاسكندرية ، والجامع الاحمدى ، والجامع الدسوقي ، ومعهد دمياط ، ومعهد أسيوط ، ومعهد شبين الكوم ، ومعهد الزقازيق .

والآزهر الفضل الذى لا يمحى فى حفظ علوم الدين واللغة فى تلك الحقبة الطويلة ، التى ابتليت فيها مصر بالفقر والجمل وسائر ألوان الفساد . وكان ملاذ القاصدين من أبناء اللغة العربية ، وغياث المتعطشين لورود مناهلها من سائر الممالك الاسلامية ، ومصباحاً ينبعث منه نور الهداية إلى جميع أنحاء العالم الاسلامى ، وله عظيم الاثر فى النهضة الحديثة ، إذ كان الملجأ الذى لجأ إليه محمد على فى نهضته ، فاختر من بين طلابه بعونه إلى البلاد الاوربية للتوسع فى العلوم والفنون ، فعادوا وكانوا أئمة المصلحين .

واستعان بعلمائه في القيام بكثير من شؤون مملكته ، كتعليم اللغة والدين بالمدارس التي أنشأها ، والإشراف على طبع الكتب وتصحيحها ، وتحرير الوقائع المصرية ، والمشاركة في وضع مصطلحات العلوم المترجمة . ومن الأزهر استمدت مدرسة القضاء الشرعي ودار العلوم طلابها ، وتخرج من المدرسة الأولى طائفة من رجال الشريعة ، نهضوا بأعباء القضاء في المحاكم الشرعية ، وأعمالها الكتابية ، كما تخرج من الثانية كثير من مدرسي المدارس المصرية في العصر الحديث ، وإلى الأزهر يرجع الفضل في توسيع نطاق التعليم . فقد أمد مدراس المعلمين الأولية بما تحتاج إليه من التلاميذ ، وساعد المدارس الحكومية والاهلية برجاله ، وعمل طلابه على إزالة الأمية ، ونشر الثقافة العامة في قرى القطر المختلفة لانبثاقهم بها ، وإقامتهم فيها ، وبه أصبحت مصر مركز الثقافة العربية ، والمثابة الأخيرة لعلوم الدين واللغة .

علماء من الأزهر القديم والحديث

— ١ —

ليس في وسعي في هذا الكتاب لإحصاء جميع العلماء الذين تخرجوا من الأزهر أودرسوا فيه أو تولوا مناصبه الدينية والعلمية الكبرى ، فذلك شيء لا يمكن أن يحيط به باحث .

وقد ذكرت في فصول الكتاب أشهر الأعلام في الأزهر ، خلال عصور التاريخ المختلفة ، ونذكر الآن أسماء عديدة ، بعضهم ممن سبق ذكرهم ، ولكن هنا تحقيق دقيق لتاريخ ميلادهم ووفاتهم ، ومن الأعلام الأزهريين :

- ١ — الشيخ محمد بن عمر الخفاجي المصري المتوفى عام ١٠١٩ هـ ، وهو والد الشهاب الخفاجي ، وكان من جملة العلماء وله آثار علمية كبيرة ، (١) .
- ٢ — الشهاب الخفاجي المصري (٢) (٩٧٥ - ١٠٦٩ هـ - ١٦٥٨ م) وكان

(١) ٤١١ ج ٧ دائرة معارف البستاني ، ١١٦ الريحانة للشهاب الخفاجي ، ٥٨ ج ٢ بنو خفاجة .

(٢) الريحانة (٢٧٢ - ٣٠٩) و ٣٣١ - ٢٤٣ ج ١ خلاصة الأثر ، ٤٢٠ - ٤٠٧ سلافة العصر ، وسوى ذلك من المراجع ، كما ترجمت له شتى الكتب المؤلفة في تاريخ الأدب العربي .

من جلة العلماء والمؤلفين ، وتولى رئاسة القضاء في مصر ، ورحل إلى الحرمين
والشام والقسطنطينية ، ومن مؤلفاته : الریحانة ، و طراز المجالس ، وشفاء الغليل
وشرح درة الغواص ، وحاشية على الشفاء ، وحاشيته المشهورة على البيضاوى ،
وسواها ، كما أن له كثيرا من الكتب المخطوطة (١)

والشهاب اسمه أحمد بن محمد بن شهاب الدين الخفاجي المصري ، وقد ولد
بسرناقوس وتلقى دروسه بالقاهرة ثم رحل مع أبيه إلى الحرمين ، ثم الأستانة ،
وعين قاضيا على الروملى ثم فى سلانيك ، وعينه السلطان مراد قاضيا للعسكر بمصر ،
ثم استقال وسافر إلى دمشق فخلب فالأستانة ، وتوفى سنة ١٠٦٩ هـ . وكان أديب
عصره ، عالما باللغة وعلومها ، كاتبا شاعرا مؤلفا . ومن شعره قوله :

إن وجدى بمصر وجد مقيم وحنينى كما ترون حنينى
لم يزل فى خيالى النيل حتى زاد عن فكرتى ففاضت عيونى
وقوله :

فديتك يا من بالشجاعة يرتدى وليس اغير السمر فى الحرب يغرس
فان عشق الناس المها وعيونها من الدل فى روض المحاسن تنعس
فدرعك قد ضمنك ضمة عاشق وصارت جميعا أعينا لك تحرس
وقوله مضمنا :

يا صاح إن وافيت روضة نرجس إياك فى المشى فهو محرم
حاكت عيون معذبى بذبولها (ولأجل عين ألف عين تكرم)
وقال يتغزل ويتطرق إلى مدح محمد بن القاسم الحلبي :

حتام يغزوني صدوده والصبر قد كثرت جنوده (٢)
لم أدر : فاطر جفنه والخصر ، أسقم أم عهدده (٣)
نشوان يعبث بي كما عبثت بآمالى وعوده (٤)

(١) راجع ترجمته بتفصيل فى ٥٨ - ٧٢ ج ٢ بنو خفاجة

(٢) حتام أصلها (حتى ما) فحذفت ألف ما الاستفهامية لجرها بحتى . يغزوني :
يسير إلى قتالى وانتهابى . والصدود : الاعراض .

(٣) جفن فاطر : غير حاد النظر . والخصر : وسط الانسان . والعهود : المواعيد

(٤) النشوان : السكران . ويعبث بي : يلعب بي .

لولا مياه الحسن جا لت فيه لا حترقت خدوده
كالصب لولا دمعه يهيم لأحرقه وقوده (١)
يخفي الهوى وعيونه بفراشه المضنى شموه
فسقى رياض الحسن من دمه حيا يهيم مديده (٢)
زمن بجيد اللهو قد نظمت على نسق عقوده (٣)
إذ دوح أنسى يانع بكتوشنا انفتحت وروده (٤)
والكأس نجم لاح في فلك المسرة لى سعوده
يصفو فيحلو ذكر من قد زين الدنيا وجوده
ذاك ابن قاسم الذى مازال فى تعب حسوده

- ٣ - الشيخ محمد الأمير الكبير (١١٥٤ - ١٢٣٢ هـ - ١٧٤١ - ١٨١٧ م) ، وقد
تولى مشيخة السادة المالكية فى الأزهر
٤ - الشيخ محمد بن عرفة الدسوقي صاحب حاشية البلاغة المشهورة على شرح
التلخيص وتوفى سنة ١٢٣٠ هـ
٥ - الشيخ عبدالله الشرقاوى (١١٥٠ - ٢ شوال سنة ١٢٢٧ هـ - ١٧٣٧ -
١٨١٢ م) وقد تولى مشيخة الأزهر الشريف
٦ - الشيخ مصطفى بن أحمد الصاوى من الأزهرين الذين اشتهر ذكرهم أيام
غزو نابليون لمصر وكان من أدباء الأزهرين (٥) .
٧ - الشيخ محمد الخالدى المعروف بابن الجوهري قرأ الدروس فى الأزهر وطار
صيته ، وتوفى فى ١١ ذى القعدة سنة ١٢١٥ هـ - ١٨٠١ م .
٨ - الشيخ حسن العطار (١١٨٠ - ٢ ذى القعدة ١٢٥٠ هـ - ١٧٦٦ - ١٨٣٥ م)
٩ - الشيخ حسن قوبدر (١٢٠٤ - ١٢٦٢ هـ - ١٧٨٥ - ١٨٤٦ م)

(١) الصب : المشتاق الذى يكابد حرارة الشوق . يهيم : يسيل . وقوده :
اتقاده واشتعاله .

(٢) الحيا : المطر . المديد : الممدود المتصل .

(٣) نسق : نظام واحد .

(٤) الدوح : الأشجار العظيمة . الورود : جمع ورد .

(٥) ٣١٣ - ٣١٥ هـ ٣ الجبرتي .

١٠ - الشيخ شهاب الدين الشاعر المصري (١٢١٨ - ١٢٧٤هـ - ١٨٠٣ - ١٨٥٧م) وقد درس في الأزهر .

١١ - الشيخ إبراهيم البيجورى شيخ الاسلام (١١٩٨ - ١٢٧٧هـ - ١٧٨٤ - ١٨٦٠م) ، وقد ولد بمديرية المنوفية وطلب العلم في الأزهر . واشتهر بالنبوغ بين طلابه ، وألف كتباً عديدة ، وتولى التدريس في الأزهر ، وطار صيته ، وذاعت شهرته ، وله كتب مشهورة في الفقه الشافعى .

١٢ - الشيخ رفاعه الطمطاوى وقد درس في الأزهر ، وسافر في بعثة أرسلها محمد على إلى فرنسا ، وعاد منها وتولى كبريات المناصب في الدولة (١٢١٦ - ١٢٩٠ - ١٨٠١ - ١٨٧٣م) .

١٣ - الشيخ محمد الأنباى شيخ الأزهر (١٢٤٠ - ١٣١٣هـ - ١٨٢٤ - ١٨٩٦م) .

١٤ - الشيخ عليش أحد مشايخ السادة المالكية (١٢٣٧ - ١٣١٩هـ - ١٨٠٢ - ١٨٨٢م) .

١٥ - الشيخ حسين بن أحمد المرصنى المتوفى سنة ١٣٠٧هـ - ١٨٨٩م . وهو العلامة اللغوى الأديب المحقق الشيخ حسين بن أحمد المرصنى . ولد بمصر ونشأ فيها . وبعد أن حفظ القرآن الكريم ، وكان مكفوف البصر ، جرى به إلى الأزهر ، فأخذ العلم عن كبار شيوخه ، حتى أدرك منه قدراً جليلاً ، وتصدر للتدريس فيه . وكان شديد الشغف بعلوم العربية وآدابها ، فجد فى دراستها ، وأطال النظر فى وجوه بلاغاتها . ولم يطمئن إلى ذلك الأدب الذى كان شائعاً فى عصره . بل كان من أوائل من تفتنوا فى هذه البلاد إلى قدر الأدب القديم . فأقبل على كتب أعلام البلاغة السابقين ، ودواوين فحول الشعراء المتقدمين . وجعل يقرأ ويحفظ ويتدبر ، ما اتسع له الوقت للقراءة والحفظ والتدبير . كما جعل يروض قلبه على البيان الصحيح المتين ، حتى أصبح الأديب التام الآداة . ودرس الأدب فى دار العلوم للسابقين من طلابها . وكان منهم حفى ناصف وأترابه . وأخذ عنه كبار المتأدين فى عصره من أمثال البارودى ، وعبد الله فكرى ، وصاحبوه ولازموه ، وعرضوا عليه بيانهم فى منظومهم ومنثورهم ، فهدب ونقح ، وهدى إلى الأجل الاصلح . وكتب فى مجلة (روضة المدارس) فعلم الادب علماً ، كما درب بالعمل والقدوة ، على صحيح البيان . وقد ألف فى البلاغة كتاباً جليلاً دعاه (الوسيلة الادبية) . فشاع الانتفاع

به ، ولا يزال هذا الكتاب مرجع المتأدين إلى اليوم . وله كذلك رسالة دعاها
(الكلم الثمان) ، تحدث فيها عن معاني : الأمة ، والوطن ، والحكومة ، والعدل ،
والنظام ، والسياسة ، والحرية ، والتربية .

وعلى كل حال ، فالشيخ حسين المرصفي ، رحمه الله ، يعد من أقوى الدعائم التي
قامت عليها النهضة الحديثة في اللغة والأدب .

٦ — الشيخ عبد الهادي نجا الأبياري الأديب الأزهرى المؤلف النابه
(١٢٣٦ - ١٣٠٦ هـ - ١٨٢١ - ١٨٨٨ م) .

ويذكر أحمد أمين هذه الأغنية الشعبية المصرية ، وهي بعد حذف ديباحتها : « حصاني
في الخزانة ، والخزانة « عاوزة » سلم ، والسلم عند النجار ، والنجار عاوز مسمار ،
والمسمار عند الحداد ، والحداد عاوز بيضة ، والبيضة في بطن الفرخة ، والفرخة
عاوزه قمحة ، والقمحة عند القماح ، والقماح عاوز فلوس ، والفلوس عند الصريف ،
والصريف عاوز عصافير ، والعصافير في الجنة ، والجنة عاوزة حنا ، الخ . . . »

ويقول عنها : أنها أغنية لطيفة حقاً ، لا يزال أطفالنا إلى الآن يتغنون بها
بتوقيعهم الظريف ، وصوتهم الشجي ، وهم إذ ينشدونها لم يدروا أنهم يتغنون
بفلسفة عالية ، وفكرة سامية ، قد يلاحظ عليها أن الربط في بعضها محكم كحاجة
السلم إلى النجار والنجار إلى المسمار ، وبعضها غير محكم كحاجة الحداد إلى البيضة ،
وحاجة الصريف إلى العصافير ، ولكن أظن أن تحكيم المنطق الدقيق الحاد في الأدب
كالشعر والأغاني وسائر الفنون مجاوزة للحد ، فالأغنية لطيفة رغم المنطق ، ومن
أسباب جمالها هذا النوع البديع الذي يصح أن أسميه « جمال الدوران » ، أو جمال
التسلسل ، مثل قولهم « لاساطان الإبرجال ، ولأرجال الإبلال ، ولأمال إلا بعمارة ،
ولأعمارة إلا بعدل ،

وقولهم : الحجر يكسر الزجاج ، والحديد يكسر الحجر ، والنار تذيب الحديد ،
والماء يطفى النار ، والرياح تلعب بالماء . والإنسان يتقى الريح . والخوف يغلب
الإنسان . والخمر تزيل الخوف . والنوم يغلب الخمر . والموت يغلب النوم . . . ومثل
قولهم : « العالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلاً . والجاهل لا يعرف العالم لأنه لم يكن
عالمًا ، الخ . . . » وبعد فما تاريخ هذه الأغنية ومن واضعها ؟ لا بد أن يكون فيلسوفاً
أو حكماً بعيد النظر . وبما يؤسف له أن هذه الأغاني والأزجال والمواويل لم يعن

بها عناية الادب الأرستقراطي . فبينما يعنى العلماء والأدباء بنسبة بيت الشعر إلى قائله . والقصيدة إلى منشئها . ويحتدم بينهم القتال على ذلك . إذ بنا لا نجد هذه العناية ولا بعضها في الاغانى والازجال الشعبية . وهذا نوع مما أصاب الادب الشعبي من الظلم . وكما أصابه من أنواع ! وهما هي ذى الاغانى التى تخترع فى عصرنا نجدتها على الافواه ونستعذبها ، وتهش لها نفوسنا . ولا تكلف أنفسنا دؤنة البحث عن منشئها ولكن من حسن حظ هذه الاغنية أو من حسن حظنا نحن ، أننا نجد ظلالا لتاريخها فقد ذكرها الجبرتى فى تاريخه فى حوادث سنة ١١٤٣ هجرية . فيكون عمرها أكثر من قرنين وربيع وظلت الاجيال تتعاقبها إلى يومنا . ويظهر من كلام الجبرتى أن واضعها عالم كبير جليل من أكابر علماء الازهر فى القرن الثانى عشر . هو الشيخ الحفناوى أو الحفنى ، كان سيد الازهر فى أيامه ، له حلقات الدروس الحافلة بنوابغ الطلبة ، يقرأ فيها أغوص الكتب وأصعبها ، كجمع الجوامع والاشموني وحاشية السعد ، وله التأليف الكثيرة فى البلاغة والميراث والجبر والمقابلة ، كما كان بيته ساحة كرم يغشاه أعيان مصر وعلمائها وأدباؤها ، ويلجأ اليه الفقراء وذوو الحاجات وكان راتب بيته من الخبز كل يوم نحو الارdeb ، وطاحون بيته دائر ليل نهار ، ويجمع على مائته الاربعون والخمسون والستون ، إلى هيبة ووقار ، حتى يهاب العلماء سؤاله لجلاله . وهو مع هذا كله ظريف أديب ، سمع تلميذا له يوما يقول :

قالوا تحب المدمس ؟ قلت بالزيت حار والعيش الأبيض تحبه ؟ قلت والكشكار فضحك الشيخ وقال أنا لا أحبه بالزيت الحار . وإنما أحبه بالسمن ثم قال :

قالوا تحب المدمس ؟ قلت بالمسلى والأبيض مشوى تحبه ؟ قلت والمقل

وله المواويل الظريفة كقوله :

بحياة ياليل قوامك وصوم الحر تحجز لنا الفجر دافوت الرفاقه حر لما يجى الفجر يصبح ركبهم منجر أزداد لوعة ولا عمرى بقيت أنسر إلى غير ذلك ، فيحدث تلميذه أن الشيخ الحفنى قال له يوما : أحدثك حدوده بالزيت ملتوته ، حلفت ما آكلها ، حتى يجى التاجر ، والتاجر فوق السطوح والسطوح عاوز سلم الخ ، فحكاية التليذ ولم يكن يسمعها من قبل وروايته لها عن عن شيخه ، ترجع الظن أنها من عمل الشيخ الحفنى . وقد زاد الشيخ على ذلك فشرح الاغنية على طريقة الصوفية ففسر التاجر بالمرشد السكامل والمربى الواصل ، والتاجر فوق السطوح فى مستوى عال . والسطوح لا يمكن صعوده إلا بمعراج الخ وقد كان

للشيخ بجانب آخر صوفي عظيم . فلاشموني وجمع الجوامع ، والخواشي والتقارير كلها لم تمنع الشيخ العالم الازهرى الجليل من أن يكون أديباً وزجالاً ، يضع الاغانى والمواويل يتغنى بها الشعب . وهذا يذكرنى بما سمعت عن الاستاذ الشيخ عبد الرحمن قراءة المفتى الاسبق من أنه واضع الدور المشهور : الله يصون دولة حسنك ،

أموال المسلمين الموقوفة على الازهر

رصد المسلمون على الازهر أوقافاً كثيرة طول العصر الاسلامى . ولما جاء محمد على اغتصب الكثير من هذه الأوقاف وأهداها لأسرته - وقد كان شيخ الازهر يشرف على هذه الأوقاف ونظارتها ، وفى العمود الأخيرة تولت وزارة الأوقاف المصرية النظارة على هذه الأوقاف ، وقد أنشئت وزارة الأوقاف (وكانت تسمى ديوان الأوقاف) قبل انشاء الازهر بأكثر من مائتين وأربعين عاماً ، ويرجع تاريخ إنشائه إلى عام ١١١٨ هـ ، ويروى أن إنشائه كان فى عهد هشام بن عبد الملك فقد تولى قضاء مصر توبة بن نمر فى زمن هشام بن عبد الملك ، وكانت أوقاف المسلمين فى أيدي أهلها وفى أيدي أوصيائهم ، فقال توبة : ما أرى مرجع هذه الصدقات إلا إلى الفقراء والمساكين ، فأرى أن أضع يدي عليها حفظاً لها من الالتواء والتوارث ، وصنع ذلك عام ١١١٨ هـ ، فكان ذلك أول إنشاء ديوان الأوقاف فى مصر ولم يمت توبة حتى صارت الاحباس ديواناً عظيماً . وفى العهد الأخير وبعد حل الأوقاف الأهلية صودرت جميع أوقاف الازهر وحول مصرفها إلى جهات خيرية ، وأبعد عنها العلماء المدرسون بالازهر ، على خلاف نصوص الواقفين وشروطهم .

بعض آراء فى الإصلاح

الازهر جامعة دينية كبرى ، يؤمه المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها ، وهو أمانة فى يدي مصر انتمنه عليه الشرق الاسلامى كله ، ومصر مسئولة أمام الله والتاريخ عن هذه الجامعة العتيقة الخالدة ، وعن النهوض بها وتمكينها من أداء رسالتها :

وأول خطوة للإصلاح فى رأيى هى جعل جماعة كبار العلماء بمثابة تمام التمثيل لكبار رجال الدين ، وفى مقدمتهم شيوخ الكليات والمعاهد الثانوية ، وأساتذة الكليات حرف ١ ، ورئيس المحكمة العليا الشرعية ومفتى الديار المصرية وشيخ الطرق الصوفية

وشيخ الازهر ووكيله ، وشيوخ الازهر السابقين ، وشيوخ المذاهب الاربعة . .
وتكون مهمة الجماعة ما يلي :

(ا) الافتاء فى المسائل الدينية والشرعية ، بتكوين لجنة من بين الجماعة لهذا الغرض ، يساعدها بعض الاساتذة المتخرجين من تخصص المادة والمدرسين فى كلية الشريعة الاسلامية وتحل هذه اللجنة محل - لجنة الفتوى الحالية فى الازهر .

(ب) بحث نظام الاسلام الاجتماعى والاقتصادى بحثا كافيا . . ووضع اصول التشريعات اللازمة للحياة الحاضرة فى مصر والعالم الاسلامى . . ونشر البحوث المتصلة بذلك . . على أن تقوم بذلك لجنة تختار لهذه المهمة من بين أعضاء الجماعة ، ويختار لها اساتذة مساعدون من اساتذة الكليات (حرف ب و ج) .

(ج) بحث نظم التعليم فى الازهر ، ووجوه الاصلاح فيه . . ويقوم بذلك لجنة تختار من أعضاء الجماعة ، ولها أن تختار مساعدين لها من بين أعضاء هيئات التدريس فى الازهر ، أو من كبار الموظفين الاداريين فى الازهر .

(د) الاشراف على الجماعات الدينية الاسلامية فى مصر اشراف توجيه وإصلاح ، ويقوم بهذا الاشراف جماعة تختار من بين أعضاء الجماعة ، يكون من بينها : شيخ الازهر ، والمفتى ، ورئيس المحكمة العليا الشرعية .

ويقوم التعليم فى الازهر الآن على تخريج عالم لا على تخريج رجل دين .
وأرى أن يعالج هذا النقص علاجاً سريعاً بما يلي :

١ - تعميم دراسة أحاديث وآيات قرآنية مختارة فى جميع مراحل الدراسة فى الابتدائى والثانوى . . ودراسة مادة « قصص الانبياء » ، ومادة « التصوف » ، ومادة « الاخلاق الاسلامية » ، فى جميع سنى الدراسة الابتدائية والثانوية .

ودراسة اصول الاسلام وأهدافه ومناهجه فى الاصلاح الدينى والاجتماعى والاقتصادى والثقافى والسياسى فى كليات الازهر .

٢ - جعل حفظ القرآن ضروريا للنجاح فى شهادات الازهر ، واحتساب عامين من مدة التعليم الابتدائى فى الازهر لحفظ القرآن الكريم .

٣ - تنظيم طلاب البحوث الاسلامية ، وإعدادها إعداداً يليق بمهمتها الجليلة .

٤ - تنظيم محاضرات أسبوعية فى كل معهد أو كلية أزهريه يلقها الاساتذة .

٥ - حسن اختيار الكتب الدراسية فى الازهر .

(٧ - الازهر - ثالث)

- ٦ - جعل اختيار شيوخ الكليات الأزهرية عن طريق انتخاب هيئات التدريس في هذه الكليات .
- ٧ - العناية بدراسة الآثار الإسلامية والتاريخ الإسلامى دراسة كاملة صحيحة :
- ٨ - الاكثار من بعثات الأزهر التعليمية إلى أوروبا ، واختار أعضاؤها للسفر في بعثات منظمة إلى معاهد التعليم في أوروبا وفق الحاجة .
- ٩ - فتح أقسام الدراسات العليا في كليات الأزهر التي أغلقت أبوابها منذ عام ١٩٤٠ - إلى غير ذلك من شتى الإصلاحات التعليمية ، ومن بين الإصلاحات الواجبة :
 - ١ - إصلاح مجلة الأزهر .
 - ٢ - مساواة أساتذة الكليات بأساتذة الجامعات المصرية ، ومساواة أساتذة المعاهد بنظرائهم في وزارة المعارف .
 - ٣ - إنشاء اتحاد عام لطلاب الأزهر على غرار اتحاد طلبة الجامعة المصرية .
 - ٤ - التفكير جديا في الاحتفال بالذكرى الألفية للأزهر .
 - ٥ - قيام الأزهر بنشر أصول كتب الشريعة والحديث واللغة وسائل المتخصصين من أبنائه ، ونشرها في العالم الإسلامى .

الأزهر والذكريات القومية

يشارك الأزهر الأمة الفرح بالاعیاد القومية ، ومن أول هذه الأعياد عيد الجلاء ، بمناسبة توقيع الاتفاقية المصرية الانجليزية عام ١٩٥٤ الخاصة بجلاء الجيوش الانجليزية عن مصر .

وقد وقعت اتفاقية الجلاء بين مصر وانجلترا الساعة ١٠ مساء يوم الثلاثاء ١٩ أكتوبر ١٩٥٤ - ٢١ صفر ١٣٧٤ هـ في البهو الفرعونى بدأ مجلس النواب فى القاهرة ، وقد وقعها بالنيابة عن حكومة مصر الرئيس جمال عبد الناصر ، واحتفلت البلاد احتفالات قومية بتوقيعها ، ومن الطريف أن يوم ١٩ أكتوبر ١٨٠١ وقعت فيه اتفاقية جلاء الجيوش الفرنسية عن مصر .

وقد دعا شيخ الأزهر إلى حفلة ابتهاج باتفاقية الجلاء ، وذلك بقاعة المحاضرات بمبنى الكليات الأزهرية فى الساعة السادسة يوم الاثنين ٢٧ من صفر ١٣٧٤ هـ - ٢٥ أكتوبر ١٩٥٤ ، وقد تحدث فيها شيخ الأزهر ، الشيخ عبد الرحمن تاج والشيخ

عبد اللطيف السبكي مدير التفتيش بالأزهر ، وألقى الأستاذ حسن جاد قصيدة بليغة من عيون الشعر :

قال شيخ الأزهر من كلمته

الآن . . . وقد مكنتم بحمد الله لمصر أمرها ، وثبت لها عزتها ، وأزحمت الاجنبى عن ديارها ، وأعدتم اليها كامل استقلالها .

الآن . . . وقد حللتكم مشكلة مصر الخارجية فعليكم أن تعملوا على حل مشاكها الداخلية ، وأن تسيروا فى خطة الاصلاح والانشاء الذى بدأت فيها ، ونقطعتم منها شوطا كبيرا . . . بنفس العزم والقوة كى تنمض مصر الى المستوى الجدير بها والجديرة به ، ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ولينصرن الله من ينصره ، والله قوى عزيز .

وألقى الأستاذ الشيخ عبد اللطيف السبكي مدير التفتيش بالأزهر وعضو هيئة كبار العلماء كلمة حيا فيها قادة الثورة ، وقارن بين حياة مصر وشعبها المجيد الذى حكمه أبناؤه بعد أجيال من الاضطهاد والعذاب ، وبين ما كنا عليه فى العصور التى ابتلينا فيها بالغرباء الطغاة ثم قال :

وتها مصر ، ذلك الوطن الاسلامى الكبير ، نخبه من أبناء جيشها ، وتملكتهم العزة القومية ، وجاشت فى صدورهم الوطنية ، وقوى فيهم الاحساس بما تقاسيه مصر ، فاصبح كل منهم يسمع فى أعماق نفسه هاتفا ينادى : أن أنقذ مصر من عثرتها ، فاتحدت عزائمهم ، واستمدوا من هدى الرسالة المحمدية ما أوضح لهم السبيل ، ودفعهم الى الغاية النبيلة فصرخوا صرخة مدوية : ليك ليك يا مصر ، وكان لهم من جانب الله تاييد وتوفيق فبارك الله لمصر يومها العظيم ٢٣ يوليو ، وأبقاهم لشعب مصر حراسا أمناء ، ومصلحين أكفاء .

وهذه هى قصيدة الشاعر حسن جاد :

سنا فجره المأمول لاحت بواكره	وهزت ربوع المشرقين بشائره
أطل على ليل الحيارى وأشرقت	على ظلمات اليأس غرا منائره
وخف اليه الدهر يرهف سمعه	ويزحم ركب النور فيمن يسايره
وطالعت النيل السعيد بصبحه	مضى طالما جاشت بهن خواطره
تزف بها بشرى الجلاء وعيده	فترقص فى شطيه نشوى أزاهره
وتعتنق الأرواح فوق ضفافه	عراس واد جن بالحسن سامره
على لهوات الطير من صبواتها	طرائف شدو أبدعتها حناجره

هو النيل والبشرى استخفت وقاره
وما فاض في شطآنه غير فرحة
وما هو ماء ما يفيض وإنما
نوى في قيود الذل سبعين حجة
وصابر الاستعباد مستأسد المنى
تداركه فجر الخلاص يمينه
فن رام الاستقلال فليشهد الحمى
ومن ضاق بالأغلال فالقيد حطمت
ومن ضل في ليل المظالم سعيه
ومن سره أن يشهد البعث مائلا
ومن شافه يوم الجلاء وعيده
كنى يومه أن الزمان بأسره
رعى الله للوادي جمالا وصحبه
لقد صيروا حلم الجلاء حقيقة
وكان لتجار السياسة مغنا
وكم من ندى كان قصة لهوه
فساد وظلم وانحلال ونكسة
وما كحى الأخلاق حصن لامة
وقد ينهض الشعب الجريح بروحه
تدارك رحمن السماء مصيره
مضوا يتساقون الندامة علقما
وأضحى كناس النيل غابا بمنعا
صناديد راع الظلم بأس زئيرهم
هى الثورة البيضاء ماشاهما دم
فقد بعثوا من رقدة الموت واديا
نخل هراء المرجفين فسا ثنى
وقل للذي تعيشه أضواء نهضة
ترنج عطفاه وجاشت هوادره
تضيق بها يوم الجلاء سرائره
عواطفه جياشة ومشاعره
يكاتم غيظا أو تنور ثوابه
يؤمل يوما أن تقال عواثره
فصحت أمانيه وقرت نواظره
تغنت به أريافه وحواضره
سلسله والغل لانت مكسره
فقد هتكت أستاره وستاره
فهذى معانيه وتلك مظاهره
فهذى مجاليه وتلك مناظره
أوائله يحسده وأواخره
أسوا جرح وادى النيل فالتأم ناغره
وكان سرايا يخدع العين ظاهره
على سوقه السوداء قامت متاجره
بردها مخموره ومقامره
أصيب بها الوادى فضلت مصائره
إذا نكبت فيه فاذا تحاذره ؟
وليس يقوم الشعب مانت ضمايره
وطاحت بعرش الظالمين مقاديره
وباءوا بشؤم طار بالنحس طائره
تهاب بوازيه وتخشى قساوره
فززل مغناه ودكت مقاضره
ولا فارقت غمد السكى بواتره
أعدت له أكفانه ومقابره
أخا العزم يوما جاحد الفضل ناكره
مضى ليلىك الداجى وولت دياجره

يبحث الخطا البعبد موكب نورها ويدفعه قلب الحى ويؤازره
 سيجنى فلا يثنيه هدم معوق ويمضى فلا يلوى على من يكابره
 ومن يجعل الإخلاص رائد عزمه إلى رفعة الأوطان فآله ناصره
 بنى الشرق هذا الغرب ضلاله وأعمته أطماع تظل تساوره
 ودان بشرع الغاب بغيا وشره فضلت عن الحق القويم بصايره
 يعد أساليب الفناء بعلبه هل العلم أن يفنى من السكون عامره ؟
 لقد عزه فى الشرق قوة روحه فراح بأنواع السلاح يفاخره
 إذا العرب الأبحاد فيه توحدت صفوفهمو عادت أمانا مخاطره
 وهذا زمان ليس فيه لأعزل مكان ولا يصغى لشكواه قاهره
 فما ينفع المظلوم منطق حقه ومنطق سفاك الحقوق بواتره
 إذا الذئب لم يسمع لغير ضراعة من الخيل الوانى فما هو عاذره
 هو الحق لا يعطى لذلة طالب وإسكن إذا ضجت غضابا كواسره
 أسود الحى حياكم الأزهر الذى يكبر للبشرى ويهتف شاعره
 به مشعل النور استفاض على الحى سناه وجاب المشرقين مسافره
 وفى ساحه شب الجهاد تحوطه شريعة حق ما تزال تؤازره
 تماثل للبعث الجديد وقد صحت أمانيه واهتزت رجاء منابره
 ألح عليه السقم من طول يأسه وشقت من الحرمان مطلا مرآته
 وأوهن عهد الظلم بأس شيوخه وكان أعز المالكين يحاذره
 وصار يلقي الأمر من كل تابع وكانت على الحكام تلقى أوامره
 أنساه مصر وهى تفخر باسمه ويذكره بالقول لا الفعل ذاكره
 وتمنع دون الجامعات حقوقه وتعطى كما شئت منها نظائره
 إذا ماشكا قالوا عهدناه قانعا تقشفه فى العيش تروى مآثره
 وإن ضاق بالحرمان قيل له اتد وعمله بالزهد من لا يصابره
 أليس لنا حق الحياة كغيرنا وأين سبيل العدل إن جار جآثره ؟
 مضى عهد تفريق الطوائف وانقضى وراح زمان الظلم ، لا عاد غابره
 وأدركه عهد المساواة منصفنا فهل يرتجى فى ظله اليوم كآدره ؟

مقي ينصفوه ينصفوا خير معهد موارد محمود ومصادره
وإن تنهضوه تنهضوا بكمو ويزهى على الماضى ، ويعتز حاضره
وقال السيد جمال عبد الناصر بعد انتهاء كلمات المتحدثين : إخوانى رجال
الازهر :

أحييكم . . . وأعبر لكم عن سعادتي فى هذه الفرصة التى جمعتنا للاحتفال بجله
قوات الاحتلال عن أرض الوطن فى رحبات الازهر .

وفى هذه المناسبة العظيمة ، لا يسعنى إلا ان أذكر لهذا الازهر جهاده على مر
السنين ، فقد حمل الازهر دائما الرسالة ولم يتخل مطلقا عن الأمانة ، وكافح كفاحا
مريرا فى سبيل الحصول على أهداف الوطن . وكفاح الازهر أيام الحملة الفرنسية
معروف ، وكم قاسى رجاله ، وعذبوا وقتلوا وشردوا ، واقتحم المحتلون الازهر فلم
يتوان عن المطالبة بحقوق الوطن . . . واستمر الازهر يحمل الرسالة حتى سلمها إلى
الجيش ، وإلى عربى الذى قام متسلحا بروح الازهر المعنوية إلى جانب القوات
المادية ، يطالب بحقوق البلاد . . . وعند ما وطئت أقدام المستعمر أرض مصر ،
حاول بكل قواته أن يقضى على رسالة الازهر ، كما حاولوا القضاء على الجيش وقوته
ورسالته ، ورغم هذا ، استمر الازهر على مر السنين يكافح . . . فى ثورة ١٩١٩
حمل الازهر العلم ، وقام بأداء الرسالة والأمانة مرة أخرى . وعمل المستعمر على
تفريق الشعب شيئا وأحزابا وتحطيم الجيش وفصله وفصل الازهر عن الوطن .
واليوم وبعد أن قامت الثورة أقول لكم عليكم حمل الرسالة والأمانة مرة أخرى
فان أمامنا عملا شاقا طويلا ، وهذا العمل يطالبكم بأن تجاهدوا من أجل الاهداف
الكبرى التى كافح من أجلها السابقون . ورجال الازهر على طول السنين .

إنتاج الازهر العلمى فى العصر الحديث

فى مكنتات كليات الازهر الثلاث مجموعة كبيرة من الرسائل القيمة التى نوقشت
فى الازهر ، وقدمها أصحابها للحصول على العالمية من درجة أستاذ ، ونال مقدموها
هذه الدرجة العلمية الرفيعة ، وشغل بعضهم مناصب التدريس فى الكليات الازهرية
وكذلك فى مكنتات الكليات توجد طوائف كبيرة من رسائل حاملى شهادة
التخصص القديم ، الذين تولى أكثرهم المناصب الادارية فى الازهر ومناصب التدريس
فى الكليات والمعاهد الثانوية الازهرية .

وفي مكتب شيخ الازهر يوجد رسائل علمية قدمت لنييل عضوية جماعة كبار العلماء في الازهر الشريف ، وهذه الرسائل على جانب كبير من الالهمية العلمية والدينية .

ولو عني الازهر بنشر هذه الرسائل كلها ، أو جلها لسدت فراغاً كبيراً في الثقافة الاسلامية ، ومثلت إنتاج الازهر العلمي في العصر الحاضر في صورة مشرقة زاهية - وهذه الرسائل إلى جانب ما نشره أساتذة كليات الازهر من دراسات وبحوث وكتب ثقافية وعلمية ، تمثل الازهر تمام التمثيل في فترة من أعجب الفترات التي مر بها في تاريخه الطويل .

والذين يشككون في أهمية الازهر الثقافية والعلمية ، عليهم أن يطالعوا على إنتاج شيوخه العلمي قبل أن يحكموا له أو عليه ، وللأسف فإن جل إنتاج الازهر العلمي لا يزال مخطوطاً ، وتحتوي مكتبة الازهر على الكثير من المؤلفات المخطوطات التي ألفها علماء الازهر في العصور السابقة ، وأغلب مؤلفات الازهريين المتقدمين قد ضاع أو بدد ، وما بقي منه يحتوي على كنوز ثمينة عظيمة القيمة العلمية .

وإذا كانت بعض مؤلفات علماء الازهر في العصور القديمة قد كتبت بأسلوب عتيق ، على الرغم مما فيها من ثروة علمية لا تقدر بقيمة ، فإن الأمل معقود على أساتذة كليات الازهر ومعهده لكي ينهضوا لتحقيق هذه الكتب ، وإخراجها في ثوب علمي جديد ، حتى يتسنى للامة وللعلم الاسلامي الانتفاع بما فيها من ثقافات واسعة ذات قيمة كبيرة ، ولا بد أن تقوم مطبعة الازهر للتمينة على نشر تراث الازهر العلمي القديم والحديث بإشراف وتوجيه جماعة من أفذاذ علمائه .

ومن بين رسائل الاستاذية المخطوطة رسالة نفيسة عنوانها : « أثر الازهر في النهضة الادبية الحديثة » ، للاستاذ محمد كامل الفقي المدرس في كلية اللغة العربية . ورسائل في الادب والبلاغة وأصول النحو ومذاهب النحويين لاساتذة يحملون شهادة العالمية من درجة أساتذة ويتولون التدريس في كلية اللغة العربية اليوم . . . ورسائل أخرى في الفلسفة الإسلامية وأصول الدين ، وفي علوم الشريعة الإسلامية .

كلية اللغة العربية تنشيء صحافة أزهرية

أخرج الأديب موسى صالح شرف الطالب بكلية اللغة العربية مجلة باسم صوت الازهر في ٣ يناير سنة ١٩٥٣ - الموافق ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٧٢ ولا تزال

هذه المجلة توالى الصدور . . . وكتب المؤلف كلمة في عددها الأول بعنوان « صوت الأزهر الخالد » وكانت المجلة تنشر مقالات وأحاديث للمؤلف أيضاً ، وقد خرج على أثرها مجلة أخرى في كلية اللغة باسم « النهار » ، وفي الأزهر قبل هذه المجلة « مجلة الأزهر » ، وهي مجلة رسمية تمثل الأزهر ، وينشر على صفحاتها شيوخ الأزهر وأساتذته المقالات والأحاديث العلمية والدينية ، ويرأس تحرير هذه المجلة كبار العلماء في الأزهر ، وهناك (مجلة نور الإسلام) وهي لسان حال وعاظ الأزهر الشريف وتؤدي رسالتها في محيط الوعظ والإرشاد . . . وكونت في العام الماضي أسرة للصحافة بكلية اللغة العربية وأصدرت جريدة حائط ، وفي هذا العام تخرج مجلة شهرية لأبناء كلية اللغة العربية ، وكونت لجنة للإشراف على هذه المجلة من حضرات الأساتذة أصحاب الفضيلة : الشيخ كامل حسن وكبل السكية ، ومحمد عبد المنعم خفاجي ، وعبد الخالق سليمان ، وحسن جاد ، ويوسف البيومي . . .

وتألفت لجنة من طلاب السكية لإصدار هذه المجلة مكونة من الأدباء : موسى صالح شرف وحسن عفيفي ومحمود محبوب ورشيد أبو الفتوح الليثي وعمر عطيه ومنجود محمد وكمال كامل حسن وأحمد الصاوي ، ويصدر العدد الأول من هذه المجلة في يناير عام ١٩٥٥ ! !

وقد أخذت المعاهد تسير على ضوء كلية اللغة العربية ، فصدرت مجلات أخرى لمعهد أسيوط ومعهد طنطا ومعهد دمياط .

شخصيات ازهرية معاصرة

الشيخ محمد عرفه

هو شيخ جليل ، ومفكر ناب ، له مكاتبة عالمية في الأزهر ، وتلاميذه الكثيرون ولا نجد في تاريخ حياته خيراً مما أرخ به هو لنفسه في مقالة نشرتها له المصري بعنوان « الدين والحياة والأزهر » ، في يونيو عام ١٩٥٢ وهي من سلسلة مقالاته التي كتبها يرد فيها على الأستاذ أمين الخولي الذي نشر سلسلة مقالات في « المصري » ، ندد فيها بالأزهر وتأخره عن أداء رسالته ، قال الشيخ محمد عرفه :

كنت بصدد أن أثبت أن الأزهر شعر بحقيقة الدين المشرقة المتساحة التي تدعو إلى الإخاء الانساني والتعاون البشري وأنه تعدى دائرة الشعور إلى دائرة التنفيذ ، واستدلت ببحث كنت كتبته في العلة في مشروعية الجهاد ، أهى الكفر أم عدوان الكافرين على المسلمين ، فاستخلصت من بين الأقوال المختلفة أن العلة هي العدوان ، فإلم يعتقد المخالفون في الدين على المسلمين فلا جهاد ولا قتال ، وبذلك كانت العلاقة الخارجية بين المسلمين وأمم الأرض هي السلم لا الحرب ويتبع ذلك ما يتبعه مما يكون بين المسلمين من المحبة والتعاون والإخاء ، وجمعت بين الأدلة المتعارضة الظاهرة على هذا الأساس من كتاب الله وأحاديث رسول الله ، فاستقامت ككعب الرمح على توال واتساق ، وإني أعزب هذا البحث وأرائي قد خدمت به المسلمين بخاصة والإنسانية بعامة ، وكنت أذيع هذا البحث في دروسى ومجالسى .. وإنما كنت بهذا الصدد لا أزد على من قال ان الأزهر لم يشعر بالدين الاسلامى المنتظر الذى يدعو إلى الإخاء والتعاون ، وقد نهته فلم يتنبه وهو لا يطمع في التنفيذ . فكسب الأستاذ الشرقاوى في « المصري » ، يشكك في قيمة هذا الدليل دون أن يبين الأسباب ، ونقل الكلام إلى أن الأزهر لا يشارك في المواضيع التي تهم الأمة وليس كغيره من علماء الأديان الأخرى الذين يشاركون مشاركة فعلية وقولية في كل شأن من الشؤون وضرب أمثلة برجال الدين في جوية قبرص حيث خطب أحدهم يطلب الانضمام إلى اليونان ودقت

الكسائس أجراسها احتفالاً بالخطيب ، وذكر أن الباطل طلب تعاون الاسلام والمسيحية لمقاومة الشيوعية وتحدث بذلك سفير مصر في الفاتيكان ولم يحرك الازهر ساكناً ، والبعثة التي جاءت إلى الاديرة في سيناء لتحقيق الوثائق التاريخية لم يدرسها معها ولم يشارك في هذا التحقيق .

واني أقبل أن ينقل الحوار إلى هذه الناحية وأذكر أن الازهر شارك في الاحداث الجسام فكان مهد الحركة الوطنية ومنبع الثورة في سنة ١٩١٩ وظل مدة الثورة يلهب النفوس بالحماسة الوطنية ، وكان منبرا للخطابة وتوجيه الثورة ، وكان أهل الاقاليم يأتون إليه فيعمر قلوبهم بالإيمان الوطني ، ويزودهم بالرأي الناصح والمشورة النافعة ، وقد نبه إلى ذلك اللورد ملنر في تقريره . أما مسألة الشيوعية فاني أذكر اني قرأت في الجرائد أن أساقفة الكسائس اجتمعوا تحت رئاسة رئيس أساقفة كانتربري وقرروا أن الشيوعية تخالف المسيحية لانها تنسك وجود الله والحياة الآخرة وتوقد نار الحرب بين الطبقات الخ . . فما ان قرأت ذلك حتى عرضت مبادئها على قواعد الدين الاسلامي وذكرت مواضع الخلاف ونشرت ذلك بعض الصحف .

وأرى المساجلة مستضطرنني إلى ذكر بعض ما شارك به الازهر في المسائل التي تهم الامة في شخص أحد أبنائه كاتب هذه السطور ، ولولا موضع الحجة لما استبحت ان أنطق بكلمة ، واني أذكرها مع الخجل والاستحياء :

١ - رأيت الاسر المصرية كما قلت في حينها سنة ١٩٢٢ بمدرجة السيول ، ومهب الرياح ، تقوضها الريح إذا هبت ويذهب بها السيل إذا جرى ، يبيع الرجل أو يشتري فيقسم على سلعته بالطلاق كذباً لترويج سلعته فإذا امرأته طالق - يغضب الرجل والغضب غول يغتال العقل فيطلق زوجته ثم يبقى نادماً على بيت هدمه وابناء شتهم - يطلق الرجل امرأته ثلاثاً في لفظ واحد فتبين منه ، ويندم ولات ساعة مندم .

رايت ذلك فنظرت في الشريعة الاسلامية وأقوال الماضين فرأيت الرسول يقول : لا طلاق في إغلاق - أي غضب - وإذا من الأئمة من يرى أن يمين الطلاق التي الغرض منها الحث على شيء أو النهي عنه لا تقع طلاقاً وإذا القرآن يوجب ان تطلق المرأة لعدتها طلقة واحدة وان تبقى في بيت الزوجية ، فإذا بلغت الاجل فاما ان يعاشرها بالمعروف او يفارقها بالمعروف ، وعلل ذلك بقوله - لعن الله يحدث بعد ذلك امراً - فيعطف قلبه بعد نفور ، فجعل الله سعة في مراجعة ما كان منه ،

وكان الطلاق على عهد رسول الله وأبي بكر وستين من خلافة عمر طلاق الثلاث طلقة واحدة فامضاه عليهم عمر فكتبت ذلك كله في مقال وأشرته بامضاء - م . ع فنارت نائرة بعض المحافظين وردوا على ذلك ، ولكنها كانت حجرا ألقى في الماء الرافد فنهت الأذهان وفعلت فعلها حتى صدر قانون المحاكم الشرعية بعد ذلك مطابقا لكل ما اقترحه . . فان كان ذلك قد حفظ الأسرة المصرية من التدهار والانهيار وحفظ الأبناء من الشتات والضياع ، فعند الله أحسب ما صنعت وأدخر ما قدمت .

٢ - كتبت في فتنة القبعة وكنت أريد أن أحفظ على المسلمين شخصيتهم ، ورددت على القائلين أنها لباس المتقدمين في العلم والحضارة ، فقلت ليس التقدم بتغيير لباس الرأس وإنما هو بتغيير ما في الرأس ، واعمدوا إلى رؤسكم فمظفوها من الخرافات وحلوا بالعلوم والمعارف بذلك وبذلك وحده تتقدمون .

٣ - حاضر الدكتور غري فهاجم الاسلام في أمور كثيرة : منها جعله المرأة على النصف من الرجل في الميراث ، فدعا الأزهر الشيوخ والنواب ورجالات العلم إلى سماع محاضرة في قاعة المحاضرات بدارالعلوم ، فقامت فالتقيت هذه المحاضرة ، وكتب المحرم المهياوي في شأنها يقول : هذه أول مرة يستمع الناس فيها إلى محاضرة تمكث ساعتين بدون سأم ولا ملل .

٤ - زعم مرقص باشا سميكة في التقويم السنوي للحكومة أن المعز لدين الله الفاطمي تنصر وقضى بقية أيامه في كنيسة سيفين ، فكتبت أرد هذه القرية بالأدلة التاريخية القاطعة فلم يسع الباشا إلا أن يعلن في الصحف أنه أمام هذه الأدلة يرجع عن رأيه .

٥ - كتبت في تفسير آيات الأحكام وعرضت للوصية وما ثبت من أنه لا وصية لو ارث ، وبينت أن صاحب المال قد يكون بعض أبنائه بررة به ، وبعضهم يعقونه ، فيريد أن يوصي للبررة بفضل في ماله ، وهذه إرادة مشروعة عقلا فكيف يحرم منها وبينت بعض المذاهب التي تجيز ذلك وقد نشرت أمثال هذه البحوث بجريدة البلاغ ، فجاءني المحرم أحمد بك قمحة - وكيل مدرسة الحقوق وقتئذ - وقال : جئتك على غير معرفة سابقة لا تعرف بك ، وقال لو كتبت الشريعة بهذا القلم لرفع الخلاف بين الشريعة والقانون .

٦ - كتبت كتاب نقض مطاعن في القرآن الكريم للرد على الأفكار التي كانت تذاع في الجامعة مما تطعن في القرآن الكريم ، ورددت على كتاب الشعر الجاهلي ،

وكتبت مقالات في الرد على ضمير الغائب واستعماله اسم إشارة .

٧ - أخرجت كتاب « النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة » للرد على كتاب إحياء النحو ، وكتب بعض شيوخ الأزهر السابقين له مقدمة يظهر فيها الإعجاب والتقدير ، وذكر لي بعض أصدقائي أن رحالة من النحويين جاء إلى مصر ، وبحث عني وقال : جئت إلى مصر وغايتي منها أن أرى صاحب كتاب النحو والنحاة . . .

٨ - كتبت السر في انتشار الاسلام وهي رسالة كلفتني بها جماعة كبار العلماء لحاية الاسلام وقد طبعها الأزهر وترجمت إلى اللغة الفارسية والصينية .

٩ - أخرجت كتاب اللغة العربية - لماذا أخفقنا في تعليمها - وكيف نعلمها - هديت فيه إلى الطريق الطبيعي لتعليم اللغات عامة واللغة العربية خاصة - وقد نشر قبل ذلك مقالات في مجلة الرسالة - وقد لخصه العالم الجليل عبد القادر المغربي ونشره في مجلة المجمع العلمي بدمشق ، وقدم له بحث المدارس في بلاد العرب على الاخذ بما فيه ليكسبوا ملكة التكلم والكتابة باللغة العربية . . .

١٠ - حملت على الشعر الفاسق حملة شعواء ، لأنه يزين الرذيلة والخراب ويفسد الشباب ، وكان ذلك في حفل تأبين المرحوم شوقي بك وفي مؤتمر الثقافة العربية المنعقد ببلبنان سنة ١٩٤٧ ، وطلبت أن تكون المختارات للطلاب في دور العلم من الشعر العفيف وكان أيضا في محاضرات ألقيتها في مشاكل الشباب في محطة الشرق الادنى ، وحملت على الأغاني الخليعة والروايات المفسدة للاخلاق والصور العارية في المجلات والجرائد والنساء الكاسيات العاريات في النوادي والشوارع ، وناشدت المجتمع أن يرفق بالشباب اذ يعرض أمامه كل هذه المفاتن ويطلب منه الصون والعفاف .

١١ - واليت أحداث مصر فكنت أكتب في كل مناسبة أرى الرأي النافع فادلى به وأدعو إليه فكنت في فتنه الزقازيق ودعوت إلى الصفاء والوثام بين عنصري الأمة ، وبينت أن الاسلام جعل لهم مالنا من حقوق وعليهم ماعلينا من واجبات ، وكنت أكتب في المناسبات الدينية كالهجرة والمولد ، وأحث على فضيلة اجعلها نصيحة العام ، وكنت أو من بالوحدة ويمنها وأكره الفرقة والانقسام فكنت أخوف منهما وأحث على التعاون والوحدة ، ولقد قلت في بعض ما كتبت إنكم لو خسرتم كل شيء وربحتم الوحدة فقد ربحتم كل شيء ، وإذا ربحتم كل شيء وخسرتم الوحدة فقد خسرتم كل شيء .

١٢ - كتبت رسالة الأزهر في القرن العشرين ودرست فيها الأزهر وعالاه

ووصفت له أداء رسالته ، وكان فيما عرضت له فيها - إضراب الشباب - فقد رأيت الشباب في الازهر وفي دور العلم والجامعات قد هجر الدروس واعتاد المظاهرات والاعتداء على الاملاك العامة ، ورأيت ان هذه الحالة تخرج جيلا جاهلا اعتاد الفوضى وعدم احترام القانون من حيث تجعل المدارس مكانا للتعليم والترية والتعود على النظام واحترام حقوق الغير ، فإذا خرج هؤلاء واولئك عن الجادة فمن سعة الله ان يغلب العلم الجمل ، والنظام الفوضى ، والفضيلة الرذيلة ، وبحث في سبب ذلك وعلته فإذا هي السياسة الحزبية دخلت دور العلم وأخذ كل حزب فريقا يشغب به إذا اراد الشغب . وعلمت اني بذلك اغضب الاحزاب والحكومات التي تستند إليها فترفت وبنيت ان ذلك واجب ديني ، وانى اكون من الخائنين للامة وللشباب ومن يكتسبون ما أنزل الله من البينات والهدى اذا كتمت هذه النصيحة ، فلم يجد كل ذلك فعزلت من وظيفة مدير الوعظ والارشاد في سنة ١٩٤٨ لقيامى بهذا الغرض الديني . النصيحة لله وللرسول ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وقد تبذلت الجهود وولى الوزارة حزيون ومستقلون ولم يغير هذا الظلم حزبي ولا مستقل ، كأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جرم لا تقال عثرته ولا تقبل توبته ، ولست في ذلك بغاضب ولا متسخط بل ربما كنت راضيا بالقضاء فيه لما أرجو من ثوابه وجليل جزائه :

ولست أبالي حين أقتل مسلما على أى جنب كان في الله مصرعى وإنما الذى أريد أن أقدم نصيحة أخرى ولا أدري ما عاقبة هذه النصيحة أيضا إن المنافسة كثيرا ما تكون بين أبناء الطائفة الوحيدة وكثيرا ما تكون غير مشروعه فيسكيد بعضهم لبعض عند أولى الأمر ، ويصورون الناصح الشفيق بصورة العدو الضار ، ويزعمون الخير الصرف شرا بحتا ، ولو تنبه أولو الأمر لهذا الباب لما أصابوا بريثا .

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضان من فرائض الاسلام كالصلاة والصوم ، فالعقوبة عليهما كالعقوبة على أداء الصوم والصلاة ، ولا يصح أن يكون ذلك في بلد إسلامي كمصر .

إن العصر الحاضر لا يحترم شيئا كحرية الرأى ، لأنه يراها السبيل الوحيد لتقدم الانسانية ، وليس أدل على تأخر بلد من الحجر على الحريات ، فإذا شاءت مصر أن تكسب احترام الدول فلتعمل على احترام الآراء فيها . .

إن أولى الأمر في مصر إذا ظلوا يخنقون الرأى ويضيقون بالنقد ، فإن ليل التأخر

باق وطويل ونجر الاصلاح بعيد جد بعيد .
تلك شقشقة هدرت ثم قرت ، وثورة هاجتها الذكري ثم سكنت فلا رجع إلى
ما كنت فيه .

ماذا أريد أن أقول - أريد أن أقول هذه بعض مشاركات شارك بها فرد واحد
من أفراد الأزهر فهل ترونها مشاركة عن فهم وإدراك وتبصر وشجاعة حتى إنها عصفت
بصاحبها ، ورمته خارج الأزهر ، هل ترونها حركات إصلاحية تولى صاحبها قيادتها
وقام بتوجيهها ، وهل ترون فيها إنتاجا عقليا ينير عقول الناس ويتركهم خيرا
بما كانوا ؟

فإذا كان هذا مقام به أزهري واحد فهل يسوغ أن يقول قائل إن الأزهر لا يشارك
الامة في عواطفها ، ولا يقوم بحركة من حركات الاصلاح فيها ، ولا ينتج إنتاجا عقليا
ينير العقول ويرضى النفوس . . .

هذا والشيخ محمد عرفة من أكثر علمائنا نشاطا وإنتاجا وجهاداً وبلاء في سبيل
الدين والأزهر

خدم الثقافة في الأزهر مدة طويلة ، ومنذ عام ١٩٣٠ اختير أستاذاً للشرعية
الاسلامية بكلية الشريعة ، ثم وكيلاً للكلية ، ثم عضواً في هيئة كبار العلماء التي ألغت
لنشر الدعوة في سبيل الله وللمقاومة التبشير ، ثم اختير أستاذاً للفلسفة بكلية اللغة
العربية ، ثم أستاذاً للبلاغة في تخصص الاستاذية بالكلية نفسها ، واختير عضواً في
مجلس إدارتها ، ومنح عضوية جماعة كبار العلماء ، ثم اختير مديراً للوعظ عام ١٩٤٦
وأنعم عليه بكسوة التشرية العلمية من الدرجة الأولى ، ثم اختير مديراً لمجلة الأزهر
ثم اختير أستاذاً ذا كرسي في كليات الأزهر الشريف .

وله كثير من المؤلفات والبحوث الدائنة ، كنقض مطاعن في القرآن
الكريم ، ومؤلف في تفسير آيات الأحكام ، والسفر في انتشار الاسلام ، والنحو
والنحاة ، الذي منح به عضوية جماعة كبار العلماء ، وآخر كتاب له « مشكلة اللغة
العربية » ، هذا إلى كثير من البحوث والمحاضرات والمقالات .

والأستاذ عرفة ، بحق عالم متضلع ، وباحث دقيق ، ومفكر واسع التفكير
كثير الاحاطة بآثار القدامى وبشتى الثقافات الحديثة ، وهو من صفوة العلماء الذين
يفخر بهم الأزهر ، ويعتز بجهادهم العلمي ومكانتهم العلمية الكبيرة ، ويجمع إلى ذلك
كله التواضع والنبيل وعظمة الخلق وجلال العلماء ووقار المرشدين .

الشيخ صالح شرف

هو الشيخ الأستاذ الكبير صالح موسى حسن أحمد شرف عضو جماعة كبار العلماء والسكرتير العام للأزهر الشريف .

ولد في بني عديات الوسطانية مركز منفوط مديرية أسيوط يوم ٤ يوليو سنة ١٨٩٤ ، والتحق في السابعة من عمره بمكتب الدريد وتعلم القرآن الكريم وحفظه وفهم أحكامه وتجويده وسنه لا تتجاوز الثالثة عشرة ، التحق بالأزهر الشريف في المحرم ١٣٢٧ الموافق ١٩٠٨ ، وتلقى العلوم الدينية والعربية على أفاضل العلماء ، ومنهم الشيخ عبد الحكم عطا والشيخ حسن الحواتكي والشيخ أحمد هيكل والشيخ محمد حسنين والشيخ حسنين محمد مخلوف والشيخ يوسف الدجوى والشيخ حسن مدكور والشيخ البراد والشيخ عطا المرصني والشيخ محمد البرادى ، ثم نال الشهادة الأهلية عام ١٣٣٥ هـ ، ونال جوائز مالية كانت تعدها مشيخة الأزهر للمتفوقين في علوم التوحيد والفقه والأصول والأشياء ، ونال الشهادة العالمية سنة ١٣٤١ الموافق ١٩٢٤ وكانت لجنة الامتحان مكونة من أصحاب الفضيلة الشيخ عطا المرصني رئيسا والشيخ محمد السرق والشيخ البراد والشيخ الغريب والشيخ المرشدى والشيخ عبد المقصود الفشنى ، وحضر الامتحان الشيخ عبد المجيد اللبان والشيخ صادق عزام وحصل على الشهادة العالمية وكان ترتيبه الثالث من ١٤٣ متخرجا ، وعين إماما ومدرسا وخطيبا في مسجد بمديرية المنيا ، ثم نقل من هذا المسجد إلى المسجد الاموى بأسيوط في يناير ١٩٢٦ ودخل مسابقة امتحان في التاريخ اعلنها الأزهر لاختيار مدرسين بالأزهر ونجح فيها بتفوق ، ثم عين مدرسا بمعهد أسيوط الدينى في عام ١٩٢٧ ونقل في عام ١٩٣١ إلى معهد الزقازيق ولكنه لم يمكث به الا شهرا ، ثم عاد إلى معهد أسيوط مرة ثانية ، ومكث مدرسا بمعهد أسيوط منذ تعيينه حتى عام ١٩٣٨ ، ونقل في عام ١٩٣٨ إلى كلية أصول الدين للتدريس بها ، ثم انتدب وكيلا لمعهد الاسكندرية الدينى في عام ١٩٤٤ ومكث بالمعهد سنتين ، وعاد إلى كلية أصول الدين مرة ثانية في ١٩٤٦ ، ثم عين شيخا لرواق الصعايدة في عام ١٩٤٨ ، وانتدب شيخا لمعهد أسيوط الدينى في عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٥٢ ، وعين عضوا في جماعة كبار العلماء في عام

١٩٥١ ورجع إلى كلية أصول الدين في عام ١٩٥٢ .
عين سكرتيراً عاماً للجامع الأزهر والمعاهد الدينية في عام ١٩٥٣ وعين عضواً
بالمجلس الأعلى للأزهر في أكتوبر ١٩٥٤ ، ولا يزال يلقي المحاضرات العلمية على طلبة
كلية أصول الدين .

الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد

من كبار الشيوخ الأزهريين ، وأكثرهم إنتاجاً وتأليفاً ، وأذيعهم شهرة وذكرًا
في العالم الإسلامي ، والكتب التي حققها ونشرها وألفها تزيد اليوم على مائة كتاب
ومن بينها العديد من الكتب الدراسية في الأزهر الشريف ، وطائفة من أصول
كتب البلاغة والتاريخ والأدب والنقد .

والشيخ محمد محي الدين يتولى اليوم مشيخة كلية اللغة العربية إحدى كليات الأزهر
الشريف ، وقد تخرج من الأزهر الشريف عام ١٩٢٥ ، وتولى التدريس في الأزهر
ثم اختير أستاذاً في كلية اللغة العربية منذ إنشائها ثم وكيلاً لها ، ثم ندب مفتشاً
بالأزهر الشريف ، فاستأذنا لكرسي الشريعة الإسلامية في كلية غردون بالخرطوم ،
ثم استأذنا للفلسفة في كلية أصول الدين ، ثم رئيساً للتفتيش على العلوم العربية والدينية
في الأزهر ، ثم عميداً لكلية اللغة العربية ، وكان والده من خيار الشيوخ الأزهريين
وتولى قبل وفاته منصب مفتي وزارة الأوقاف وكانت له في الناحية الدينية والإسلامية
آثار عديدة .

وقد مثل الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد الأزهر في كثير من المؤتمرات الأدبية
والثقافية والدينية ، وهو في طليعة الشيوخ الذين لهم فقه باللغة العربية وأصولها
وآدابها ، وفي مقدمة الأساتذة الذين شاركوا في دعم كيان الأزهر العلي في نهضته
الحاضرة .

الشيخ محمود شلتوت

هو أحد أعضاء جماعة كبار العلماء البارزين ، وله الكثير من الإنتاج العلمي
والديني القيم ، وطائفة من المقالات والأحاديث الإسلامية الجديدة في أسلوبها
ومنهجها وطريقة تفكيرها . . . والشيخ محمود شلتوت من أسير علماء الأزهر ذكراً ،
وأذيعهم شهرة ، وأكثرهم تقديراً من شتى البيئات العربية والإسلامية ، وقد تخرج
من الأزهر من نحو ثلاثين عاماً ، وعين مدرسا فيه ، ثم استأذنا في كلية الشريعة

الإسلامية ، فوكيلا لها ، ففتشا في الأزهر الشريف ، فعضوا في جماعة كبار العلماء ، وعضوا في لجنة الفتوى بالأزهر ، فمرافبا عاما للبحوث والثقافة في الأزهر ، وقد مثل الأزهر في كثير من المؤتمرات العربية والإسلامية ، وهو من تلامذة الشيخ عبدالمجيد سليم الأوفياء ، ومن درسوا أفكار الامام محمد عبده الاصلاحية التجديدية وتأثروا بها .

الشيخ محمد كامل حسن

في عام ١٩٣٦ اختير الشيخ أستاذًا في كلية اللغة العربية من بين زملائه أساتذة المعاهد الدينية ، وسمعنا منه الكثير من المحاضرات في شتى العلوم العربية ، وتلقى عليه كثير من الذين تخرجوا في الكلية والتحقيقا بشتى المعاهد والمدارس ، وقد راعنا من الشيخ سعة أفقه ، ودماثة خلقه ، ووداعة نفسه .

وفي عام ١٩٤٨ اختير - ثقة به - للتفتيش في الأزهر في العلوم الدينية والعربية ، وفي عام ١٩٤٩ اختير وكيلا لكلية اللغة العربية بعد وفاة وكيلها الخالد الذكر المغفور له الشيخ محمد أبي النجا ، وبعد أن ذهب وفد من أساتذة الكلية وعميدها آنذاك إلى شيخ الأزهر المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوى يطلبون منه اختياره لوكالة الكلية ، وقالوا له : إنه سيكون خير خلف لخير سلف ، فاستجاب شيخ الأزهر مسرورا لهذه الرغبة ، وتم ذلك بقرار مجلس الأزهر الأعلى الصادر في مارس سنة ١٩٤٩

وقد وقف الشيخ حياته على خدمة الكلية ، ورفع مستواها العلمى والادبى في إخلاص ومحبة وصدق وتعاون مع الجميع ، وقد عدلت مناهج الكلية مرارا بإشرافه حتى سارت أحدث المناهج في كليات الاداب والتربية الجامعية المختلفة . . وقد مثل الأزهر والكلية في كثير من المناسبات وكثير من اللجان ، فكان يرفع دائما من كرامة الأزهرى ، ويعزز الثقة فيه ، مع تواضع المعتز بنفسه . وكثيرا ما يعمل الشيخ فلسفته في التواضع بهذه الحكمة : « إنما يتدلى من الشجرة فرعها المثمر ، .

وقد ولد الشيخ في يوم ٦ من يونيه سنة ١٨٩٥ وكان والده أزهري النشأة ، فعنى بتربيته وتحفيظه القرآن الكريم ليكون طالبا بالأزهر ، وأتم تجويد القرآن في الأزهر سنة ١٩١٠

وفي سنة ١٩١١ انتسب إلى الازهر طالبا في بدء النظام الذي وضع له القانون رقم ١٠ عام ١٩١١ وعرف بنظام الشيخ محمد شاكر ، لأنه الذي وضع أسسه ورسم خطته وبدأ بتنفيذه واختار له المدرسين الناهين النابغين ، وكان لهذا النظام ثلاث مراحل (ابتدائي وثانوي وعال) ومدة كل مرحلة خمس سنوات دراسية - لهذا كان أول فوج تخرج في هذا النظام سنة ١٩٢٥ ، وكان الشيخ من أوائل الناجحين في جميع سني دراسته بهذا النظام

وعين مدرسا سنة ١٩٢٥ عقب تخرجه بمعهد طنطا ، ثم نقل إلى معهد دسوق ثم الزقازيق .

وكان في كل مكان قدوة عالية لرجل الدين المثقف المستنير ، الحريص على أداء رسالته ، وعلى تعزيز ثقة المجتمع به ، ورأس لجان الامتحان للشهادات الازهرية الكبرى ، فكان مثالا عاليا للنزاهة والكفاية وحسن السمعة بين الناس ، ومع أعماله الادارية الكثيرة فهو يشغل اليوم كرسيها علميا في الكلية ويقوم بنشاط علمي كبير محمود بين الاساتذة والطلبة ، ويعده الطلاب أبا روحيا ، كما يعده الاساتذة زميلا حميما لهم ، وقد حاز ثقة شيوخ الازهر على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم ، ونوهوا بكفايته وأمانته وحرصه على أداء الواجب في مناسبات كثيرة ، وقد شهدت الكلية منذ عام ١٩٥٣ نشاطا رائعا بفضل وتوجيهه ، وشهدت في أوائل عام ١٩٥٤ ميلاد صحيفة يومية داخلية كاملة يكتبها الطلبة بأيديهم ، وميلاد صحف مطبوعة ، وذلك بفضل يقظته وتوجيهه ورعايته . . . والشيخ من أحب علماء الازهر إلى قلوب الناس والطلاب ، وهو في ورعه وتقواه قدوة طيبة .

الشيخ حسين خفاجي

كان والده السيد محمد خفاجي (١٢٧٧هـ - ١٩٤٠م) من كبار الصوفيين الزاهدين في ثغر دمياط - وقد ولد الشيخ حسين في يونيو عام ١٨٩٦ ، وتخرج من الازهر في فبراير عام ١٩٢٣ بعد أن نال العالمية بتفوق ، وتنقل في الوظائف الادارية بالازهر الشريف ، وهو اليوم كبير المراقبين في كلية الشريعة الاسلامية ، التي اختير لها منذ إنشائها ، وله فيها أياد تذكّر بالتقدير من جميع شيوخ الازهر الشريف . . .

ترجمة المؤلف

فى كتاب بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والادبى الترجمات المستفيضة للعلماء والادباء الخفاجيين فى شتى العصور إلى العصر الحديث ، بما فيهم المؤلف ، وقد صدر منه تسعة أجزاء ، وسيطبع باقى الكتاب فى ستة أجزاء أخرى .
ويصدر الاديب الكبير حليم مبرى كتابا ضافيا واسعا ، يترجم فيه المؤلف ، ولآثاره العلمية والادبية ، وسيصدر خلال هذا الشهر

الشيخ عبد المتعال الصعیدی

من الشيوخ الثائرين فى الازهر ، ذوى الاراء الاصلاحية التقدمية ، وهو من بينهم يمتاز بميل إلى التجديد ، وعكوف على البحث والتأليف .
ولد (١) فى قرية « كفر النجبا » من أعمال مركز أجا بمديرية الدقهلية عام ١٣١٣ هـ - ١٨٩٤ م ومات والده وهو ابن شهر ، فكفله والدته ، وتعلم فى كتاب القرية .

ثم انتسب إلى الجامع الاحمدى ، فدرس فيه على النظام الحديث وأظهر تفوقا فى الدراسة ، ويقول فى ترجمته لنفسه فى تاريخ الاصلاح فى الازهر (٢) :
تابعت دراسى فى جد واجتهاد ، حتى كنت أول الناجحين فى أغلب سنى الدراسية ، فإذا لم أكن الأول كنت الثانى أو الثالث ، لأنى كنت على انتقادى الآن لطريقة التدريس القديمة آخذ نفسى بأقصى ما نصل إليه فى البحث اللفظى والمعنوى ، حتى كان الدرس يمضى فى عراك على بينى وبين المدرس ، ولهذا كنت موضع تقدير أساتذتى وحبهم ، ومن أشهرهم الشيخ محمد الشافعى الظواهري ، والشيخ محمد الاحمدى الظواهري . ولكنى كنت مع هذا شديد الشغف بمطالعة كل ما تظهره المطبعة من كتب الأدب والفلسفة وغيرها ، فكنت أطالع كل كتاب قديم أو حديث تظهره المطبعة ، وأطالع المجلات العلمية والأدبية ، وكذلك الجرائد اليومية ، ولا سيما جرائد الحزب الوطنى الذى كان يقوم بالجهاد السياسى فى ذلك الوقت ، فكنت ألتقى فى هذه الجرائد دروس الوطنية ، وكانت تغرس فى نفسى حب الجهاد فى سبيل الوطن ، ولقد

(١) ص ٩٠ تاريخ الاصلاح فى الازهر للصعیدی - الطبعة الاولى .

(٢) ص ٩٣

كنت وأنا تلميذ بالكتاب آخذ نفسي بالمطالعة ، فكنت أطالع الكتب القصصية الشائعة في القرى ، ولا سيما قصة عنتره العيسى ، فقد طالعت فيها كثيراً ، وأعدت قراءتها نحو أربع مرات ، ولعل هذا هو الذي ربي في حب المطالعة بعد أن صرت طالباً بالجامع الاحمدى ، وقد أخذت شهادة العالمية على النظام الحديث في سنة ١٩١٨ م (١٣٣٦ هـ) ، وعينت فيها مدرساً بالجامع الاحمدى بعد امتحان مسابقة جرى بين أكثر من مائة عالم نظامى في نحو عشر وظائف ، فنجحت فيه أنا وعالم آخر ، وسقط فيه الباقيون لصعوبته .

وألّف كتاباً سماه د نقد نظام التعليم الحديث للأزهر الشريف ، ، وأهم بحوثه كما يقول الشيخ نفسه :

- ١ - كلية في نقد قانون التخصص .
- ٢ - تمهيد في بيان الحاجة إلى الإصلاح ، وفائدة العلوم الحديثة في الدفاع عن الدين ، وفي بيان قصور النظام الحديث عن الإصلاح المطلوب .
- ٣ - الموازنة بين العهد القديم والنظام الحديث ، وخلاصتها أن الفرق قليل جداً بينهما ، لأن النظام الحديث لا يزال يعتمد على كتب العهد القديم ، وعلى طريقة التدريس القديمة ، ولا يمتاز النظام الحديث عن العهد القديم إلا بدراسة بعض العلوم الحديثة التي تدرس في المدارس الابتدائية والثانوية ، وهى دراسة ناقصة لا تناسب المعاهد الدينية ، ولا تحقق الغرض المقصود منها فيها ، وهو استخدامها في الدفاع عن الدين ، وكان الواجب أن تدرس على نحو ما تدرس في الجامعات الكبيرة في أوروبا ، لأنها تدس فيها دراسة جامعية ، ولا يصح أن يقصر الأزهر في دراستها عن هذه الدراسة ، لأنها هى التي تليق بأقدم جامعة علمية دينية .
- ٤ - نقد كتب الدراسة ، وخلاصة نقدها أنها من كتب المتأخرين ذات المتون والشروح والحواشى والتقارير ، ولما كانت متونها غامضة معقدة فدراستها تقوم على أساس فهم عبارات هذه المتون ، فهو الذى يقصد فيها أولاً بالذات ، أما فهم مسائل العلوم والتبرين عليها فلا يهتم بها كما يهتم بفهم عبارات المتون ، وهذا إلى أن هذه الكتب تسلك طريقة واحدة في التأليف ، وخالط مسائل العلوم بعضها ببعض ، فلا تتدرج في هذا للطلاب بل تأخذ المبتدئين بما تأخذ به المنتهين ، وقد كان لتعقيدها أسوأ أثر في طلاب المعاهد الدينية ، لأنه يظهر في أسلوب كتابتهم ، ويحول دون

النهوض به بتعليم الانشاء ومطالعة كتب الأدب ، ولا يراد من هذا أن ترجع إلى كتب المتقدمين ، بل يجب أن نعتمد في الدارسة على كتب تؤولف في هذا العصر الحديث ، ونفتح باب الاجتهاد في الدين والعلم .

٥ - نقد طريقة التدريس ، وخلاصة نقدها أنها طريقة تلقينية تقليدية ، لا تعنى بتربية ملكة الفهم الصحيح ، ولا بإعداد الطلاب ليكون منهم علماء وحكماء يرفعون منار العلم في الدنيا ، ويتحدث العالم بعلمهم ، كما كان يتحدث بعلم أسلافنا في الماضي ، وكما يتحدث اليوم بعلم أهل أوربا .

٦ - نقد العلوم القديمة ، وخلاصة نقدها أنها علوم جامدة لا تزال على حالها منذ سبعة قرون ، وليس فيها أثر للتجديد الذي تناول كل شيء في عصرنا ، وقد كان علماءنا الأولون يجتهدون فيها ويجددون في كل عصر من عصورهم ، فيجب أن نجتهد فيها ونعمل على تجديدها في عصرنا .

٧ - نقد نظام التعليم ، وخلاصة نقده أنه لا يتدرج بالطلاب في مراحل التعليم ، بل يبدأ بالكتاب الأقل حجماً وإن كان أصعب فهماً ، ويبدأ بالعلوم التي اعتيد البدء بها في العهد القديم ، وإن كان الواجب تأخيرها والبدء بغيرها ، وكذلك يجعل مدة الدرس واحدة في كل مراحل التعليم ، ويأخذ المبتدئين في هذا بما يأخذ به المنتهين .

٨ - إهمال التخصص في العلوم ، وخلاصة ما جاء فيه أن النظام الحديث اتبع العهد القديم في تخريج علماء يأخذون كل العلوم التي يدرسونها بنسبة واحدة ، فلم يحاول أن يوزعها في آخر مراحل التعليم على الطلاب ، ويجعل منها شعباً يتخصص الطلاب فيها ، ليعيدوا عهد التخصص في علمائنا الأولين ، ويتخرج منهم أئمة نابغون فيما تخصصوا فيه ، ولا يكون هذا على نحو ما جاء في قانون التخصص السابق ، لأنه لا يفيد في تخريج أولئك العلماء النابغين .

٩ - نقد طريقة الانتساب إلى المعاهد الدينية ، وخلاصة نقدها أنها تجري على الطريقة القديمة من الاكتفاء بحفظ القرآن ، ومعرفة القراءة والكتابة ولو أقل معرفة ، فيجتمع بها في السنة الأولى أصناف من الطلاب يتفاوتون تفاوتاً كبيراً في استعدادهم ، ولا يمكن أن ينتظم سير التعليم بمثلهم .

١٠ - نقد طريقة الامتحان ، وخلاصة نقدها أنه يجري على طريقة التدريس ، فالامتحان الشفوي يقصد منه اختبار الطلاب في فهم عبارات الكتب ، والامتحان

التحريري يقصد منه معرفة تحصيلهم لها ، وحفظهم لمساثلها .

١١ - إهمال تعلم اللغات ، وإرسال بعثات إلى أوربا ، وإنشاء ناد ومجلة للأزهر والمعاهد الدينية ، وإنشاء مجمع علمي ولجنة تأليف ، وإنشاء مطبعة لطبع كتب الدراسة طبعاً صحيحاً . وهذه هي أهم أبواب ذلك الكتاب ، وهو يقع في ستين ومائة صفحة ، وقد طبع عام ١٣٤٢ هـ .

وقد سبق الشيخ الأحمدي الظواهري أن نقد نظام التعليم في الأزهر في كتابه « العلم والعلماء ونظام التعليم » ، الذي كان من أهم بحوثه أبواب أربعة :

فالباب الأول في العلماء ، أخذ المؤلف فيه على العلماء أنهم لا يعرفون شيئاً سوى مناقشات الفنون والكتب التي يدرسونها ، فلا يعنون بمطالعة الجرائد والمجلات العلمية ، ولا يعرفون شيئاً من اصطلاحات الناس وعاداتهم وغير ذلك من أمورهم ، ولا يميلون إلا إلى ما وجدوا عليه من قبلهم ، لانهم لا يرون الكمال إلا في علومهم ومعتقداتهم وكتبهم وطرق تدريسهم وسائر أحوالهم .

وبالباب الثاني في المدارس الدينية - الأزهر والمدارس الملحقة به - وخلاصة ما جاء فيه أن هذه المدارس صارت لا فائدة فيها ، وأصبحت لا تؤدي وظيفتها للعالم الإسلامي ، لاختلال نظامها ، وفساد طرق التعليم فيها ، فيجب إصلاحها بحمل طلابها على المطالعة ومعرفة نظم الأشياء وحقائقها ، وما في هذا العالم من شرائع وديانات ، وما إلى هذا من الإصلاحات التي جاءت في هذا الباب .

وبالباب الثالث في العلوم ، وقد عاب فيه طرق دراستها ، ورأى أن يضاف إليها كثير من العلوم الحديثة وتاريخ الملل والمذاهب والآراء واللغات الأجنبية ، ورأى أيضاً أن يؤلف فيها كتب حديثة ملائمة لهذا العصر ، وذكر أن الكتب التي تدرس فيها لا تختار من جيد ما ألفه السلف ، وإنما تختار من الرديء القليل الفائدة .

وبالباب الرابع في طرق التعليم ، وخلاصة ما جاء فيه أن منتهى الكمال في هذه الطرق هو التفنن في فهم عبارات المتون ، وإيراد ما لا يخص من المعاني في فهمها ، والاكتثار من الاعتراضات والاجوبة عنها ، وهي طريقة مهيبة لا تهتم إلا بهذه المباحث اللفظية ، ولا يعنى بها تفهيم الطلاب مسائل العلوم في ذاتها (١) . . . وقد تخرج الشيخ محمد الأحمدي الظواهري من الأزهر عام ١٩٠٢ وتولى المشيخة عام ١٩٢٩ ، واستقال منها عام ١٩٣٥ ، وتوفي في ٢٠ جمادى الأولى ١٣٦٣ هـ - ١٣ مايو ١٩٤٤ .

وقد استمر الشيخ عبد المتعال الصعدي مثابراً على البحث والتأليف ، وأخرج العديد من الكتب ، ولما أنشئت كلية اللغة العربية نقل إليها مدرسا بعد قليل ، ومن إنتاجه كتيبه هذه .

بغية الايضاح لتأليف المفتاح ، أجزاء ، السكيت بن زيد شاعر العصر المرواني تجديد علم المنطق في شرح الخبص على التهذيب ، شباب قریش في العهد السري للإسلام ، الميراث في الشريعة الإسلامية والشرائع السماوية ، لماذا أنا مسلم ، النحو الجديد ، القضايا الكبرى في الإسلام ، السياسة الإسلامية في عهد النبوة ، النظم الفنى في القرآن ، في ميدان الاجتهاد ، الوسيط في تاريخ الفلسفة الإسلامية ، المنطق المنظم في شرح الملوى على السلم ، تعليقات على شرح السراجية في الميراث ، دراسات إسلامية ، المجتهدون في الإسلام ، تاريخ الإصلاح في الأزهر ، الأجرومية العصرية ، زبد العقائد النسفية مع شرحها وحواشيه ، البلاغة العالية في علوم البلاغة ، أبو العتاهية الشاعر العالمى ، الفقه المصور في أحكام العبادات ، زعامة الشعر الجاهلى بين امرئ القيس وعدى بن زيد ، روائع النظم والنثر ، نقد نظام التعليم الحديث للأزهر الشريف .

إلى كتب أخرى مخطوطة لم تقدم للطبع ، وكتب أخرى لم ينته من تأليفها .

السيد حسن القاياتى

من علماء الأزهر الشريف ، ومن الشعراء النابهين في الشعر العربى الحديث ، وهو (١) حسن بن محمد بن عبد الجواد بن عبد اللطيف ، زعيم بيت القاياتى ، بيت مصر الوسطى : الجزيرة ، وبنى سويف ، والمنيا ، والفيوم . وعضو المجمع اللغوى ، وشيخ رواق الفشنية فى الأزهر الشريف ، ينتهى نسبه من جهة أبيه ، إلى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبى هريرة رضى الله عنه . ومن جهة الأم إلى الحسن السبط رضى الله عنه . وبيت القاياتى أشبه البيوت الدينية بالزوايا التى كان لها بالأوطان الإسلامية فى العهود المتوسطة شأن مذكور . - وما يزال - محط رجال الوافدين من الواحات ، ومن بلاد المغرب ، ومن أقاليم مصر الوسطى . يلقون فى ربوعه الكريمة ، وفى رحابه الفصح وفى سماحته الطبيعية ، عودة الغريب إلى وطنه

(١) من بحث نشر عنه فى مجلة الأزهر بقلم الشيخ عبد الجواد رمضان .

والنازع إلى عطنه ، والطائر إلى فنته . وهو - إلى أنه بيت دين وكرم بيت علم وأدب وسياسة ، فمن أعلام علمائه : السيد أحمد عبد الجواد أحد علماء الأزهر وشيخ الفشنية في القرن التاسع عشر ، والسيد عبد العظيم محمد زعيمه السابق ، وكل رجاله أدباء ، ولهم في السياسة المصرية مقام مشهود ، فالسيدان : محمد وأحمد عبد الجواد في الصف الأول من زعماء الثورة العربية ، وكان حظهم من آثارها النفي إلى سوريا الشقيقة لمدة أربع سنوات . والشيخ مصطفى القاياتي ، وخلفه شقيقه السيد إبراهيم شيخ الفشنية السابق : وعلى الجملة : لم نجد في مصر حركة وطنية أو دينية ، لم يبذل فيها بيتا القاياتي في القاهرة وفي القايات ، أو في قسط من الجهود الأدبية والمادية بذل السخي المسماح . والسيد حسن القاياتي ، من لدات الشيخ مصطفى عبد الرازق والشيخ محمود أبي العيون .

ولقد مضى السيد حسن القاياتي في شعره بجزالة الأسلوب الشعري ونخامته ، وشرف المعنى ودقته .

ومن شعر يتناول القاياتي فيه بيت عبد الرازق ، فيقول :

يا مصطفى أمل الحجا	في أمة خطبت حجاها
فطر الملائك رها	في مثل خيمك ، واحتذاها
الشمس بيتك ، والعلا	تمل عارفة وجاها
عرفوا أباك فسدتهم	والشمس ما عرفوا أباه
إن تعمل أسرة نابه	فتعرفوا : من والداها ؟
للدين بيت ثقافة	للجامعات وما بناها
في هدى طه يعتلي	ناديك ، أم في علم طه ؟ !

ويعرض القاياتي للآزهرين فيقول في القصيدة نفسها

يا سيدا عصفت به	شيم الجلالة وابتناها
فتسكت بنفسك عزة	كالنار يتلفها لظاها
كرم أحل بربه	تلف الأزاهر في نداها
ضحك الغواة لنبله	فبكي الفضيلة وافتداها
أنف الهوان بساحة	البدر يشرق في ذراها

ومن شعره في الغزل :

إن في الغادين منى طفلة	قام بدع الحسن منها وقعد
صورت من جوهر الشمس فما	هي إلا ريق النور جم

أوقد الحسن على وجنتها جمر قلبي ، فتأظي وانقد
 يكف الطرف عليها مغضيا قد رأى قبلة حسن فسجد !
 لا يراني الله إلا ذاكرا ليلة التوديع ، والبين بعد
 أقبلت والليل يرنو نجمه نظرة الزنجي حقدًا أو كمد
 لا أذم البين ظلها ، وفم من فم دان ، وخد فوق خد
 تسمع الدمع غزيرا بيد ثم تدنيني إلى الصدر بيد
 أرشفتني ريقة قد بردت من ثناياها بحبات البرد

ومن وطنياته قوله في حرب طرابلس : من مقصورة :

أكيدا لنا يا باعثات العدا ؟ دعوا البيض مركوزة والقنا
 نصحا لكم . لا تهجوا الأسود وقد يرسل النصح لا عن هوى
 جنيتم وغى ، فاجتثوا صابها فان لكل امرئ ما جنى
 أيننا سوى خطي عزة فإما المعالي ، وإما الردى
 نجود بأرواحنا لاثنتين غداة الوغى وغداة الندى
 زعمتم طرابلس ملكا لكم ألا ما أحب حديث المنى !
 ترون السماء ، فهل تدنى لأيديكمو ؟ هي تلك السما !
 أجدم طعان المواسي الرقاق فأما طعان العوالي فلا
 وقد تحسنون لقاء الظباء ولا تحسنون لقاء الظباء
 رويدا عديد الدبي ، تمطروا من النبيل شل عديد الدبي
 كان تدارك وقع النبال عليكم تدارك وقع الحيسا

ومنها :

ألا يضحك الناس من زائع يرى المهتدين سبيل الهدى ؟
 ومن مستطيل كفور الفؤاد يحاول مسعاة أهل التقى ؟
 ألعديل جثتم ؟ معاذ الأباء متى عرف العدل فيكم ، متى ؟
 أجودا على العرب الطاعمين وفي داركم كل بادي الطوى ؟
 وبرأ بقاصية الع—— المين والبر أولى به من دنا ؟

وما أصدق ما قال السيد ، في أمم الغرب بعامة ، لا في الطليان بخاصة !
 والسيد حسن — إلى أنه شاعر فحل — كاتب بليغ ، يتوخى طريقة مزاجا من
 مذهبي الجاحظ وابن العميد في الكتابة : جيزة نخمة ، مع الترسيل حينما ، ومع السجع

المطبوع حيناً ، ويبطئ بقلبه عن المراتة والسرعة التي تستدعيها طبيعة العصر ، إياؤه على التبذل ، وسموه عن الاتجار في أسواق الحياة . ولولا ذلك لعد في العشرة الأوائل من كتاب الشرق العربي .

ويقول فيه الشيخ عبد العزيز البشري : لو تهيأ للبيان أن يتمثل خلقاً ، لما جمع بيان السيد القاياتي ، إلا على صورة صاحبه ، وفي مثل شكله ودله ، سواء بسواء ولو لم يكن قدر لي أن أرى السيد حيناً ، ثم رأيته ، بعد أن نهلت من بيانه ، لحيل إلى أني أتهدى وحدي إلى أن هذا الانسان ، صاحب هذا البيان ! عرفت السيد من صدر أيام الطلب في الازهر ، وسرعان ما امتد بيننا حبل المودة فكان من يوم منجمه - وصل الله في عمره - يرسل الكلام ، ويقرض الشعر ، إذ شعره وإذ نثره صورة صادقة حق الصدق ، لسهولة نفسه ، وجزالة طبعه ، وحلاوة خلقه ، بل إنك لتحس في بيانه بالحياة الذي تحسه فيه نفسه .

بعد هذا ضح بيان السيد حسن القاياتي ، حيث يحلو لتقديرك . ضعه في الدرجة الاولى أو ما فوقها ، أو تخلف به عنها ، فليكل من الناس مذهبه في تقدير أصحاب الفنون ، ولكنك على أي حال تراك مرغماً على أن تقضى بأن بيان السيد حسن إنما هو صورة تامة الصدق لما يحتاج في نفسه ، وما يتدسى في أطواء قلبه ، وهذا الضرب من أهل البيان قليل . . . وهذه المزية ولك أن تدعوها الموهبة ، إنما تنشأ في أصلها بالفطرة ، وتنجم مع الطبع ، ما يجدي في خلقها تفكير ولا تهذيب ، على أنها تربو وتستحصد بعد ذلك بطول التدريب والتمرين ، حتى ما يجد صاحبها فسكاكا من صدق التعبير عما يحيك في نفسه من نزعات الاحساس ، وكذلك السيد حسن القاياتي . ولعل بما أبلغ السيد حسن هذه المنزلة ، بعد توفر الأمرين له ، أنه نشأ في بيت حسب ، فهو يأنف من أن يرائي الناس ، ويبادلهم بما يراه حقاً ، وأن الله تعالى بسط له في الرزق فهو غني عن ترضي الناس بالحق وبالباطل . . . طلباً للمنزلة فيهم ، والتماساً للمعروف عندهم . هذا إلى أنه رجل رقيق الحس ، مهذب العاطفة ، جميل منزع النفس ، ومن كان له كل هذا ، فهو أجل محلاً من أن يكذب على عواطفه ، ويفترى على ما يحول في صدره من نوازع الوجدان . يدلك على هذا من بيان السيد ، إن كنت محتاجاً فيه إلى بيان ، أنك تراه يتغزل ، وأكثر شعره في الغزل ، فيطلع عليك بأرق الكلام ، وأعذبه ، حتى لينحيل إليك أنه لا يقول شعراً ، واسكنه ينفث سحراً . . . ومع هذا لا ترى في نسيبه عنفاً ولا عربة ، على نحو ما يصنع متكلفو الغزل من الشعراء . . . ذلك بأنه ترجم عن حسه فحسب ، فلم يتكلف ، ولم يعمل

لاصطياد المعاني النائية ، ولم يعتمد المبالغات النائية ، ليزين بها نظم القريض ، وإذا كنت ممن يعرفون السيد الفاياتي وما أوتي من وداعة الطبع ، وارتياح النفس ، آمنت من فورك بصحة هذا الكلام . ومنميزات شعره :

التأني في اختيار اللفظ مع صفاته وعدوبته . وابتداع صور من المعاني لم يسبق إلى أكثرها . وجمال التشبيهات المنتزعة من المدركات الحسية . واستقلال كل بيت من قصيده بفكرة مستقلة . وتخير الأوزان والقوافي التي لم يطررها كثير من الشعراء . ومن غزل الفاياتي في صدر قصيدة وطنية ، وهو في شرعة الأدب بدع من البدع لا شعر من الشعر ، قوله :

هتفت بأكية يوم الظعن	ليت هذا البين لم يملك حسن
غضبة الله على يوم النوى	إنه دل على القلب الشجن
آه من وقفة بين لم تذر	دمعة في مقلة الظبي الأغن
مقلة ملائي بسحر لم تبت	ليلة في الدهر ملأى من وسن
وفؤاد أسكنته لوعة	ود من طول خفوق لو سكن
أقبلت مطلقة من قرطها	زهرة أولى بها ذاك الفن
تخاطب الدل بمضني حزن	جر قلبي ، من دلال في حزن (١)

الشيخ محمد الأسمر

الأسمر معروف في شتى الأوساط الدينية ، فهو عالم من علماء الأزهر ، وموظف فيه ، كما هو معروف في الأوساط الأدبية ، حيث يحبه الناس ويعرفونه بزيه الأزهرى الأنيق ، وبظرفه المشهور ، وبأدبه وشعره الذائعين .

وقد ولد بمدينة دمياط في ٦ نوفمبر سنة ١٩٠٠ ميلادية .

وفي النامنة من عمره تقريباً دخل تلميذاً بإحدى المدارس الأهلية بمدينة دمياط وكان من العلوم التي يتلقاها في المدرسة حفظ القرآن وقد حفظ نصفه بها . وبعض المحفوظات الأدبية شعراً ونثراً ، والنحو ، والاملاء والحساب .

وتخرج من هذه المدرسة سنة ١٩١٤ وواصل التدريس بها شهوراً .

لم يسترح إلى التدريس ، وكان في فطرته حب الشعر والميل إليه ، ومما ساعد على إظهار ذلك الميل المحفوظات الأدبية التي كان يدرسها بالمدرسة الأهلية ، وما كان

(١) من كلمة للأديب السيد العناني عن الشاعر في مجلة الأزهر .

يسمعه من قصة أبي زيد الهلالي على الرابطة بمقاهي دمياط ، حيث كان يستمع إليها وهو في طفولته مع بعض الأطفال الواقفين بجوار المقهى وهو لا يحرقو على دخوله ولا تسمح له تربيته المنزلية والمدرسية بذلك الدخول ، فلما شب قليلا استغنى عن ذلك الوقوف بشراء قصة أبي زيد وغيرها من القصص المعروفة في ذلك الحين مثل قصة سيف بن ذي يزن وغيرها وكان يقرأ هذه الاشعار وهذه القصص في نهم شديد ونشوة تأخذ عليه كل مشاعره .

ثم أحس برغبته إلى الاستزادة من التعلم وحدث أن قابل بعض طلبة معهد دمياط الديني واطلع على ما بأيديهم من الكتب فرأى علوماً جديدة بالنسبة له فشاقه ذلك إلى دراستها فالتحق بالمعهد طالباً في سنة ١٩١٥ .

وفي سنة ١٩٢٠ غادر معهد دمياط ليلتحق بمدرسة القضاء الشرعي وقد نجح في امتحان المسابقة لدخول هذه المدرسة وظل بها ثلاث سنوات ثم ألغت الحكومة المصرية لأسباب سياسية هذه المدرسة وكانت من خير المعاهد العلمية فالتحق طالباً بالازهر بعد ذلك .

وزاول في أثناء التحاقه طالباً بالازهر التصحيح بجريدة السياسة التي كان يصدرها حزب الأحرار الدستوريين بمصر يعمل بها مساء حتى الساعة الثانية بعد نصف الليل وفي الصباح يحضر دروسه طالباً بالازهر ، واستمر على ذلك ثلاث سنوات . . . كان فيها يجمع بين العمل ليلاً ونهاراً ، في الليل مصحح بجريدة السياسة ، وفي النهار طالباً بالازهر وفي ذلك الحين كانت تنشر له جريدة « السياسة الأسبوعية » قصائده الشعرية ومقالاته الأدبية ، وكان يحبه ويعجب به المغفور له الشيخ مصطفى عبدالرازق وكان الشيخ مصطفى عبدالرازق في ذلك الحين مفتشاً بالمحاكم الشرعية .

تخرج من الازهر ونال العالمية النظامية سنة ١٩٣٠

ثم عين بعد ذلك أمين المحفوظات بإدارة المعاهد الدينية ، ثم معاوناً لمكتبة الازهر ، ثم أميناً لمكتبة المعهد الديني بالاسكندرية مع بقائه بالقاهرة منتدباً للعمل بمكتبة الازهر ، ثم أميناً لمكتبة الازهر .

حينما غادر دمياط إلى القاهرة سنة ١٩٢٠ ، وجد أمامه آفاقاً جديدة فاتصل بأدبائها وشعرائها كما اتصل بالكثيرين من رجال السياسة بها وعكف على قراءة الكثير من الكتب الأدبية ودواوين الشعراء قديمهم وحديثهم ، واستطاع بمنابرته أن يكون وهو طالب من شعراء مصر الناهيين .

دخل مسابقات شعرية كثيرة نال فيها الجائزة الأولى ومن هذه المسابقات المسابقة التي أقامتها إذاعة لندن بين شعراء البلاد العربية أثناء الحرب العالمية الثانية فقد فازت قصيدته «الديمقراطية» بالجائزة الأولى بين شعراء العالم العربي، وقالت عنها جريدة الاهرام إن هذا الفوز الأدبي فوز لمصر، وهذه القصيدة في ديوان الاسمر ص ٤٤١ في باب اجتماعيات.

كان بينه وبين أنطون الجميل رئيس تحرير جريدة الاهرام صداقة ومودة وكان أنطون الجميل يعجب بشعره كثيراً، وكان لهذا الإعجاب «ولجريدة الاهرام الأثر الحمود في نفس الشاعر، كما كان له المغفور له الشيخ مصطفى عبدالرازق ولجريدة السياسة الأسبوعية أثرها الحمود في أدبه قبل ذلك حينما كان الشاعر طالباً بالازهر. ندب مرتين - وهو موظف بالازهر للعمل بوزارة الداخلية في قسم مراجعة الكتب لإبداء رأيه فيها من الناحية الدينية والاجتماعية، كما كان يؤخذ رأيه في بعض الأفلام السينمائية الأجنبية قبل عرضها.

واختير عضواً في لجنة النصوص بالإذاعة المصرية، وعمل هذه اللجنة بمبحث الأغاني من الناحية الأدبية والاجتماعية لاقرار أو اختيار الصالح للإذاعة أو تعديله أو استبعاده.

كما اختير عضواً في كثير من لجان المسابقات الشعرية. وأنشأ في جريدة الزمان المصرية باباً أسماه ركن الادب كان يشرف على تحريره، وكانت الرسالة الأولى لهذا الركن الأخذ بيد الناشئين من الادباء وتمهيد الطريق أمامهم وأمام الشعراء المغمورين للظهور، وقد لاحظت لهذا الركن ثمرات طيبة في وقت قصير، وكان له أثره الحمود.

والاسمر لا يتعصب لأي لون من ألوان الشعر بل يرى أنه من الحق الطبيعي لكل شاعر أن يغرد بما يتفق مع ميوله وفطرته. ولكنه يرى أن الشعر لا بد له من أمرين: أولهما وضوح المعنى وثانيهما البراعة الفنية في صياغة التعبير... وهو يعد هذين الأمرين جناحي الشاعر الذين يحلق بهما في سماء الشعر، مثله في ذلك مثل الطائر لا يستطيع التحليق بغير جناحين، لا بجناح واحد.

ومن شعره الذي طبع: ديوان «تغريدات الصباح» طبعته وأشرته على نفقتها دار المعارف وقد نفدت كل نسخته، وكتب مقدمة هذا الديوان المغفور له أنطون الجميل.. وأخرج بعد ذلك مجموعته الكبرى المعروفة باسم ديوان الاسمر وهو يقع في سبعة

صفحة تقريباً وقد تناولته بالبحث جميع الصحف والمجلات في العالم العربي ، جمع الشاعر في هذا الديوان كل شعره تقريباً حتى سنة ١٩٥٠ ميلادية : والذي وضع مقدمة هذا الديوان صديقه الشاعر القائم مقام عبد الحميد فهمي مرسى .
ولدى الشاعر مجموعة من الشعر معدة للطبع عنوانها بين الاعاصير وهي مجموعة ما نظمها بعد سنة ١٩٥٠ .

وأما نثر الشاعر فالمعد للطبع لديه كتاب « صور ومشاهدات » وهو مجموعة مقالات اجتماعية . . . وكتاب تعليقات أدبية . . . وهو الآن يفكر في إعداد كتاب عنوانه « من الماضي » ، يذكر فيه بعض مآمر به في حياته أيام صباه وشبابه .
ومن شعر الأسمر قصيدته « الانسان » أو « ورحلة شهوة »

من شهوة ، من دافق بعدها	من دودة ، من ذلك الدافق
أودعها الخالق في ظلمة	لم يدر ما فيها سوى الخالق
تحيا وتنمو في دياجيرها	في كنف المبدع والرازق
حتى إذا ماتم تكوينها	وأقبلت من بيتها الضائق
وانحدرت من غيها قطرة	تهوى لبحر العيش من حائق
تعجب الكون لها دودة	تجيمه في منظر رائق
أصبحت الدودة طفلاً له	مالزهور الروضة الناضرة
تراه في المهد له نظرة	باسمة ، مشرقة ، باهرة
يدير في غرفته عينه	يسأل عما حوله ناظره
محقق فيما يراه بها	يحميل فيها المقلّة الحائرة
كانه في مهده فاحص	فكم له من نظرة ساهرة
ينظر في عيني مستغرباً	ياجمال النظرة الساحرة
بنغامه أجمل في مسمي	من بلبل غرد فوق الشجر
في صوته العذب وأنغامه	مالا أراه في رنين الوتر
يبسم للدنيا ويشدو لها	لم يدر من أحوالها ما استتر
محرك أطرافه راجياً	إن لم أبادر محله لو طفر
أشرب راحاً من سرورى به	لم يحسبها في حانه من سكر
فإن بكى كاد فؤادى له	يقفز من جنبه أو ينفطر
ثم حبا ، ثم مشى غائباً	بكل ما في البيت لا يفتر

يردد الأقوال كالبيغا وفعله تقليد ما ينظر
تضحكننا منه محاكاته لكل ما يسمع أو يبصر
وهو على ما فيه من رقة عناده الصخرة لا تكسر
قطبته غير مطاع فما أحلاه إذ ينهى وإذ يأمر
أصغر من في البيت لكننه كأنه عائله الأكبر
ثم إذا بالطفل وهو الفتى مسترسل الوفرة غض الآهاب
يرنو إلى آماله باسماء يمرح في جيئته والذهاب
مكتمل الصحة ، بادی القوى مؤتلق كالسيف ، أو كالشهاب
في خفة الظبي ولكننه كأنه من عزمه أسد غاب
يجرى كما شاء ، وشاء الهوى له ، وينقض انقضاض العقاب
يضحك للدنيا ابتهاجا بها وإنما يضحك فيه الشباب
وربما أغرق في كآسها وأذبل الزاهر من عمره
يعاقر الخمر وفيها له أنياب ظمآن إلى عقره
يشربها جمرأ مذاباً ولا يحسس لذع الجمر من سكره
نشوتهما أقدر من ساحر يودع ما يودع من سحره
فهو عليها عاكف غافل عن شر ما يحسوه من خمره
شاربة شاربها ١١ لودرى ما أقرب الكاس إلى نغره
وربما ألفيته في الدجى مقامراً أعصابه تحرق
بيننا تراه آملاً باسماء تراه وهو اليأس المحنق
فرحان حزنان معاً ، إن طفا فانه في لحظة يفرق
في حيرة ، مضطرب ، خائف فليس يدري ما هو الأوفق ؟
كأنه يغشى عليه لما يلقى من التفكير أو يخنق
ومن يقامر فهو في غنمه أو غرمه يسرق أو يسرق
وربما ألفيته في الهوى العوبة تلعب أثني به
كأنه في عشه كوكب يدور حول الشمس من جذبه
يسير في آفاقه قابلاً لسيرها يصبح في صبه
هام بها فهو لها خاضع في شرقه إن لاح أو غربه

يحيا على هامشها مثلما
 فهي له دنياه : إن أعرضت
 إن وأصلته فهو في وصلها
 أو باعدته فهو في بعدها
 الحب ، ما الحب ؟ . وما سره ؟ .
 فأي شيء هو في خيره ؟ ،
 كل غرام فهو ليل له
 كم خدعت أنواره عاشقاً
 وربما لام الفتى معشر
 أطرق في مجلسهم صامتاً
 قال لهم إني أنا داؤه
 ألم يكن في أصله دودة
 في الأكل والشرب ، وفي لبسه
 ومرت الأعوام في سيرها
 على جوادين لها : أبيض
 كرها أصبح منه الفتى
 وراحت العلات تنتابه
 أدركه ما ليس يخشى الفوات
 وانتهت الرحلة بعد الذي
 قد فعل الموت به مثلما
 فأي طفل الأمس ؟ . أين الفتى ؟ .
 أصبح في جوف الثرى جثة
 عادت إلى الأصل ثرى في الثرى
 وفرت الشهوة في قبرها

يحيا سواء ، وهي في قلبه ؟ ؟
 ضاق به الكون على رجه
 يضمها أفعى إلى صدره
 يلتقي الذي يلفاه من جمره
 أعياني المسكنون من سره
 وأي شيء هو في شره ؟ .
 بدر فلا تأمن إلى بدره
 حتى رأى الصادق من فجره . .
 يقال عنهم إنهم أتقياء
 وصاح فيهم منه طين وماء
 فهل لديكم للبريض الدواء ؟ ،
 فكيف لا يغمره الاشتباه
 وجاه دنياه ، ودنيا النساء ؟ .
 مسرعة ، في صمتها والسبات
 وأسود ، لا يعرفان الثبات (١)
 يذوى كما يذوى نضير النبات
 حتى إذا صاح غراب الشتات
 ورُفرف الموت عليه فأت
 كان بها من متعة أو عذاب
 تفعله شمس الضحى بالضباب
 وأين من كان شاباً فشاب ؟ .
 حتى إذا طال عليها الغياب
 وحلت القطرة بين العباب
 وهي تراب أصله من تراب

(١) المراد بالجوادين هنا النهار والليل .

هيئات التدريس في كليات الجامعة الأزهرية

في ٢٤ مارس سنة ١٩٥١ اعتمد مجلس الأزهر الأعلى تكوين هيئات التدريس في كليات الأزهر ، وقد راعى الأزهر في تكوينها الأسس الآتية :

أولاً : أن يرتب الأساتذة والأساتذة المساعدون حسب الأقدمية مع مراعاة الصلاحية والكفاية على أن يختار الأساتذة من بين مدرسي الدرجة الأولى والثانية والثالثة حسبما تقضى المصلحة .

ثانياً : التوسع في عدد الأساتذة المساعدين بحيث لا يتجاوز في اختيارهم مدرسي الدرجة الرابعة على أن يقسم الأساتذة المساعدون إلى : (١) ، (ب) بنسبة ٣ : ٤ حسب ترتيبهم في الأقدمية .

ثالثاً : يحتفظ للمندوبين خارج البلاد من الأساتذة ذوي الكراسي بكراسيهم ، ويشغل مجلس الكلية هذه الكراسي بمندوبين حتى يعود أصحابها .

رابعاً : تكون هيئة التدريس على الوضع الآتي .

١ - أستاذ حرف (١) ، أستاذ حرف (ب) ، أستاذ حرف (ج) .

٢ - أستاذ مساعد حرف (١) ، أستاذ مساعد حرف (ب) .

٣ - مدرس (١) مدرس (ب) .

وعلى هذا الأساس نظمت هيئات التدريس في كل كلية .

وعلى هذا أقر المجلس الأعلى أن تتألف هيئات التدريس في كل كلية على حدة على النحو الآتي :

في كلية أصول الدين

الاساتذة حرف (١) محمد حبيب والدكتور محمد ماضي .

والاساتذة حرف (ب) عبد العزيز خطاب ومحمد الشافعي الظواهري والدكتور

محمود حب الله والدكتور عبد الحليم محمود وعبد القادر خليف .

وعين الأستاذ حسن أبو عرب والأستاذ أحمد حبيب الرئيس أستاذين حرف (ج)

وتتألف هيئة الاساتذة المساعدين حرف (١) في كلية أصول الدين من الاساتذة :

ابراهيم جمال الدين ومحمود الخضيرى ومحمود شاكر عبد الله والشيخ محمد عبد الرحيم

سلام وأحمد عيسى الجرجاوى وبركات أحمد وبركات والطيب النجار ومحمود سليمان سعد

وأحمد على و ابراهيم البرمبالي وعبد الله محمد عيسى وحسن شحاته والسيد القناوى

(٩ - الأزهر - ثالث)

والامام مصطفى وبسببوني نجم الشرفيالى وصالح شرف ومحمد الدينارى وابراهيم المحيى .

وتتألف هيئة الاساتذة المساعدين حرف (ب) فى هذه الكلية من الاساتذة .
حسن المهد ومحمد الاودن والسببوسى أحمد وعبد الفتاح السرنجاوى والدكتور محمد يوسف موسى ومحمد أحمد بن وعبد الحميد شقير وابراهيم زيدان وعبد الحميد الشاذلى وأبو بكر ذكرى ومحمد يوسف الشيخ والدكتور محمد غلاب ويوسف عبد الرازق وعبد الرازق سليمان وعبد الرحمن شاهين وأحمد صقر وحامد زين الدين وعبد السلام الزنفلى ومحمود العيسوى ومنصور رجب ومحمد سليمان بدير وأبو زيد شلبى ومحمد فتح بدران وطه الدسوقي العربى ومحمد أبو العيون .

وتتألف هيئة المدرسين حرف (ا) فى هذه الكلية من الاساتذة :
عبد الحميد ابراهيم ومصطفى يوسف موسى وصالح بكير خورشيد ومحمد المتولى مسعود وعلى حموده وعبد الوهاب غزلان وبدوى عبد اللطيف وعبد الحميد بخيت وعبد الفتاح شحاته وعلى مصطفى الغرابى ومحمد على أبو الروس وسليمان دنيا ومحمد السماحى ومحمد بيصار وحموده غرابية ومحمد أبو شبة ، وعين المشايخ : على جبر ومحمود فياض وسليمان خميس مدرسين حرف (ب) .

فى كلية اللغة العربية

وتتألف هيئة التدريس فى كلية اللغة العربية من حضرات الاساتذة :
أستاذ حرف (ا) محمد محي الدين عبد الحميد وعبد الحميد ناصف والدكتور محمد البهى .

أستاذ حرف (ب) أحمد شرف والدكتور محمد الفحام .
أستاذ حرف (ج) محمد على النجار ومحمد كامل حسن النفاض .
أستاذ مساعد حرف (ا) عبد المتعال الصعيدى وابراهيم سليم وحامد مصطفى ويوسف شبانه وعبد المعطى الفضالى وعبد السلام يوسف وأحمد عماره ومحمد طنطاوى كيش وأحمد الجبالي الجنجيمى وعبد الهادى العدل وأحمد شفيق ومحمود رزق سليم ومحمد صلاح الدين أبو على .

أستاذ مساعد حرف (ب) : عمر مرغنى وعبد الحميد عوض وحامد عوفى وعبد الله الشربيني ومحمد المبارك عبدالله ومحمد سليمان البحيرى وأحمد أبو غنيم وعبد الفتى اسماعيل ومحمد داود البيهسى وعبد السميع شبانه ومحمد عبد الجواد خضير ومحمود

مكاوي وجابر اسماعيل ويوسف حسن عمر وإبراهيم أبو عطيه وأحمد إبراهيم موسى
مدرسون حرف (أ) : أحمد رياض وعلي عبد الجليل وعبد الخالق سليمان وعبد
العزيز أحمد وفهمي العناني وبدير عبد اللطيف وأحمد الحجار وحامد البلتاجي ومحمد مصطفى
شحاته ومحمود جميلة ويوسف الضبع وأحمد كحيل ويوسف البيومي البسيوني وعبد
الحميد المسالوت وعبد اللطيف سرحان وحنفي عبد المتجلى وحنفي حسنين ومحمد أبو النجاة
سرحان وزكي غيث ومحمد أحمد عبد الرحيم وأحمد إبراهيم شعراوي وأحمد السيد غالي
وعبد الحسيب طه حميده ومحمد نابل أحمد ومحمد عبد الخالق عزيمة ومحمد كامل الفلاح
وأحمد عبد العال أبو طالب وعلي إبراهيم البطشه ومحمد قناوي عبدالله وعبد المقصود
السعداوي وإبراهيم علي شعوط وسليمان ربيع ومحمد رفعت فتح الله وإبراهيم محمد
نجا وحسن محمد الشافعي الظواهري ومحمد يوسف وأمين عبدالله فكري ويحيى محمد
عبد العاطي ومحمد جمعه حسنين وصادق خطاب ومحمد السيد نعيم ومحمد كامل الفقي
وعبد الحميد عبده عطوه وعبد العاطي محمد مصطفى ورياض هلال ومحمود محمد زياده
وحسن جاد حسن ومحمد عبد المنعم خفاجي ، وجاد محمد رمضان وعبد العظيم الشناوي
وعبد السلام أبو النجاة سرحان ومحمد مصطفى النجار وأحمد مجاهد مصباح وعوض الله
جاد حجازي ومحمود فرج العقده .

في كلية الشريعة

وتتألف هيئة التدريس في كلية الشريعة من حضرات الأساتذة :
أستاذ حرف (أ) : محمد البجني وحامد جاد وعبد الحفيظ الدفتار
وأستاذ حرف (ب) : الدكتور علي عبد القادر ومحمد الشايب وطه سلطان
وعبد الله عامر .
وأستاذ حرف (ج) : محمد عبد السلام القيانى وعثمان صبره ومحمد
عبد اللطيف السبكي
أستاذ مساعد حرف (أ) : محمد عبد الحميد الشرنوبى وحسن علي مرزوق ومحمد
عبد الله الجزار وعبد الوهاب فره ومحمد سامون وعبدربه زيادة ومحمد سيد أحمد جاد
ومحمد هاشم الشيخ وحسين علي إدريس ومحمد البسيوني زغلول وعبد الحميد دراز وموسى
اللباد وشبل يحيى ومحمود عبد الغفار ومحمود عبد الدايم وطه ناصر وسليمان داود
وأحمد نور الدين ومحمد حبشي السعداوي ومحمود شهاب وإسماعيل الدوي وشيد شاهين
ومحمد يوسف البربري وعبد العزيز نور الدين وإبراهيم سعده .

أستاذ مساعد حرف (ب) : محمد بدران وقطب سلامه وعلى عبد المجيد وعلى
الجنزورى ومحمد جيرة الله ومحمد على السائس وحسن المرصفي ومحمد الكشكى
وسليمان عبد الفتاح ومحمد عيسى الشنتلى وعبد الحفيظ فرغلى وعبد الله المشد ويوسف
المنياوى وسيد شرف وعبد الحميد حمدي ومحمد اسحاق الحداد ومحمد إبراهيم المحمودى
ومحسن أبو دقيقة وأحمد المسلى وطه الدينارى ومحمد حسن شبانه ومحمد سليمان
حرب وعبد الرحيم فرغلى وعبد العظيم الرولى وعبد العظيم بركة ومصطفى عبد الخالق
ويوسف على يوسف ومحمود خليفه وعبد الحكيم على مصطفى ومحمد أبو النور زهير
ومحمد السيد طه .

مدرس حرف (أ) : محمد محي الدين رزق وأبو العنين شحاته ومصطفى
ماجد وعبد العزيز عيسى وبدر المتولى عبد الباسط وجاد الرب رمضان وإبراهيم
أبو الخشب وطاهر عبد المجيد عبد الله وشمس الدين عبد الحافظ ومحمد عبد الوهاب
بحيرى وأحمد أبوسنه وسيد جهلان وعبد الحكم عماره وعبد الغنى عكاشه وعيسوى
أحمد عيسوى وأحمد ندا وعبد الغنى عبد الخالق وإبراهيم الدسوقي الشهاوى ومحمد
عبد النبي عبد السلام وطناوى مصطفى وحسن مصطفى وهدان وعبد السميع إسماعيل
ويوسف شلبي وعبد الوهاب عبد اللطيف وعثمان مريزق ومحمد عبد اللطيف الشافعى
وعبد العظيم فياض وعبد العال عطوه وزكى الدين شعبان ومحمد مصطفى شلبي وأحمد
محمود الصاوى وإبراهيم عبد المجيد .

مدرس حرف (ب) : محمد حسن فايد ومحمد أنيس عباده وعبد القوى عامر
الزغبى وأحمد البهى وسيد خليل الجراحي وأحمد محمد سيد الحصرى ومحمد محمد
فرج سليم . . . وقد وافق المجلس بعد ذلك على ما اقترحتة اللجنة من نقل جميع المندوبين
من المعاهد فى الكليات إلى الكليات بصفة نهائية وقبولهم ضمن هيئة التدريس بالكليات
وكذلك وافق على تنظيم هيئة تدريس بالكليات ، على أن يختار الأساتذة من بين مدرسى
الدرجات الأولى والثانية والثالثة ، ثم قرر التوسع فى عدد الأساتذة المساعدين بحيث
لا يتجاوز فى اختيارهم مدرسى الدرجة الرابعة كما قرر أن يكون اختيار المدرسين من
الدرجتين الخامسة والسادسة .

أما المدرسون الذين ليست لموادهم كراسى فقد وافق المجلس على أن يوضع لهم كادر
مستقل عن الكادر الجامعى يطلق عليه اسم كادر المدرسين النظراء ، وأن يكون حكمه
فى الترقية على أساس الأقدمية المشتركة بينهم .

ومنذ تكوين هيئات التدريس حتى اليوم وأساتذة الكليات يطالبون بأن يكون لهم كادر جامعي على غرار كادر الجامعات ، وللأسف لم يستجب اطلبهم العادل حتى اليوم .

ومع ذلك فلم يحقق رجاؤهم في فتح أقسام الدراسات العليا المغلقة منذ ١٩٤٠ حتى اليوم ، وكان من المأمول افتتاحها لتظل صبغة الأزهر الجامعية موفورة له ، ولكن سياسة الأزهر لا تزال هي سياسة الرجعية الثقافية والعلمية ، وتعطيل شباب الأزهر من أداء رسالتهم .

أهداف الأزهر الجامعي

إن هدف الأزهر الجامعي يجب أن يكون هو حمل نصيبه من المسؤولية في ترقية العلوم الاسلامية والعربية ، والمساهمة في نهضة البلاد العامة ، والعناية بالبحث العلمي ومتابعة تطوره على أتم وجه ، وتنمية الاستقلال الفكري ، وأداء رسالته الدينية أداء كاملاً .

ويتصل بهذا أن يعمل الطالب الأزهرى بنفسه لنفسه ، وألا يكون اعتماده على الأستاذ إلا للتوجيه أو لتوضيح ما استعصى عليه من المسائل .

وأن يبذل الأزهر مزيداً من العناية لتهيئة البيئة الجامعية الصالحة للطلاب ، وتوفير أسباب النشاط الديني والروحي والثقافي والاجتماعي والرياضي لهم ، وتكوين اتحاد عام ينظم شئونهم الاجتماعية والثقافية .

ويجب أن يكون في كل كلية مجلس للأساتذة والاساتذة المساعدين والمدرسين بإشراف عميد كل كلية ، ويكون من اختصاص هذا المجلس ما يلي :

الاختصاصات الادارية :

(أ) ترشيح المعيدين والاساتذة المساعدين والاساتذة غير ذوى الكراسي .

(ب) اعلان خلو مناصب المدرسين والاساتذة ذوى الكراسي .

الاختصاصات الدراسية :

(أ) وضع مناهج التدريس وتوزيعها على سنى الدراسة .

(ب) ترتيب الاعمال الدراسية التى يقوم بها أعضاء هيئة التدريس في كل عام .

(ج) الاشراف على التدريس عن طريق الاساتذة وعن طريق تقديم كل عضو

تقريراً سنوياً عن سير الدراسة في مادته ، وما عنده من مقترحات في هذا الشأن .

(د) القيام باعمال الامتحانات ومتابعة أحوال الطلاب في دراساتهم .

الاختصاصات العلمية :

(١) تهيئة المحيط العلمي والمكتبات واستقدام أساتذة زائرين للحاضرة توجيهها للبحث العلمي .

(ب) اقتراح البعثات والجازات المدرسية لأعضاء هيئة التدريس ، والجازات الدراسية تجعل اما داخلية يتخفف بها العضو من التدريس ، أو ينقطع عنه لبحث علمي بعده . واما خارجية يسافر إلى بلد أجنبي ، لأعداد بحث علمي يعينه ويرسم خطته قبل السفر . وتخصص جوائز لمن يقوم ببحوث علمية ممتازة . ويجوز تفرغ بعض قدماء الاساتذة للبحث العلمي والاقتصار على التدريس في أقسام الدراسات العليا ، لتكوين الطلبة في هذه الأقسام ، بشرط أن يكون الاستاذ قد سبق له إنتاج علمي ممتاز متكرر ، وأن يكون قد بلغ من العمر الستين . وأن توافق اللجنة العلمية الدائمة على تفرغه .

(ج) القيام على نشر البحوث العلمية .

ومن الضروري كذلك فتح أقسام الدراسات العليا في الأزهر وتكون الدراسة فيها على مرحلتين : مرحلة التحضير للشهادة العالمية ، ومرحلة التحضير لسمادة الاستاذية (الدكتوراه) وأن يختار الناجحون من المرحلة الاولى معيدين في الكليات .

فهرست الجزء الثالث

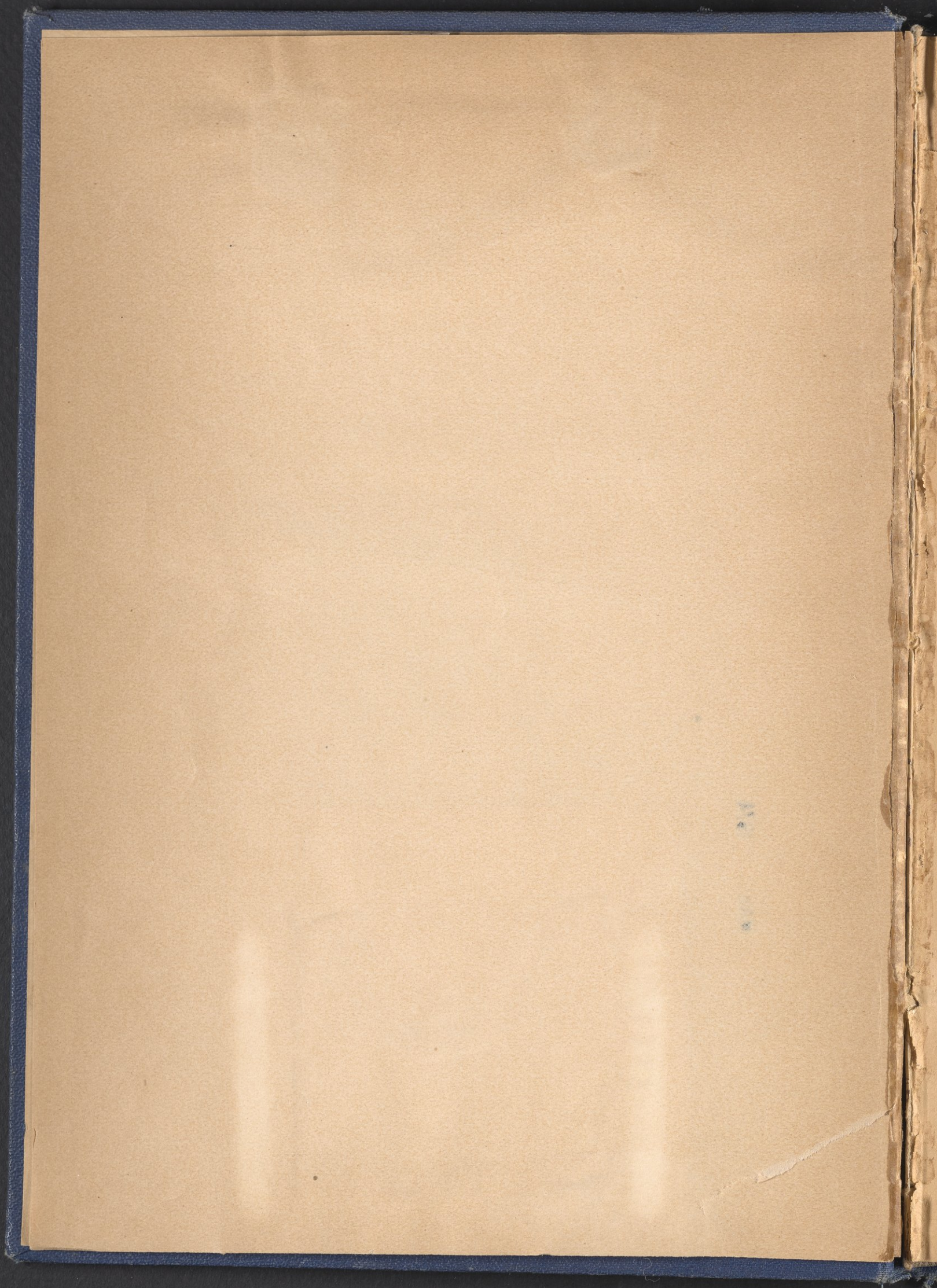
الموضوع	صفحة
الباب السابع - رسالة الأزهر	٣
الأزهرى وواجبه الدينى والروحى	٤٢
الأزهرى كما ينبغي أن يكون	٤٤
الباب الثامن - آراء للأزهر فى مشكلاتنا الفكرية	٤٦
الباب التاسع - ألوان ثقافية فى حياة الأزهر	٧١
من صحائف الذكرى	٨٧
شعلة لا تنطفئ	٨٨
علماء من الأزهر	٩٠
أوقاف الأزهر	٩٦
بعض آراء فى الإصلاح	٩٦
الأزهر والذكريات القومية	٩٨
إنتاج الأزهر العلمى	١٠٢
كلية اللغة تنشىء صحافة	١٠٣
الباب العاشر - شخصيات أزهرية	١٠٥
الشيخ محمد عرفة	١٠٥
د صالح شرف	١١١
د محمد محى الدين عبد الحميد	١١٢
د محمود شلتوت	١١٢
د كامل حسن	١١٧
د حسين خفاجى	١١٤
ترجمة المؤلف	١١٥
الشيخ عبد المتعال الصعيدى	١١٥
السيد حسن القاياتى	١١٩
الشيخ محمد الاسمر	١٢٣
هيئات التدريس فى كليات الجامعة الأزهرية	١٢٩

Mr. B. Dodge
5
Telle 11071
يظهر قريبا كتاب:

رائد أزهرى فى الأءب المعاصر

للأءب السكبر الأستاذ ءللم مءرى

٢٥٠ صفءة



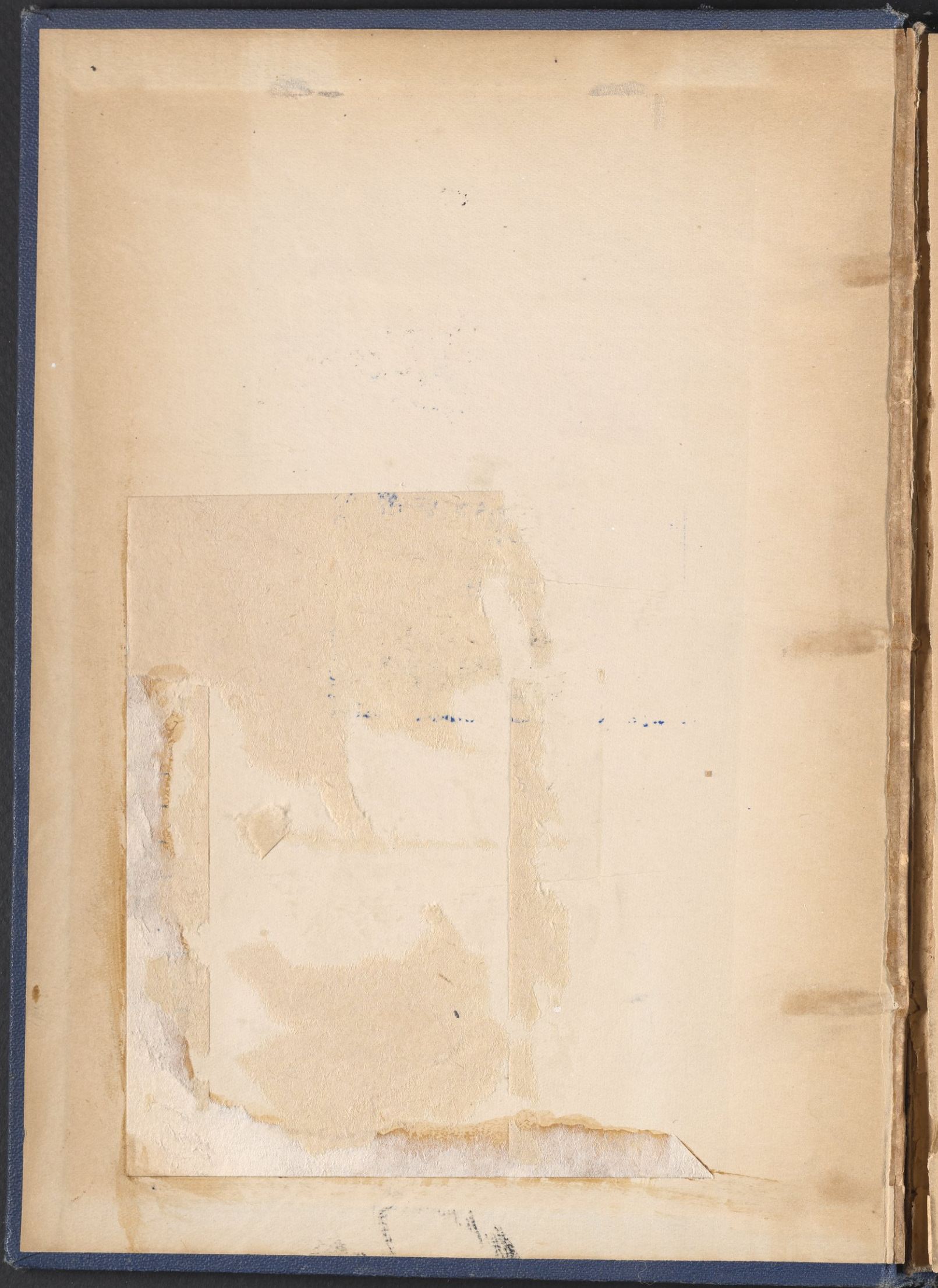
DATE DUE

B. J.

MAR 1974

MAR

LG
511
C45
K45
v.3
c.1



۳۷۷۳۸

م.ع. ۱۰۳

Blank white label